الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت -

اللغات الآداب

قسم اللغات والأدب العربي

الموضُــوع:

الخطاب البرهاني في نقد عبد القاهر الجرجاني
آلية الاستدلال أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير

في إطار مشروع التقاطع المعرفي في الخطاب النقدي العربي القديم

إعداد الطالبة:

- بلعربي شهرزاد

إشراف الدكتور:

- زروقي عبد القادر

لجنة المناقشة:

أ.د حرير محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيارت	رئيسا
د. زروقي عبد القادر	أستاذ محاضر -أ-	جامعة تيارت	مشرفا ومقررا
د. بوزيان أحمد	أستاذ محاضر -أ-	جامعة تيارت	عضوا مناقشا
د. غانم حنجار	أستاذ محاضر -أ-	جامعة تيارت	عضوا مناقشا
د. بلحسين محمد	أستاذ محاضر -أ-	جامعة تيسمسيلت	عضوا مناقشا

السنة الجامعية

1434هـ / 1435هـ

2013م /2014 م

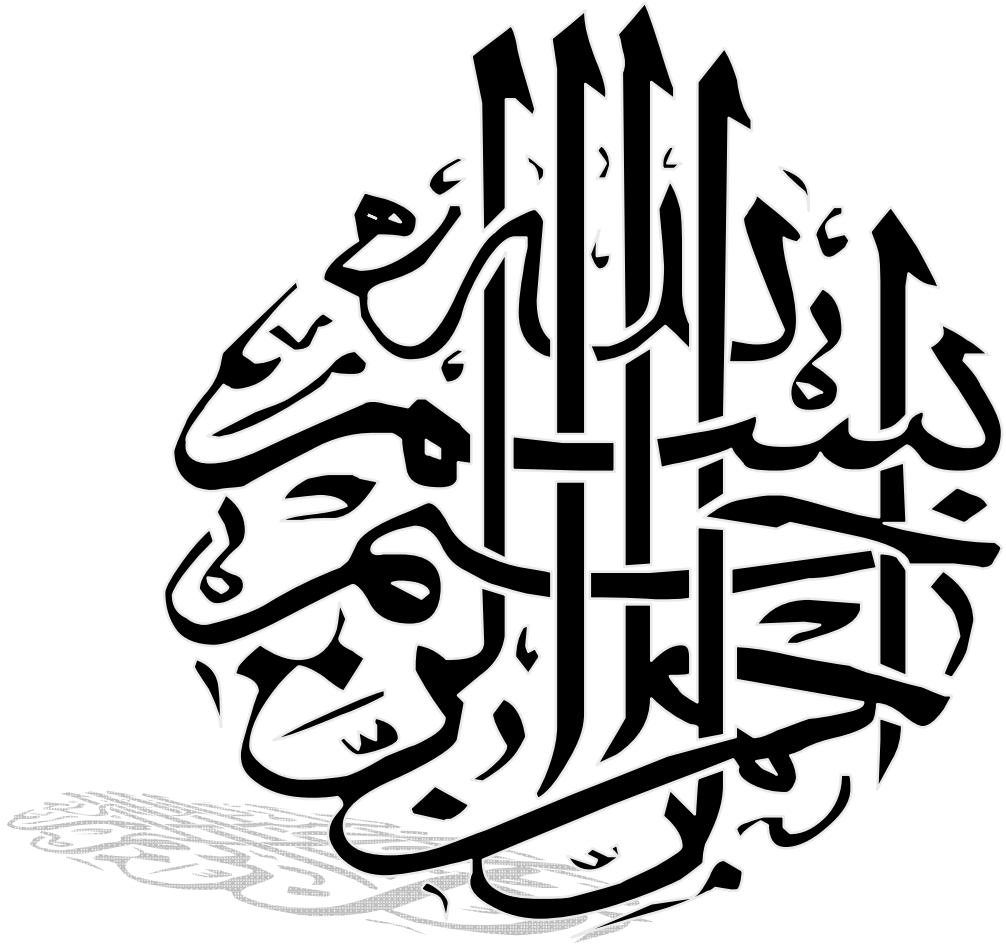

مُقَدِّمَة

مقدمة

النقد فن دراسة الأساليب إذ يأخذ على عاتقه تحليل وتفسير العناصر التي يتم على أساسها الحكم على النص الأدبي بالجودة أو الرداءة، باحتذاء الناقد كل القواعد والمعايير النقدية، ويعتبر المنهج البرهاني أفضل المناهج وأكثرها دقة التي يمكن للناقد أن يعتمدها؛ لأنه المنهج البرهاني يقوم على الاستدلال .

ولتبيان أهمية هذا المنهج والوقف على آلياته كان اختيار موضوع هذا البحث، حيث لقي هذا المنهج اهتماماكبيرا من الباحثين قديما وحديثا، وركّز عليه النقاد العرب القدماء أثناء تطوير مناهج النقد العربي، رغم أن مرحلة اختيار موضوع البحث كانت جد صعبة، ومرحلة تصوره أكثر صعوبة من ذلك، باعتبار أن موضوع النقد الأدبي بعيد عن موضوع الاستدلال القائم على قواعد المنطق.

بالإضافة إلى هذا السبب الرئيسي هناك أسباب أخرى كانت حافزا قويا إلى الخوض في دراسة هذا الموضوع، إذ أنه يصب -تحديدا- في صلب مشروع الماجستير "التقاطع المعرفي في النقد العربي القديم"؛ولأن موضوع الاستدلال آلية من آليات التخاطب البرهاني الحجاجي بصورة عامة فقد شدت اهتمام الباحثين القدماء والمعاصرين، وكذا اقتباس الكثير من قواعد وقوانين المنطق الأرسطي في عملية الاستدلال البرهاني، إلا أنه لم يدرس دراسة وافية تعطى للنقد العربي الأولوية؛ باعتبار أن هذا النوع من الخطاب بعيد عن اللغة النقدية التي تعتمد أكثر على اللغة الطبيعية، رغم ذلك لا يمكنه الانفصال عنها ،ويمثل خطاب عبد القاهر الجرجاني الذروة النقدية التي وصل إليها النقد العربي القديم من حيث مستوى المعايير النقدية، إذ فيه تختزل جميع الطاقات النقدية التي سبقته، والسبب في الاقتصار عليه حتى يكون نموذجا لدراسة وكما يرجع إلى ندرة التخصص بالنسبة لهذا الموضوع في الدراسات الأكاديمية الجزائرية.

تكمن صعوبات هذه الدراسة في ندرة المراجع التي تعالج هذه الآلية في النقد العربي، لأنها تنحصر في المجالين المنطقي والفقهي، كما أن رصد الأدلة وصور الاستدلال شكلت عقبة كبيرة خلال البحث لما يتميز به النقد من تملص يتنافى والصرامة المنطقية التي تفرضها المقدمات الاستدلالية،خاصة في الجانب التطبيقي، فمثلا عند نقد عبد القاهر الجرجاني تلتقي القضايا البلاغية والنحوية والكلامية وتصب في وادي النقد ،فتفرز نوعا من الصراع بين جماليات البيان وجفاء القواعد العقلية.

الإشكالية التي تسعى هذه الدراسة البحث عنها هي:

ما مدى استثمار آلية الاستدلال البرهاني في الخطاب النقدي العربي القديم عامة ونقد عبد القاهر الجرجاني خاصة؟.

وسيحاول البحث الإجابة على عدد من الأسئلة،التي طالما بقيت تحوم في فلك النقد، وتنتظر إجابات يمكنها مقاربة التوظيف الاستدلالي في الخطاب النقدي العربي وأهمها:

1- كيف تحولت المنظومة النقدية العربية من ارتجال الأحكام إلى البرهان عليها؟.

2- ما هي أسس آلية الاستدلالية وأهم صورها وكيفية اشتغالها في الفكر النقدي العربي؟.

3- بماذا اختص الاستدلال في النقد العربي، و ما أهم ما تميز به عن استدلال المناطقة والمتكلمين والأصوليين؟.

4- هل ثقافة الاستدلال متأصلة في الثقافة العربية، أم هي آلية جديدة اكتسبها النقد خلال تطور ه وامتزاجه بالثقافات الوافدة إلى الفكر العربي الإسلامي خاصة النقد اليوناني؟.

5- ماهي أهم تمظهرات آلية الاستدلال في النقد العربي القديم؟.

6- علاقة الاستدلال بالحجاج في الخطاب النقدي العربي،من حيث المنطلقات والمقاصد.

7- كيف وظفت آلية الاستدلال في نقد عبد القاهر الجرجاني؟.

8- ما هي أهم الأهداف التي كان عبد القاهر الجرجاني يسعى إلى تحقيقها من خلال توظيفه لهذا النوع من الآليات البرهانية؟.

9- ما الذي ميّز الخطاب البرهاني الذي استعان به عبد القاهر الجرجاني في بلوغ أهدافه على غرار من سبقه إليه من النقاد ؟.

وحسب طبيعة الموضوع لابد على الباحث أن يشتغل على أكثر من منهج، منها الوصف والمقارنة من جهة والاستقراء من جهة أخرى إلى جانب ذلك الاعتماد على المنهج التاريخي، لتتبع مراحل تطور الفكر الاستدلالي النقدي في النقد العربي القديم،و يقودنا الحديث عن الاستدلال ودوره في الارتقاء بالنقد العربي القديم عامة، وعند عبد القاهر الجرجاني خاصة تقسيم البحث إلى مدخل وثلاثة فصول.

فأما المدخل الموسوم بـ"انتقال المنظومة النقدية من الارتجال إلى البرهان" تناول قضية التحول الفكري التي شغلت لدار سين منذ أن بدأ الصراع في العالم العربي بين مؤيد فكرة الغزو الثقافي وامتزاج الحضارات وبين الذين كانوا مقتنعين بأن اللغة العربية وآدابها بغنى عن الثقافات الأخرى باعتبار أن

لشعر العربي هو أصل المعرفة ووعاؤها ،فنعمل على رصد أهم العوامل المساعدة على هذا الامتزاج وكذا الوقوف على مواطن تجليه .

لندخل إلى الفصل الأول الموسوم بـ"الأصول البرهانية للخطاب النقدي العربي القديم"وفيه نطرح أهم قضايا الاستدلال على مائدة البحث وعلاقاتها ووظائفها وأهم خصائصها ومقوماتها وكيفية انتقالها من الحقول المعرفية الأخرى إلى الحقل النقدي.

أما الفصل الثاني:المعنون بـ"الاستدلال في الخطاب النقدي العربي القديم" حيث تم البحث في جذور الاستدلال وملامحه بين مختلف المدونات النقدية العربية القديمة اعتمدا على نماذج مختلفة من حيث نوع القضية النقدية أو من حيث بناء الدليل ،وكذا تبيين كيف استطاع النقد العربي القديم أن يحقق ذاته ويرتقي بالمعايير النقدية بالاعتماد على آلية الاستدلال في جميع القضايا النقدية التي عالجها، مع البحث في الشروط التي ارتكز عليها النقاد في تحقيق الاستدلال وصولا إلى وظيفة ومقاصد الاستدلال في الخطاب النقدي العربي وكيفية استثماره لدى علماء الإعجاز.

وفي الفصل الثالث المعنون بـ"عبد القاهر الجرجاني ومشروع الاستدلال" ويعتبر هذا الفصل باب القصيد الذي يرجى من خلاله تطبيق ما توصل إليه الفصلان السابقان، ويتم ذلك في إطار استنباط القضايا الاستدلالية من خطاب الجرجاني سواء ما نظر إليه من صور للاستدلال أو بين ثنايا القضايا النقدية التي عالجها سواء في كتابه "دلائل الإعجاز" أوفي كتابه"أسرار البلاغة" لنستنتج في الأخير أهم ما كان يرجوه من خلال استدلالاته وما هي النتائج التي خلص إليها وكيف أثر هذا المشروع في التنظير النقدي العربي القديم .

انتهت بنا خاتمة هذا البحث إلى استنتاج أهم النتائج لعلها تجيب عن الأسئلة التي تمحور حولها هذا البحث،ومنها:الاستدلال يتشكل شيئا فشيئا كلما انفتحت المعالم واستجدت الرؤى في النقد العربي القديم،كذلك يبدو حضور الاستدلال في النقد العربي من الناحية الإجرائية التطبيقية بجميع أشكاله وصوره،لكن من الناحية النظرية فإنه لم يفرد له دراسة خاصة،كما أن آلية الاستدلال في مشروع الجرجاني أخذت شكلها النهائي حيث استغلها في الغالب بمختلف صورها.

ومن أهم المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث هي:دلائل الإعجاز،أسرار البلاغة،البيان والتبيين،الحيوان،البرهان في وجوه البيان،الشعر والشعراء،التكوثر العقلي لطه عبد الرحمن، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة لحنبكة الميداني ، الاستدلال البلاغي لشكري المبخوت....

ختاما نقدم الشكر الجزيل إلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث المتواضع من قريب أو من بعيد نخص بالذكر الأستاذ المشرف د. "عبد القادر زروقي" الذي لم يبخل بتقديم النصائح والإرشادات التي ساعدت على توجيه هذا البحث الوجهة الصحيحة ،ونشكر السادة أعضاء اللجنة.

مَدخل

التراث العربي زاخر بمعارف متنوعة تشربت من مختلف الثقافاتولعـــل انفتاح الدولة العربية في بداية عهدها ساعد على امتزاج ثقافاتهابطريقة مباشرة وغير مباشرة، فكان لذلك دافع قو ّي في تحو ّل النقد العربي من نقد انطباعي إلى نقد يقوم على معايير وقواعد منطقية أكثر استدلالية، فأصبح علم شامل كامل يضاهي العلوم العالمية "وهذه الطريقة شكلت ارتقاء وتمايز عن طريقة الجاهليين التي اتصفت بالفطرة والانطباعية في إطلاق الأحكام العامة بين شاعر وآخر"[1]. هذا ما يلاحظ على كل الأحكام النقدية التي وصلت إلينا من العصر الجاهلي.

أوجه النقد الذوقي الانطباعي:

تزامن النقد العربي مع البدايات الأولى لقول الشعر الجاهلي،غير أن هذا النقد لم يكن ليرقى إلى مستوى النقد العلمي الدقيق إنّما كان عبارة عن مجرد أحكام انطباعية ارتجالية لا ترتكز على دليل منطقي أو تحليل واف وطبيعي "إلّا الأحكام الانطباعية هي البداية الطبيعية لأية عملية نقدية تتصل بالنصوص، غير أن الوقوف عندها لا يمكن أن يؤدي إلى وجود نقد باعتباره علما بتقويم نصوص خاصة، ذلك أن العلم يقتضي من بين ما يقتضيه اعتماد مبادئ مشتركة بين المتلقين يمكن تأييدها أو دحضها "[2]وغالب الظن يرجع ذلك إلى أنهّم لم يكونوا بحاجة إلى إقامة الدليل لأنهم في غنى عنه لحذقهم بأسرار اللغة العربية وفطنتهم الفطرية في التعرف على فساد أساليبها إذا ما اختل أي نظام فيها ويرجع إلى الملكة التي يكتسبها" بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه (...) واستعير لهذه الملكة،عندما ترسخ وتستقر،اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان"[3] ويمكن القول إن العربي كان ذا ذوق فطري صرفه عن الشرح والتحليل لذا كانت أحكامه تتسم بالإيجاز،أو لأن تلك الأحكام لم تكن تصدر عن نقاد متخصصين إنّما كانت هذه الأحكام ترد عن شاعر في مجلس أو عن راو للشعر عن سؤال أو حتى عن رجل من العامة ليس له ارتباط بمجال النقد فوجب أن يكون الحكم عاما مشتت المعالم كأن يحكم لشاعر بالأفضلية دون أن نجد أي تعليل مثل قولهم: قيس أشعر الشعراء، و إن كان هناك تعليل فهو غير مؤسس على قواعد أو دلائل قاطعة بل نجدها مجرد تعليلات واهية، ساذجة، استندت في الغالب على خلفية اجتماعية أو

[1] - علي سلوم، بلاغة العرب، نشأتها تطورها، علومها دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2004م، ص:61.

[2] - محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق المغرب ،(د.ط)،1992م، ص:58.

[3] - ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،(د.ط)، 2002م،ص:581وص:582.

مذهبية أو سياسية وإما على ذوق الناقد كقولهم:"إنّ لهذا الكلام رونقا وفيه ماء، وغير ذلك من العبارات التي تتطلب منا الوقوف عندها لنحدد معناها، ونذرك مرادها حتى تتضح معاني النقد عند السابقين"[1] كما أن يكون الحكم بأسبقية شاعر عن آخر من بيت واحد قاله أو بيتين، وهذا يتنافى مع المقاييس التي يقوم عليها النقد الموضوعي و إذ كان ابن سلام يعد من بين الأوائل الذين بدأت على أيديهم تتبلور معالم النقد فقد أشار إلى ذلك مرارا كقوله "الشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات"[2] لكن لانجد لديه ما يبين أو يحدد ما رمى به ولو بجزء بسيطا من ذلك "فربما كان ذلك ناشئا من أن أسباب الحسن لم تكن حددت ونسقت في عصره"[3] غيرأنّه أشار إلى ضرورة أن يكون الناقد متخصصا في ذلك حتى يتسنى له النقد أو توجيه العملية النقدية، "ويمكن القول بأنّ مفهوم العربي القديم للنقد، باعتباره نقد الدنانير وتمييز صحيحها من البهرج ينطبق على الاختيار أكثر مما ينطبق على العملية التنظيرية باعتبارها بناء نسقيا"[4]، وربما ذلك الذي جعل من النقد عند العرب يقوم على الانتقاء والاختيار والتصنيف دون تبيين أوجه العلة في ذلك، وذهب الكثير من النقاد إلى وصف هذا النقد "بأنه نقد عاطفي وذاتي وجزئي، لا يشكل نظرية كاملة وشاملة، كما لا يشكل أسسا معينة لمدرسة نقدية ما، أو يمهد لظهورها ولذلك فإن دارسه يظل يدور في إطار تكوين انطباعات نقدية، ذات سمة شخصية، وهي تصدر بالتالي عن ثقافة ما وعن قيم معينة، كانت تسود طبيعة الحياة الأدبية في مجتمعات العصر الجاهلي"[5].

ونخلص إلى نتيجة أن هذا النقد في البداية كان يتسم بالعفويةوالارتجال وتعميم الأحكام التي كانت تتسم بدورها بالإيجاز الشديد وغير الدقيق، وإبراز منحى واحد من القضية دون الالتفات إلى جميع عناصر الموضوع وتحليله تحليلا وافيا،ومطالبة الشعراء السير على أنموذج واحد لا يحيدون عنه وهذا النموذج "لا يتجاوز حدود معرفة الإنسان بالطبيعة من حوله، تماما كما أن القيم الخلقية لا تتجاوز حدود معرفة العربي بأخلاق مجتمعه"[6].

---

[1] - أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، 2009م، ص:74.

[2] - ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، بمطبعة بريل،لندن(د.ط)،1913م،ضمن طبقات فحول الشعراء إعداد لجنة علمية،دار البهجة العربية للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،ص:1

[3] - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص:68.

[4] - قصي الحسن، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، دار ومكتبة الهلال، بيروت(د.ط)،2008م، ص:16.

[5] - المرجع نفسه، ص:19.

[6] - أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص:88.

وبالرغم من هذا كان للنقد الذوقي أثر كبير في تغيير مجرى الحياة النقدية العربية حين امتزج بالثقافات الوافدة التي طرأت على الحياة العربية ومحاولة العربي إيجاد طرق كفيلة يستند عليها لإزاحة ركام المخلفات النقد الساذج ومواكبة ركب الحضارة والمتطلبات التي فرضتها عليه هذه الحضارة فنحن "نستعرض الوقائع والأمثلة التي وصلتنا عن الممارسة النقدية قبل عصر التأليف نلاحظ أن التدخل النقدي لم يكن يقف دائما عند التعبير عن الانطباع بل تعداه في أحيان كثيرة إلى محاولة التفسير"[1].

العوامل المساعدة على انتقال المنظومة البيانية من الارتجال إلى البرهان:

تضافرت جهود كل من اللغويين والبلاغيين والمتكلمين على حد السواء عن البحث على منهج بحث أكثر دقة وأقوى حجة يقطعون بها كل ادعاء يشكك في مزاعم الطاعنين في الدين و"بناء عليه يمكن اعتبار الفترة الممتدة بين منتصفي القرنيين الأول والثاني الهجريين فترة البحث عن معيار لغة، معيار يستوعب القبلي والطائفي، كان مشروع الوحدّة قيمة مهيمنة تمارس في جميع المجلات باعتبارها مركزا وما سواه شذوذ واستثناء"[2].

إذ كان لعملية الاختيار والانتقاء في الشعر أثر واضح لفتح مجال جديد فيالنقد العربي حيث كانت بمثابة "المحرك الأول لطرح الأسئلة الجوهرية في النقد العربي، الأسئلة التي تصدت البلاغة لمناقشتها ولكن في انفصال عن الحركة الشعرية أحيانا"[3] ولم تكن التصنيفات [4]هي وحدها التي أدارت عجلة تطوير النقد، فلا يغيب عن ذهن أي دارس للتراث العربي الدور المهم الذي لعبه القرآن في خضم الصراع العنيف الذي لازم ظهور الإسلام وانتشاره في مختلف البلدان.

إنّ البيئات التي ساهمت في صرح البلاغة العربية هي بيئات متعددة المشارب والاهتمامات ولكنهايجمعها أنهّا مشدودة إلى النص القرآني تستلهم جمالياتها وتلتفت إلى جماليات روائع الشعر العربي تستخلص منها القيم البلاغية"[5]

[1] - محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، ص:58.

[2] - المرجع نفسه، ص:87.

[3] - المرجع نفسه ،ص:84.

[4] - التصنيفات التي اهتمت بالطبقات،كطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي.

[5] - عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في البلاغة والنقد العربيين،المملكة المغربية،جامعة محمد الخامس منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط،(د.ط)،1999م،ص:263.

فإذا ما تكلمنا عن البلاغة فنحن نقصد بها النقد، إذ أن البلاغة حددت منذ البداية قوانين ومعايير النقد العربي عامة.

حيث كان الشعر العربي الجاهلي يشكل محل ارتكاز البحث والانتقاء وبلو ّ رة المفاهيم ومنها استخلاص القوانين والمقاييس التي تضبط بها علوم اللغة."وقد تتقارب العلوم أو تشترك كليا أو جزئيا في المناهج المستخدمة فيها أو في الأسس الفكرية والمنطقية التي تقوم عليها تلك المناهج، ولكنها بحكم اختلاف الموضوع أو زاوية النظر إليه، وبحكم تطور البحث، وأدواته ومتطلباته الخاصة في إطار كل علم، تتميز عن بعضها البعض منهجيا، وتصطنع أساليبها الملائمة وتطور آلياتها الخاصة" [1] .

إن علماء العرب تنبهوا إلى هذه المسألة سواء كانوا لغويين أو بلاغيين أو فلاسفة، فقد تركزت انشغالاتهم على ضرورة إيجاد أنجع وأقوم المناهج في تطوير وسائل تغيير الخطاب التي امتد أثرها إلى جميع مجالات اشتغال العلوم في تلك الفترة، بداية من علوم الشريعة وأصول الفقه التي جعلت من آلية الاستدلال على صحة الأحكام الشرعية أصل من أصول الدين الإسلامي[2] وضبطت هذه الوسيلة بقوانين خاصة ومعايير محددة، يقاس بها صحة الدليل من فساده لتنتقل هذه الآلية من هذا العلم إلى بقيت العلوم الأخرى وتصبح من أبرز وأهم وسائل إثبات صحة الأحكام في جميع العلوم العربية الإسلامية، فما حدث فعلا "هو أن التيار الآخر من الدراسات البيانية الذي كونه الفقهاء وعلماءالأصول هو الذي امتد تأثيره إلى الساحة البلاغية. فصرف النّاس عن الاهتمام بالخطابة، أي شروط وتقنيات إنتاج الخطاب البليغ إلى الانكباب على دراسة قوانين تفسير الخطاب المبين، وقد حصل ذلك بصورة خاصة عندما اشتغل المتكلمون، وفي مقدمتهم المعتزلة بقضية "إعجاز القرآن" " [3] .

لما أصبح من أولويات المسلمين الدفاع عن معتقدات دينهم ورد مزاعم الطاعنين فيه "كانت الحاجة ماسة إلى الدعوة للدين بين صفوف الأمم التي غلبها العرب وتثبته في نفوس الذين اعتنقوه رهبة، أو رغبة في مجارات الحكام" [4]، فحاول العلماء السير على السبل الكفيلة لإقناعهم بالدين الجديد ومن هنا تغيرت وجهة الدعوة التي كانت خاصة بالعرب إلى غيرهم من العجم الذين لا

[1] - حسن محمود الشافعي،مدخل إلى دراسة علم الكلام، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي باكستان، ط2، 2001م،ص:123- 124.

[2] - ينظر، محمد يوسف موسى ،الرسالة للإمام الشافعي الهيئة المصرية العامة للكتاب،مكتبة الأسرة،(د.ط)1995م،ص:27.

[3] - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، 2000م، ص:31.

[4] - محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغي حتى القرن الرابع ، منشأة المعارف الإسكندرية(د.ط)و(د.ط)، ص:16.

يقدرون على معرفة "إعجاز القرآن" لعدم معرفتهم باللغة العربية عامة وببلاغتها خاصة، ففي أول أمرهم "حاول المسلمون التصدي لمن يهاجم العقيدة الإسلامية ولكن دفاعهم كان يعتمد على حجج وبراهين مستمدة من القرآن والحديث وهي حجج كانت مقبولة عند المسلمين ولكنها كانت تتعرض أحيانا للطعن من قبل غير المسلمين الذين كانوا يشككون في صحة النبوة الرسول وفي الوحي القرآني وكل ذلك لم يبق بين الطرفين من عامل مشترك إلى العقل" [1].

قد رفع الراية لخوض غمار معركة الدفاع عن الدين المتكلمون خاصة المعتزلة، و سلاحهم في ذلك العقل "وإليهم يعود الفضل في تأسيس علم الكلام الذي يعتبر نتاجا أصيلا للحضارة العربية الإسلامية" [2].وما أفرزته مقتضيات الخطاب العربي في تلك الفترة عندما كثرت الطوائف وتشعبت الفرق الدينية واختلفت الرؤى وتغيرت المفاهيم، فبدأ المتكلمون يحاولو ن تبين "أسباب الظفر والهزيمة، فيعودون إلى النظر في حجج الخصمين وفي لغتهما ومخارج حروفهما وإشارتهما، وهيآ تهما" [3] مما دفع بهم إلى تطوير أساليب الاستدلال وإرساء قواعده فضلا عما قام به الأصوليون قبلهم حيث عنوا "بتعليل إعجاز القرآن وتفسيره بلاغيا، وكانوا معتدلين، فهم لا يحافظون محافظة اللغويين، وهم لا يسرفون في التحديد بل يقفون موقفا وسطا" [4]كما حرصوا كل الحرص أن جعلوا النظر في مسائل الدين والاستدلال بها من واجبات المسلم الذي يقوده إلى الإيمان، ولا يكون إلاّ بالدليل العقلي الذي يثبت صحة الأحكام؛ لأن" النظر واجب،وفي التقليد ترك للواجب، فلا يجوز " [5] ؛لأن به يحصل العلم اليقيني الذي تطمئن به النفوس وتكن لبارئها وتسلم بالإيمان الذي لا يخالطه شك.

ومنثمّ نجد أن علم الكلام كان من أهم العوامل التي عملت على قلب معايير النقد بما استحدثته من طرق الاستدلال في تعليم الشباب "فأخذوا يقفونهم النقص في الحجج والأدلة والنقص في الأداء والبيان، كما أخذوا يقفونهم على أسرار المهارة في الإقنا ع والظفر بالخصوم وأسرار البراعة في القول" [6]وما هذه إلاّ إجراءات لصناعة القول البليغ وفي نفس الوقت استخلاص ما يتطلبه ذلك

[1] - حسن الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لنجمان، القاهرة(د.ط)، 2000م، ص:115.

[2] - المرجع نفسه، ص:115-116.

[3] - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط9،(د.تا) ص:33.

[4] - المرجع نفسه، ص:63.

[5] - الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان(د.ط)و(د.تا)،مجلد 4،3،ص:446

[6] - شوقي ضيف، البلاغة تاريخ و تطور،ص: 33.

القول وتعميم النتائج على ما يشاكله من أساليب "وفي هذا المجال فإن علينا الاعتراف بالدور الكبير الذي قام به المعتزلة في تطوير البيان العربي عموما وما له علاقة بالاحتجاج خصوصا، فقد كان يقابل طائفة المعلمين من النحاة واللغويين الذين كانوا لا يهتمون إلاّ بالبيان العربي الخالص"[1] ؛لأنهم لم يكونوا يقتنعونإلاّ بما نقلو ه عن العرب من معارف سواء في الميدان اللغوي أو الأدبي أو ما يخص القرآن والحديث معا، وبالتالي فقدتميزوعن غيرهم بأنهم كو ّ نوا "لأنفسهم مذاهب عقلية جديدة مصبوغة بالصبغة العقيدية الكلامية،وبالمثل أخضعوا كل ما يستمعوه أو نقل إليهم عن البلاغة عن الأمم الأجنبية لفكرهم وللفكر العربي وما يتصل به من الذوق المحكم الأصيل الذي يقيس روعة الكلام قياسا مضبوطا دقيقا"[2].

فيمكن القول أن علماء الكلام استطاعوا بفضل جهودهم وحذقهم في الجدل واطلاعهم على معارف الأمم التي سبقت، التغيير وخلق طرق جديدة خاصة بالبيان العربي الذي كان يعتمد على النقل والاجتذاب بمنهج النموذج القديم إلى منهج أدمجت فيه الكثير من المفاهيم المنطقية التي تتناسب مع المنظومة العربية البيانية أذ"أخذت تنشط في النصف الثاني من القرن الثالث هجري بيئة جديدة، عنيت بشؤون البلاغة هي بيئة المتفلسفة وكان مما ساعد على ظهورها كثرة ما نقل عن اليونان واحتفال العرب بفلسفتهم وكل ما خلّفوه في شؤون الفكر من منطق وغير منطق" [3]

هذا عندما كثرت الترجمات بدخول الموالي الذين أجادوا لغة الأم الأصلية واللغة الجديدة، أي اللغة العربية وكان أغلبهم من بلاد فارس والروم، والهند حيث "نشأت طبقة جديدة من المثقفين هم عمال الدواوين وكتاب الخلفاء الذين كان معظمهم من غير العرب" [4]،كما كان منهم من بقي على دينه فاصطبغت بذلك كتاباته بألوان معتقداته التي كانت تؤثر سلبا أو إيجابا على الحياة العقلية الثقافية العربية عامة فنفذت إلى "اللغة العربية أساليب لم يعهدها العرب من قبل" [5] وزاد نشاط الترجمة تشجيع الخلفاء عليها لاسيما الفلسفية منها "وهو ما أثر بشكل خاص في تطوير البيان العربي

[1] - حسن الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي،ص:210.
[2] - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ،ص:64.
[3] - المرجع نفسه،ص:64.
[4] - حسن الصديق،المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص:206.
[5] - المرجع نفسه، ص:206.

وبخاصة عندما كانت هذه الترجمات تتناول كتبا لها علاقة بمفهوم البيان عند الأمم الأخرى مثل" الخطابة" والشعر" و"الجدلّ لأرسطو" [1]

فكانت هذه الكتب المنهل الأساسي الذي ساعد على إثراء وتطوير و تقنين أساليب اللغة العربية وضبط قواعدها حتى يكون أكثر دقة وحجاجا و أشد وقعا على الخصوم،وأقوى إقناعا وتأثيرا، "وأفادوا من الفلسفة إن نظمت عقولهم تنظيما منطقيا دقيقا وإذ جعلتهم يحسنون استنباط الآراء وخصائص الأشياء، كما جعلتهم يقتدرون على إيراد الحجج والبراهين وتشعيب المعاني وتفريعها"[2] وبدا هذا التأثير في كل مجريات الحياة الفكرية العربية وانتقل ذلك من علم الكلام إلى النحو فالبيان العربي، حيث "نلاحظ منذ الآن سمات نمطية تسم للفكر في أواخر القرن الثامن: إنّه فكر غير مجزأ، اختياري، متدفق، غزير، متحرر من الضغوط"[3] التي كانت تجعل من النص التراثي العربي المرجع والنموذج المقدس الذي لا يمكن أن يتخذ من دونه مرجعا،"لم تعد المسألة تتعلق كما هو الحال في المرحلة السابقة بملاحظة خصوصيات و مفاضلة بين نصين لشاعرين بل تعدى الأمر ذلك إلى إدعاء وجود خصوصية مذهبية تميز فئة من الشعراء تنتمي إلى زمن فئة تحس بالتميز كمجموعة وتنعت منجزها" [4] ونعني بهذه الفئة، فئة الشعراء المولدين أمثال بشار وأبي نواس وغيرهم ،والهزة العنيفة التي شهدها النقد بانقسام أهله إلى فريقين احدهما يمجد القديم على حساب الجديد والفريق الآخر يعتني بجماليات الأدب لا يهمه إذا كانت أساليبه تقليدية أو جديدة.

لم يكن هذا التأثير على مستوى الأفكار والأساليب "بل أدى ذلك التفاعل إلى امتزاج مصطلحات العلم الموحد بمصطلحات غيره من العلوم إلى حد أن تبدو بعض الإشكاليات المعرفية التي يولدها هذا العلم كما لو كانت تنسب إلى الإشكاليات المعرفية التي تدخل في علم غيره" [5].

إن هذه السمة التي ميزت علوم اللغة العربية والإسلامية منذ بداية تطورها تجعل الدارس لا يستطيع تصنيف مؤلفاتها تصنيفا دقيقا لتداخل وتمازج الموضوعات فيما بينهما "فالمباحث الكلامية تتفاعل مع المباحث اللغوية والبلاغية والفلسفية، كما تتفاعل المباحث المنطقية مع المباحث اللغوية،

[1] - حسن الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص:207.

[2] - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ،ص:35.

[3] - محمد أركون، الفكر العربي، تعاقب العو ّ ، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3، 1985م، ص:58.

[4] - محمد العمري،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص:60.

[5] - د.طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، ط2،ص:90.

الأصولية"[1] ولعل أهم سبب يرجع له ذلك هو أن هذه الملحث إنمّا حقل دراستها واحد وهو "النص القرآني" وهو محور الصراع وإليه تتطلع المقاصد "ولذا يصبح لازما قراءة القرآن على ضوء التحديات والمنهجية التي رسخها المفسرون وعلماء الأصول" [2] وكذلك كان المتكلمون على وعي تام بأنهم لا يمكنهم الوصول إلى حقيقة النص القرآني إلاّ على ضوء تمكنهم وتحكمهم الكامل من علوم اللغة والبيان العربيين وهذا الاعتقاد رسخ في ذهن "الفكر الأصولي السلفي يعتقد بإمكانية فك لغز اللغة الدينية (كلامالله بالذات) أو تفسيرها وفهمها إذا ما سيطرنا على النحو العربي وعلم المفردات والبلاغة وعلم المعنى: أي مختلف العلوم الخاصة باللغة العربية" [3]

لذا نجد الكثير من أحكام البلاغة تتشابه في أصول نظريتها مع النحو أو اللغة وحتى الفقه الإسلامي وهذا يعود إلى أن البلاغيين،إنمّا شيدوا أعمالهم وأسسوا نظرياتهم على مبادئ ومناهج هذه العلوم كما أن الكثير من هؤلاء البلاغيين يجمعون بين مختلف المعارف الفقهية والبلاغية واللغوية، حيث نجد أن العالم الواحد يتخصص في عدة علوم مختلفة فنجد مثلا ابن سينا فيلسوفا وطبيبا وعالم لغة، ويتجلى هذا التشابه بوضوح بين علم البلاغة والنحو واللغة فتمتزج هذه العلوم فيما بينها لدرجة أنك لا يمكنك أن تستل منها خيطا يمكن فصل علم منها عن آخر "وثمة قرينة أخرى تدل على هذا الفكر غير المجزأ الباحث عن الاضطلاع بوضع تفسيري ونحن نجدها في التداخل الوثيق بين الطرائف والمصطلحات" [4].

فطريق الاستدلال نجدها في أصول أحكام الشريعة، نفسها في أصول النحو وكذلك علم البلاغة لا تختلف إلاّ في بعض الجزئيات " إننا نجد في هذه المباحث كلها كلمات: الجميل، الخير الصلاح (حسن)، القبيح المكانة (المنزلة) ما يمكن قبوله (الجائز)، الشبه (القياس)، السبب، العلة، البرهان، الدليل، الحجة، الدليل، التعريف، الحد...الخ" [5] ولهذه المصطلحات نفس المفاهيم والوظائف سواء عند علماء الأصول أو النحو أو البلاغة وإن اختلف مستوى تطبيقها"ولعل مرجع هذا التشابه في الموقفين إلى أن البلاغيين لم يبدؤوا التفكير في موضوعهم من نقطة الصفر وإنما بنوا

[1] - د.طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث،ص:90.

[2] - محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مركز الإنماء القومي لنرمز الثقافي العربي، ت: هائم صالح، ط2، 1996م، ص:24.

[3] - المرجع نفسه.ص:24.

[4] - محمد أركون، الفكر العربي، ص:59.

[5] - محمد أركون، الفكر العربي،ص:59

صرح البلاغة على أساس من جهود من تقدمهم من النحاة واللغويين، فلا عجب أن تنم الفروع عن الأصول، وقف البلاغة غير بعيد من موقف النحو و اللغة"[1]، وإنما كان ذلك يتطلب جهدا كبيرا في بداية الأمر حيث كانت تتسم البحوث البلاغية بالتداخل لكثرة ما أدمج فيها من مباحث فرعية واستطرادات،كثيرا ما تذهب بالقارئ بعيدا عن الوجهة الحقيقية للبحث إذا كانت تفتقد إلى طريق منهجي واضح

ملامح تجاوز النقد البياني الانطباعي إلى نقد برهاني:

انطبعت أغلب المؤلفات في الفترة الممتدة بين القرن الرابع والخامس الهجريين بالاستدلال عامة والاستدلال العقلي خاصة ويعتبر الاستدلال آلية من آليات المنهج البرهاني الذي "يعتبر منهجه أقوى منهج، بل المنهج الوحيد الموصل إلى العلم تعتبر الرؤية التي يقدمها عن العالم أمتن وأكمل من أية رؤية أخرى لأنها العلم ذاته" [2] والآليات التي استخدمها علماء العرب "هي من جنس الآليات الأصلية البيانية للمضامين التراثية، وإمّا أنّها ليست من جنسها، وإنّما مستمدة من مجالات ثقافية أخرى غير التراث الإسلامي العربي"[3]، نخص بالذكر في هذا الصدد المنطق الأرسطي بعد أن "فصل من الفلسفة بعد الغزالي، وأصبح علما مستقلا يشمل على قوانين ومعايير والأدلة عموما، وهي التي يمكن وجودها في كل المجالات الفكرية"[4]و رسم طريقا جديدا بعيدا عن تلك النظرة السيئة لدى علماء المسلمين. والمناظرة التي دارت بين "متى بن يونس" وبين "الصير في" النحوي[5]حول النحو خير دليل على أن ذلكو تم إبرازه "في صورة مجموعة من المعايير والمقاييس التي يعرف بها صحة الحجة أو خطؤها عموما أدى إلى تخليصه من موروثاته السيئة التي كانت تفرضها عليه الفلسفة في أذهان العلماء وقد ساعد هذا كله على انتشاره بين المفكرين المسلمين واطلاعهم عليه سرا أو جهرا مما شجع بعضهم شيئا فشيئا، على محاولة الاستفادة من قوانينه في مجالاتهم"[6] وبتالي استطاع المنطق أن يجد له مكانافي ظل الصراع الذي كان محتدما بين رجال الدين والفلسفة، وإن كانت لم تصل بعد

[1] - حسان تمام، الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة،(د.ط)، 2009م، ص:316.

[2] - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص:416.

[3] - محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص:24.

[4] - د.حسن الصديق،المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص:215.

[5] - ينظر،أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة،المكتبة العصرية صيدا،بيروت، ج 1،ط1،2003م،ص:89الى ص:100.

[6] - د.حسن الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص:215.

عملية الترجمة إلى ذروتها "وإذن فتأسيس البرهان داخل الثقافة العربية الإسلامية سيكون عبارة عن ترتيب معين للعلاقة بين "البيان لا غير""[1]

آلية الاستدلال كان لها النصيب الأوفر في كل ذلك حيث أخذت تتخذ صورا متنوعة حسب مجال استخدامها؛ لأنها من الآليات الإنتاجية التي "تختص بكونها تقبل أكثر من غيرها التنقل من حقل فكري إلى آخر والتجول بين مختلف حقول المعرفة وأصناف العلوم، حتى أنّ الآلية الواحدة قد تشترك في استخدامها علوم متباينة في مقاصدها ووسائلها، ولا يخرجها عن وصف الشمولية ما قد يلحقها من تلونات حقلية"[2].

عندها اتبع النقاد منهج المتكلمين المنطقي في إصدار أحكامهم النقدية باعتباره أقوى المناهج إقناعا لما يتميز به من الدقة في التحليل والتفسير والتبرير وكذا ترتيب الأدلة والبراهين بحيث لا يترك للمعترض فرصة الطعن أو إيجاد دليل آخر يمكنه من أن يدحض به رأيه ويلزمه الامتثال والخضوع للرأي بل يتعداه إلى تبنيه والعمل به "وعلماء النقد يسمون ذلك المذهب، المذهب الكلامي، ويعرفونه بأنّه أسلوب يورده المتكلم فيه حجة لما يدعيه على طريقة أهل الكلام"[3]، وإن كان هناك فرق بين المنهج المتبع عند المتكلمين وبين أهل البلاغة، فمنهج أهل الكلام يعتمد على قوانين المنطق الصرفة بينما منهج أهل الأدب ونقاده يتبعون المنطق وقوانينه مع إثارة العواطف بألوان من البديع والكلمة الموحية القويّة التي تجد لها وقعا في نفس المتلقي.

ويرجع الفضل للفارابي في صياغة المصطلح الفلسفي المنطقي وتحويره ليتناسب والفكر العربي الإسلامي[4]،وبذلك مكّن من أن يجد له مكانا في الثقافة العربية، كما حدد المفاهيم وفرّق بين ما هو منطقي وما هو نحوي، وبذلك خرج الفارابي من ما يسمى بالنظرية إلى المجال التطبيقي "وبذلك قرّب الفارابي بهذا التحليل بين الصيغ الاستدلالية البرهانية المطلقة كما ظهرت في منطق أرسطو وبين تلك الزمانية الشرطية والواقعية كما حددتها اللغة، وقد مهد ذلك إلى انتقال المنطق الأرسطي من

[1] - المرجع نفسه، ص:416.

[2] -د.طه عبد الرحمن:،تجديد المنهج في تقويم التراث، ص:82.

[3] - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها،ص:222.

[4] -ينظر د.زينب عفيفي، فلسفة اللغة عند الفارابي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،(د.ط)، 1997م،ص:125.

ميادين الصورية التجريبية ومن الكليات المطلقة إلى الجزئيات النسبية"[1] أي التقريب بين قوانين المنطق وحدود مفاهيم اللغة العربية.

ومن خلال ذلك يبدوا أن النقد العربي تطور من الفعل الإرتجالي العامي المرتبط بمعتقدات سابقة و ثقافات معينة إلى صناعة عقلية منطقية تستخلص القوانين التي تقيها من الفساد.

إذ يعتبر النقد من أمس العلوم إلى ذلك،إذ في ميدانه يطلق الناقد العنان لقوانينه ومقاييسه ليستدل بها للتقويم وإصدار الأحكام "وقد تجلى آثار هذا المستوى العام في كتب النقد والبيان بوجه خاص كما هو الحال في نقد الشعر لقدامة بن جعفر والبرهان في وجوه البيان لابن وهب...الخ" [2].

وهذا ما سنحاول الكشف عنه خلال البحث.

[1] - د.زينب عفيفي، فلسفة اللغة عند الفارابي، ص:125.

[2] - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها،ص:222.

الفصل الأول

الأصول البرهانية للخطاب النقدي العربي القديم

يعتبر المنطق أساس العلوم فهو يعمل على تقنينها بفضل ترتيب معطيات الفكر ثم الاستدلال على ذلك، وقبل التكلم عن الاستدلال وآلياته، لابد من الرجوع إلى تحديد مفهوم المنطق الذي يبنى عليه الاستدلال .

الخاصية المنطقية للاستدلال:

1.علم المنطق: المنطق هو علم يبحث في القوانين وكيفية حصول انتقالها من الذهن المجرد إلى عملية يمكن أن يستدل بها في علم الحقائق، أي العالم المادي المحسوس فهو علم "يتعلم فيه ضروب الانتقالات من أمور حاصلة في ذهن الإنسان إلى أمور مستحصلة"[1]، ويعتبر المنطق من العلوم التي تقوم على أساس بقية العلوم الأخرى، بعد أن كان علما محتكرا من الفلسفة فقط حتى "فصل عن الفلسفة بعد الغزالي، وأصبح علما مستقلا يشمل على قوانين ومعايير الأدلة عموما، وهي التي يمكن وجودها في كل المجالات الفكرية"[2]، للوصول إلى الحقائق و منها إلى الإقناع.

2.علم المنطق خادم العلوم الأخرى: والعلوم إما أن تكون علوما مستقلة بذاتها، وإما أن تكون علوما تقوم وترتكز على علوم أخرى "فالعلم قد يكون آلة لغيره، إذ لايزيد مدلول الآلة عن كونها منهجا أو وسيلة التي يتخذها العلم للوصول إلى أغراضه، فالمنطق الذي هو آلة تتوسل بها العلوم الأخرى هو في نفس الوقت علم، لأنّ صفة "العلمية" التي يتصف بها هو ثمرة البحث النظري ينهض دليلا على فساد السؤال الذي طال الوقوف عنده، وهو "هل المنطق علم أو آلة"؟"[3]. فالمنطق علم له قوانينه ومعاييره الخاصة التي يبني عليها أحكامه "إما كعلم بالمعنى الدقيق للكلمة، أي كعلم نظري محض، ينبغي وضعه على نفس المرتبة مع الرياضيات لأنه مثلها، يرمي إلى الإعلام بحقائق، موزعة بين مصادر ات ومسلّمات وتضايفات...الخ، وإما كعلم معياري، مماثل للأخلاق والجمالية يهدف مثلهما، إن لم نقل إلى وصف قواعد، فعل الأقل إلى الإعلام بالقواعد التي ينبغي

[1] - ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، تح د.سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، القسم الأول،ط 3، 1983م،ص:127.

[2] - حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص: 215.

[3] - طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي "اللسان والميزان"، ص: 87.

التقيد بها، وفقا لبُعد تقويمي معين "[1]، فالمنطق هنا يقع بين مجالين مجال النظرية ومجال التطبيق و عليه فلا بد من تحوير قوانين هذا المنطق ليتناسب مع العلم الذي يراد التوظيف فيه.

وتعتمد صحة وفساد الأحكام المنطقية على معايير محددة، مع مراعاة قوانينه التي لابد من الالتزام بها فهي "آلات تمتحن بها الخطوط، وكالبكايير[2] تمتحن بها الدوائر"[3]، فالمنطق هو المكيال المصحح الذي به نميّز الصواب من الخطأ وبه تقطع الظنون وتكشف الحقائق "قيل أن الغرض من المنطق هو "التمييز بين الصدق والكذب في الأقوال""[4].

بالإضافة إلى أنّ المنطق يعد من العلوم فهو في نفس الوقت يعتبر علما خادما للعلوم الأخرى، سواء كانت هذه العلوم إنسانية كاللغة أو التاريخ أو كانت تجريدية كالرياضيات أو الهندسة أو غيرهما من العلوم الأخرى "ومن الملحوظ أيضا أن البحوث والدراسات الرياضية والطبيعية والاجتماعية وإن تميّز بعضها عن بعض موضوعيا، وبالتالي منهجيا-قد تتقارب بل وتتقارض الأدوات المنهجية والأساليب البحثية في كثير من الأحيان"[5]، وعلى أكثر التقدير فالمقصود بالأدوات المنهجية والأساليب البحثية هي تلك المادة التي يوفرها علم المنطق للعلوم الأخرى "وإذا وصف العلم بكونه "خادما" لغيره فمعنى ذلك أن هذا العلم قائم للغير بأمر من شأنه أن يستفيد منه"[6]، والإفادة تكون من المنطق بالانطلاق من معطيات سبق تحصيلها في الذهن إلى علم آخر مطلوب عن طريق آليات خاصة، و"علىهذا وجب التعرّف على هذه الوسائل المنقولة، وتبيين وجوه استعمالها في مجال تطبيقها الجديد، وتتبع آثار هذا الاستعمال في المضامين التراثية"[7]، فهو يمثل علم موضوعي يقترب من اليقين تستند عليه العلوم الأخرى عند النظر في الآراء وعند دفع الدعاوى بالحجج المبينة أو عند فض النزاعات أو تقريب الخطاب من الصحة أكثر فإنّ جهلنا المنطق، لم نقف من حيث نتيقن

[1] - روبير بلانشي، المنطق وتاريخية من أرسطو حتى راسل، ت: خليل أحمد خليل، مطبوعات الجامعية، الجزائر، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، لبنان،(د.ط)،(د.تا)، ص: 68،69.

[2] -جمع بيكار:آلة ذات ساقين لرسم الدوائر،فارسية.

[3] - الفارابي، إحصاء العلوم، دار ومكتبة الهلال،بيروت،لبنان،ط1 ،1996م، ص: 29.

[4] - التهانوي، كشاف إصلاح الفنون والعلوم،مكتبة لبنان الناشرون، ط1،ج1، 1999م، ص:35.

[5] - حسن محمود الشافعي،المدخل إلى دراسة علم الكلام، ص: 124.

[6] - طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص: 84.

[7] - المرجع نفسه، ص: 24.

على صواب من أصاب منهم، وكيف أصاب ومن أي جهة أصاب، وكيف صارت حجته توجب رأيه"[1] .

فعلم المنطق يمثل الطريق المستقيم الذي يسلكه العالم أو كل من أراد أن يتوخى الموضوعية، أو يصل إلى الحقيقة عن طريق الاستدلال الصحيح فهو بمثابة "آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر"[2] باعتبار أنّ ذهن الإنسان يتعرض إلى عدة مؤثرات خارجية تعمل على تشتيت أفكاره، أو الغفلة عن بعضها أو عدم تقدير صحتها فيأتي المنطق عند ذلك ليرجع الأمور إلى نصابها المعقول ويحاول أن يوافق بين المجرد المادي وبين ما هو معقول أو من تصور الخيال بضبط القواعد المعتمدة وسير على منوالها "فيكون المنطق بحسب هذه الحالة أكثر العلوم آلية، يليه في ذلك علم اللغة ثم الأمثل فالأمثل"[3]، والآلية هي الوسيلة التي يتم بها ممارسة العملية العلمية وكذا تطبيقها.

3_الوظيفة الفاعلية لعلم المنطق:

المنطق علم يبحث عن الحقيقة أو الحقيقة التي تكون وراء حدوث الظواهر، فهو بذلك عملية فكرية محضة تستلهم معطياتها من الواقع المادي، وتقوم على قاعدة عقلية، "فهو يدرس التفكير بوصفه أداة لمعرفة العالم الموضوعي"[4]، والموضوعية تعني كل ما اتصل بالواقع الذي يمكن إدراكه عن طريق الحواس وهي من خصائص العلم المضبوط[5] أي العلم الذي يقوم على قواعد يمكن الاستدلال بها متى شئنا فلا ينتقض دليلها مع الوقت "والمقصود بها أن يكون التفكير مرتبطا بسلوك الظواهر الخاضعة للملاحظة بحيث تصبح طبيعة موضوع الدراسة هي الفيصل في الحكم على الظواهر دون الاعتماد على ميول الذات الباحثة ولا عواطفها وآرائها الشخصية ومعتقداتها"[6].

و هنا يقف المنطق موقف الحاجز المنيع الذي يجنب صاحبه الوقوع في الخطأ كما يعمل على إيجادطرق السهلة والكفيلة لدحض الخصوم بالتعرّف على أخطائهم وغربلة النتائج صحيحها من فاسدها واكتساب معارف جديدة من خلالها.

---

[1] - الفارابي، إحصاء العلوم، ص: 85.

[2] - الشهيد مرتضى المطهري، المنطق، ت: الشيخ حسين، دار الولاء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،ط02، 1432هـ، ص: 12

[3] - طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص: 84.

[4] - الكسندر اغيتاتوفا، علم المنطق، ت: التعديلات، دار التقدم،(د.ط)، 1999م، طبع في الاتحاد السوفياتي، ص: 10.

[5] - ينظر حسان تمام، الأصول الإبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة،(د.ط)، 2009م، ، ص: 16 .

[6] - المرجع نفسه ص:16.

فتعلم المنطق "يزيد الفكر تهذيبا، ويساعد على دقة المحاكمة واتساقها وبرهنتها، وتعزيز من فعالية الحديث والإقناع"[1]، فهو وعي ذهني لدى صاحبه، يعمل على ضبط الشخصية ويدعم ثقة النّفس بمصادقة أقواله، مما يزيد في عملية التفاعل الإقناعي التي تقوم أساسا على المعلومات اليقينية أو القريبة من اليقين "تساعد التنمية الثقافية المنطقية على امتلاك ناصية الطرق والأساليب العقلية للمحاكمة البرهانية الصحيحة، وعلى تشكيل الفكر الخلاق المبدع"[2]فهو يساهم بشكل فعّال في تنمية القدرات الفردية والإحاطة بجميع جوانب القضية، لذا تم استعمال " لفظ "الدليل بحيثيجوز كذلك أن نقول بأنّ المنطق هو "علم الدليل" ونجد في معجم المنطقين المسلمين مصطلحا آخر يدل على المعنيين معا-أي فعل الانتقال وأثر هذا الانتقال- وهو "الاستدلال""[3] وعليه فإنّ المنطق ما هو إلا علم الاستدلال، وما يقال على المنطق يقال على العملية الاستدلالية، والقوانين التي يبنى عليها المنطق ما هي إلا قوانين التحكم في الأدلة، بالترتيب والتنظيم.

لذافإنّ هذا المنطق ليس هدفه أن يميز صحيح صور الاستدلال من فاسدها فحسب، بل أن يأتي بالحلول، لما كانت تتفاوت نفعا وقوّة، وتقبل التغيير والاتفاق"[4]، وعلى هذا الأساس اعتبر المنطق منذ نشأته على يد أرسطو إلى يومنا هذا المقياس الأمثل الذي تقاس به المعقولات، ويحقق به التواصل والانسجام والرضى والقناعة بين الأفراد والمجتمعات، فهو "سلطة تنظّم الأفكار والآراء والاحتكام إليها يحقق الانسجام بين الجماعات" [5].

[1] - الكسندر اغيتاتوفا، علم المنطق، ص: 25.

[2] - المرجع نفسه، ص: 26.

[3] - طه عبد الرحمن،التكوثر العقلي "اللسان والميزان"، ص: 89.

[4] - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط ،2002 م، ص: 64.

[5] - عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين، ص: 362.

الاستدلال بوصفه آلية برهانية:

1.البرهان علم نظري: ينقسم العلم إلى قسمين: علم ضروري وهو الذي يكون عن طريق الخبر المتواتر[1] من "بديهيات" أو "مسلّمات" أو علوم متداولة بين العامة،التي أصبحت بعد مرور الوقت علوم ضرورية، أما القسم الثاني هو ما استوجب الدليل،بينما يرى الأصوليون أنّ العلم الضروري هو "ما يحصل في النفس من معارف حسّية ووجدانية بدون واسطة الدليل، أما علم الاستدلال فهو الذي يكون النظر في الدليل"[2]،إذن كل علم يحتاج إلى دليل هو من علم البرهان الذي يقوم بدراسته علم المنطق؛ لأن "مسائل المنطق يبحث عن المعرّفات أي التعاريف، وإما عن الحجج أي الأدلة"[3]، والخطاب البرهاني من أبرز الخطابات التي تبنى على العقلانية بل لا يكون إلا بها.

2.خصائص الاستدلال البرهاني:

جاء في لسان العرب "برهن" بمعنى "التهذيب قال الله عز وجل: ﴿**هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾[4]،والبرهان الحجة الفاصلة البيّنة يقال برهن يبرهن برهنة إذا جاءت بحجة قاطعة للدد الخصم فهو برهاني والجمع براهين حقيقته إنما أَنت متمنٍّ فجعل يُبَرْهن بمعنى يُبَيِّن البرهانِ براهينُ وقد بَرْهَنَ عليه أَقام الحجّة وفي الحديث الصَّدَقةُ بُرْهانٌ ، البرهان الحجة والدليل أي أنها حجة لطالب الأجر من أجل أنها فرض يجاري الله به وعليه وقيل هي دليل على صحة إيمان صاحبها لطيب نفسه بإخراجها وذلك لعلاقة بين النّفس والمال"[5].

فمن خلال تعريف ابن منظور نجد أنّ هناك صلة وثيقة بين البرهان والدليل حيث لا برهان من غير دليل إلا أنه يشترط في ذلك دليل قاطع يحتجّ به على صدق دعواه "فالبرهان هو الذي يقتضي الصدق أبدا لا محالة، وفي عرف الأصوليين: ما فصل الحق عن الباطل"[6]، ويعرفه الشريف الجرجاني بأنه "القياس المؤلف من اليقينيات، سواء كانت ابتداء، وهي الضروريات أو بواسطة وهي

[1] - ينظر،الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ص:248، وينظر الشريف مرتضى المطهري، المنطق، ص :27 .

[2] - محمد عابد الجابري،بنية العقل العربي، ص: 119.

[3] - الشهيد المرتضى المطهري،المنطق ص: 22.

[4] - سورة البقرة الآية: 111.

[5] - ابن منظور، لسان العرب، مادة برهن، ط جديدة،دار المعارف،القاهرة،(د.تا)، ص:271.

[6] - أبو البقاء الحسيني ، الكليات، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة خاصة، 2003م، ص: 249.

النظريات والحد الأوسط فيه لابد أن يكون علّة لنسبة الأكبر إلى الأصغر فإن كان مع ذلك علّة لوجود تلك النسبة في الخارج أيضا فهو البرهاني"[1]، نجد أنّ الجرجاني في تعريفه للبرهان جعله مرادفا تماما للقياس المبني على مقدمات يقينية، والخطاب البرهاني هو ما قام على دليل صحيح صفته تكتسي العقلانية وإن لم تؤد مقصدها وهو الإقناع واكتساب المشروعية "والعلم البرهاني عند أرسطو يجب أن يكون علما ضروريا "[2] .

أما الاستدلال البرهاني يتميّز بخصائص صورية من تجريد وتدقيق وترتيب أو من بسط للقواعد وتمايز للمستويات واستيفاء للشروط واستقاء للعناصر هذه خصائص التي تجعلنا نتصوّر آلة لحساب الاستدلال البرهاني"[3]، وبذلك الشكل وإتباعا للمراحل إتباعطارما تكون النتائج المتحصّل عليها عن طريق البرهان نتائج يقينية، دقيقة. فالاستدلال كالآلة المبرمجة "شبيه بالحاسوب تطبع برنامج من عدد متناه، من الأمور، وتلك ذاكرة تخضع محتوياتها للعمليات، وتقوم بهذه العمليات في خطوات متوالية، كل خطوة فيها محددة تحديدا كاملا بهذا البرنامج وبما استوعبته الذاكرة في الخطوة السابقة"[4]، ولذلك كثيرا ما يختص البرهان باللغة الصناعية الخاصة بالعلوم التجريدية كالرياضيات لصرامة النتائج المتوصل إليها[5].

فاللغة الصناعية لا تحتمل ولو احتمالا ضئيلا من الخطأ الظنّ ، ومن هنا يمكن القول بأنّ البرهان ما هو إلا استدلال يكون بأدلة صادقة لذا "فتصوّر القديم يعد البرهان استدلالا صحيحا صحة البرهان على مخالفته له في قيمة المقدمات"[6]، ورغم صرامة نتائج هذا المنهج والتزامه بصدق المقدمات فإننا نوظفه "في حالات عديدة، كما في المحاضرات والتقارير والمناظرات والمحاكمات القضائية والدفاع عن الأطروحات وغيرها "[7] لذا لا يمكن الاستغناء عن الخطاب البرهاني؛ لأنه سبيل اليقين و اليقين يقود إلى الاقتناع.

---

[1] - الجرجاني علي بن محمد الشريف، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، 1985م، ص: 25.

[2] - عبد الفتاح محمد العيساوي، عبد الرحمن محمد العيساوي، مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، دار الراتب الجامعية،(د.ط)، 1996م-1997م، ص: 87.

[3] - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 40 ،ص:41.

[4] المرجع نفسه، ص: 41.

[5] - ينظر طه عبد الرحمن التكوثر العقلي، ص:137، ص:138.

[6] - العروي عبد الله، مفهوم العقل،المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط3، 2001م،ص: 134.

[7] - الكسندر اغنتمانوفا، علم المنطق،ص: 280.

3-أنواع البرهان:

نجد ابن سينا يميز بين نوعين من البرهان: أولهما برهان "اللام" الذي يكون السؤال فيه باستخدام "لِ ـم" فهو يوجب التعليل أي إيجاد الأسباب فيعتمد بذلك على الواقع، وما يحيط بالعقل حتى يثبت بذلك الحقائق، وثانيهما برهان لأنّ : الذي يعتمد على "أنّ "[1] وهو في حقيقته حاصل البرهان "اللمي" البرهان الأول، إذ يعتمد على العلة والثاني على ثبوت الأمر بعد حصر علله، "لهذا السبب ينحل القياس في البرهان كما تذوب الآنية في اللمّ ية"[2] لأنّ القياس وجه من وجوه البرهان فكلما تطابقت العلل كانت النتائج كذلك لكن الاختلاف يتمحور حول أنّ اللّميّ ـة تعتمد على العلل الحسّ ية المادية بينما البرهان الآني متعلّق بالنفس حيث يتحقق اليقين[3] وإن كان هناك بعض الاختلاف في بناء القياس والبرهان، فالأخير "يجب أن تتوفر فيه ثلاثة شروط:

1. معرفة الحد الأوسط الذي هو علة النتيجة.
2. ترتيب العلاقة بين العلّة والمعلول بين الحد الأوسط والنتيجة أي تأليف القياس.
3. يجب أن تكون النتيجة ضرورية بحيث لا يمكن أن تكون على غير ما هي عليه"[4].

مثل: المعادن تتمدد بالحرارة.

الحديد معدن

إذن: الحديد يتمدد بالحرارة.

والنتيجة هي التي تفصل البرهان عن القياس،فالبرهان نتيجته يقينية وأحكامه صادقة ؛لأنها بنيت على حجج صادقة دامغة بينما القياس لا يشترط فيه صدق الحجج ولا يقينية الأحكام "يقول المناطقة إنمّا يميّز الحجة البرهانية في شكلها الثلاثي، أي بحدودها الثلاثة، بمقدماتها وحدودها وجامعتها

[1] - ينظر، ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، ج1، ص:485إلى488.
[2] - العروي عبد الله، مفهوم العقل، ص: 135.
[3] - ينظر،المرجع نفسه، ص: 135، ص: 136.
[4] - محمد عابر الجابري، بنية العقل العربي،ص: 394.

(في عبارة ابن حزم) هو أنّها تؤدي بالضرورة إلى اليقين لا إلى مجرّد الظن، فتلزم العقل بالتسليم وتنفي عنه التردد والشك"[1].

فالنتيجة التي يمكن أن نخلص إليها من خلال كل ما سبق أن البرهان قائم على الاستدلال الذي يرتب القضايا على بعضها البعض دون الرجوع إلى مضامينها وكيفية استعمالها، وإن مصطلح البرهان في الغالب الأعم لا يتميز مفهومه عن مصطلح الاستدلال والحجة والدليل والاستقراء والاستنباط والقياس والاستنتاج، وكثير من هذه المصطلحات التي نجدها مبثوثة هنا وهناك في الخطاب العربي نتيجة عدم استقرارها على مفهوم واحد. حيث نجد هذه المفاهيم تتداخل مع بعضها البعض ليجد الباحث صعوبة في تحديدها، لذا سنحاول قدر الإمكان الوقوف على مفاهيم هذه المصطلحات بتحديد خاصية كل منها، كما نحرص على التماس التحري الدقيق لرفع اللبس عن بعضها ما أمكن ذلك.

آلية الاستدلال:

1_الاستدلال: في اللغة هو"طلب الدليل ويطلق في العرف على إقامة الدليل مطلقا من نص أو إجماع أو غيرهما، وعلى نوع خاص من الدليل وقيل: هو في عرف أهل العلم تقرير الدليل لإثبات المدلول سواء كان ذلك عن الأثر المؤثر أو بالعكس"[2].مما يحقق لنا المفهوم التالي الذي يجعل من الاستدلال عملية فكرية يقوم بها العقل للوصول إلى نتائج قد تكون صادقة و قد تكون كاذبة.

وهذا التعريف لا يختلف كثيرا عن ما اصطلح عليه الفقهاء "فإنّه يطلق تارة بمعنى ذكر الدليل، وسواء كان الدليل نصا أو إجماعا أو قياسا أو غيره، ويطلق تارة على نوع خاص من أنواع الأدلة"[3]، ويقصد به الدليل الذي يعتمد على الصيغة الصورية المنطقية التي "تتضمن مقدمات ونتيجة والرابط المنطقي بين المقدمات والنتيجة"[4]،وهذه الصيغة المثالية التي يجب أن يكون عليها الاستدلال السليم.

2_الاستدلال علم نظري: علم الاستدلال هو معرفة طريقة ترتيب المقدمات للوصول إلى نتائج، فيكون "بذلك مباين للعلم الضروري من جميع الوجوه فهو أولا علم استدلالي يقع بعد نظروتفكُّر في

[1] - العروي عبد الله، مفهوم العقل، ص: 135

[2] - الكفوي، الكليات، ج01، ص: 114.

[3] - الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج04، ص: 361.

[4] - ألكسندر اغيننوفا، علم المنطق، ص: 174.

حال المنظور فيه"[1]، وهو كل ما استنبط عن طريق الحواس أو عند الحاجة، أي ما جاء عقب وطُلب العلم به بعد استدلال، فهو علم نظري من صنع الفكر البشري، يقع تحت تصرّفه حيث يمكنه ذلك من إحداث تغيير فيه، أو استحداث معطيات جديدة مادية، بديهية فهو علم مكتسب، لذا"يعد النظر أو الاستدلال هو الوسيلة الأساسية للانتقال من مرحلة العلوم الضرورية التي يتساوى فيها البشر إلى مرحلة العلوم النظرية أو الاكتسابية التي يتفاوت فيها البشر تفاوتهم في قدراتهم على النظر والاستدلال"[2]، والعلوم الضرورية هي علوم فطرية تخلق مع الإنسان ويطلق عليه اسم العلم البديهي "الذي لا يحتاج في صيرورته معلوما إلى إعمال فكر، أما النظري فهو الذي يحتاج في ذلك إلى إعمال الفكر"[3].

فالعلم النظري هو علم يكتسبه الإنسان من خلال النظر والبحث عن طريق طلب الدليل، والعلم الضروري يعتبر القاعدة التي يبنى على أساسها الاستدلال ويمثل بالنسبة "للعقل قوانين الأساسية البديهية التي لا تحتاج إلى برهان على صدقها لأنها ضرورية، فليست هذه البديهيات من عمل العقل ولكنها من بنية العقل ومن تركيبه"[4]وهذا لا يعني أنّ لهيس للبديهيات دور فعّال في العملية الاستدلال "فهي وإن كانت تدخل عادة في القياس إلاّ أنّ العقل يراعيها ويلتزم بها عند الاستدلال، وإنما سميت "بديهيات" لأنها من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى برهان"[5]، ولا يكمن الاختلاف بين العلم الضروري والعلم النظري في بنيتهما ومضامينهما بل يصل حتى إلى موضع تأثيرهما.

ونلاحظ أنّه لا فرق بين لفظة النظر ولفظة الاستدلال في كثير من النصوص العربية "فالنظر عبارة عن التصرّف بالعقل في المعنىالأمور السابقة بالعلم والظنّ ، لمناسبة المطلوب بتأليف خاص، قصدا لتحصيل ما ليس حاصلا في العقل، وهو عام للنظر المتضمن للتصور والتصديق، والقاطع الظن، وهو منقسم إلى ما وقف الناظر فيه على وجه دلالة على المطلوب، فيكون صحيحا، وإلى ما

[1] - ألكسندر اغيننوفا، علم المنطق،ص:56.

[2] - المرجع نفسه، ص: 65.

[3] - الشهيد مرتضى المطهري، المنطق،ص: 28.

[4] - حسان تمام، الأصول، ص: 46.

[5] - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي،ص: 395.

ليس كذلك فيكون فاسدا"[1]، وهذا التعريف لا يختلف كثيرا عن حد الاستدلال، ونجد مصطلح آخر يرد في الفكر العربي بنفس المعنى كذلك هو لفظ "الاعتبار" كثيرا ما يتداول بين علماء الكلام "وقد قال القاضي أبو بكر في حدّه: هو الفكر الذي يطلب به من قام به علما أو ظنا"[2]، ومهما تعددتالمصطلحات من نظر أو اعتبار أو استدلال فإنّ جميعها يقصد بها طلب الدليل وهو بيت القصيد عند جميعهم.

3_صور الاستدلال: للاستدلال ثلاث صور رئيسية:

3_1_الاستقراء: وهو استدلال غير مباشر استخدم في مجال العلوم بشكل مكثف وقبل أن توضع نظرية الاستقراء نفسها؛لأنه علم يعتمد على الملاحظة والتجربة في بنائه "إنه يصعد انطلاقا من معطيات التجربة، إلى المبادئ التي يمكن أن تتعلّق عليها بعد ذلك، السلسلة الاستنتاجية"[3]، فهو بذلك علم استنتاجي حيث يعتمد على "تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم هام يشملها جميعا أو هو انتقال الفكر من حكم على جزئي إلى الحكم على الكلي الذي يدخل الجزئي تحته"[4] فتكون بذلك نتائجه ظنّية غير يقينية مع ذلك يشترط شروطا تجعله يجنح إلى الصواب كما نجد اختلافا بين ّ في تحديد مفهوم الاستقراء بين المناطقة والعلماء والتجريبيين، حيث يعرفه المناطقة بأنّه "الانتقال من الجزئي إلى العام"[5]، بينما يحده التجريبيين بقولهم: "هو الانتقال من الوقائع إلى القانون"[6]، وهذا النوع من الاستدلال نجد العرب قد مارسوه في بداية مرحلة تدوين علومهم وأهمها علوم اللغة والنحو وفي كثير من المسائل الفقهية [7] التي استطاع بها العلماء تكوين أحكام عامة بعد جمع المعلومات ومن النّاس وسبرها، لذا عدّ الاستقراء كبرى الوسائل التي اعتمد عليها علماء المسلمين، فيما توصّلوا إليه من معارف وفيما دوّنوه من علوم"[8]، إذ عكفوا على جمع مفردات اللغة العربية من بوادي شبه الجزيرة العربية، ليضعوا على أساسها قوانين ميزان الصرفي وكذا قوانين الاشتقاق،

---

[1] - الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام،ج01، ص: 11.

[2] - المصدر نفسه، ص: 11.

[3] - روبير بلانشي، الاستقراء العلمي والقواعد الطبيعية، ت: محمود اليعقوبي، دار الكتاب الحديث،(د.ط)، 2003م، ص: 06.

[4] - حنبكة الميداني،ضوابط المعرفةو أصول الاستدلال والمناظرة،دار القلم،دمشق،ط4، 1993م،ص: 188.

[5] - روبير بلانشي، الاستقراء العلمي والقواعد الطبيعية، ص: 09.

[6] -المرجع نفسه، ص: 09.

[7] - ينظر حبنكة الميداني،ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال والمناظرة، ص: 190.

[8] - المرجع نفسه ،ص: 190.

والنحو والعروض ونحو ذلك "فدراسة بعض الجزئيات قد يدل الفكر على قانونها العام الشامل لها وأشباهها، ولئن ظل احتمال مخالفة ما يُدرس لما درس احتمالا قائما، إلاّ غلبة الظن ترجّح انتظام كل الجزئيات تحت قانون واحد، قد يصل الباحث إليه كله، أو إلى بعضه"[1].

والاستقراء نوعان من حيث بنائه فهناك:

3-1-1الاستقراء التام: ويقصد به العملية الاستقرائية التي تتبع جميع الظواهر أو جميع الأفراد الذين هم محور الدراسة والبحث و"يتم فيه استيعاب جميع جزئيات أو أجزاء الشيء الذي هو موضوع البحث، بالنظر والدراسة العلمية"[2]، ومعنى هذا أننا لا نصدر حكما على الكل إلا بحكمنا على كل فرد ممّا أحصاه البحث "وقد يفيد اليقين وذلك إذا بلغت المعرفة بسببه مبلغ اليقين"[3]، وعندها تصبح النتيجة الصادقة بمثابة قوانين عامة، إذ يعتبر القانون "حقيقة علمية بلغت درجة اليقين بالبراهين القاطعة"[4].

3-1-2الاستقراء الناقص: وهو يختلف عن الاستقراء التام من الناحية كمية الظواهر المدروسة حيث يتم فيه دراسة عينات من الموضوع التي يراد معالجتها أي تشمل بعض الظواهر فقط "فيستخدم الاستقراء الناقص عندما لا يكون بالإمكان تتبع كافة حالات الظاهرة المدروسة، فتصوغ الاستنتاج بالنسبة لهذه الحالات جميعا"[5]، فالحكم يكون من الحكم على البعض إلى حكم كلي ويرجع سبب أخذ بعض العيّنات لصعوبة دراسة كل الظواهر أو لصعوبة تتبع الظاهرة في مكان أو زمان حدوثها أو لتطاول زمن حدوثها أي بمعنى أنها تفوق قدرة الإنسان على ملاحظتها ودراستها "والناس من قديم الزمان لديهم أحكام كلية عامة، استندوا فيها إلى النتائج التي توصّلوا إليها بالاستقراء الناقص، وكانت أحكامهم هذه مفيدة ونافعة"[6]ويرجع استخدام هذا النوع من الاستدلال وشيوعه بين النّاس و لاسيما بين علماء العلم التجريبي؛لأنّ الإنسانبناء على غلبة ظنّه بأنّ نظام الكون ذو قوانين كلية

[1] - ينظر حبنكة الميداني،ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال والمناظرة، ص: 192.

[2] - المرجع نفسه، ص: 193.

[3] - حبنكة الميداني،ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال والمناظرة، ص: 193.

[4] - المرجع نفسه، ص: 209.

[5] -ألكسندر ا غيتاتوفا،علم المنطق، ص: 239.

[6] -حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال والمناظرة، ص: 194.

يندر فيها الشذوذ مادام النوع المدروس واحدا"[1]غير أنّ نتائج الاستقراء الناقص تكون ظنّية غير يقينية،وبالتالي القانون قد تشذّ عنه حلات، أو قد تستجد فيه مستجدّات؛ لأنّ جميع الظواهر لم تستوف بالبحث، لكن رغم هذا يبقى الاستقراء الناقص أوسع استعمالا وأرقى درجة من الاستقراء التام، لأنه يقدم للعلم فرصا عديدة للبحث والتعميم والاكتشاف، "على الرغم من هذا الفساد الأصلي يصل أحيانا إلى نتيجة صادقة، واعتمادا على صدق هذه النتيجة فقط يقع الحكم عليها، ولهذا فليس المنطقي هو الذي يبث في هذا الأمر حسب مقاييس الواقع"[2].

وبما أنّ الاستقراء الناقص مجاله البحث العلمي التجريبي فإنّه يقوم على " السند المنطقي الذي يرجع إلى ملاحظةقانونين مهيمنين على الظواهر الطبيعية بصفة عامة، هما قانون العليّة (أي: السببية) وقانون الاطراد"[3]، والعلّية هي الأسباب الكامنة وراء حدوث الظواهر للاعتقاد الجازم أنّ كل حادثة في الكون وكل ظاهرة من ظواهرها، إنما هي أثر لسبب من الأسباب أو علة من العلل"[4]، بينما قانون الاطراد فيقصد به إلحاق كل ما يشابه من الحالات إلى الظواهر المدروسة، وذلك لأنّ "الأسباب والعلل المتشابهة تنتج عنها مسببات معلولات متشابهة"[5]، والاستقراء عملية تركيبية ؛لأنها تنتقل من أجزاء الظاهر إلى قانون عام عكس الاستنتاج الذي يعتبر عملية تحليلية تنطلق من قانون عام شامل ونطلق حكمه على أجزاء من الظاهرة العامة[6].

"فأما الحتمية فهي الفكرة المساوقة للاستقراء الناقص لأنّ الاستقراء الناقص بدونها سيتعصي على التبرير"[7]، فهي تعطي ميزة الشمول للعلم حيث تعمم الحكم على جميع الظواهر التي تتشابه وتلتقي عندها نفس الأسباب.

[1] - حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 193 ،ص:194.

[2] - روبير بلانشي، الاستقراء العلمي وقواعد الطبيعة، ص: 16.

[3] -حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال والمناظرة ،ص: 196.

[4] - المرجع نفسه ، ص: 196.

[5] - المرجع نفسه، ص: 197.

[6] -ينظر، المرجع نفسه، ص: 140، ص: 141.

[7] - حسان تمام، الأصول، ص: 17.

والاستقراء عامة ينطلق من فرضيات يطرحها الدارس في بداية دراسته و التي هي بمثابة احتمالات واردة،حيث"يظل الفرض طرحا احتماليا حتى تتراجع صحّته بالدليل وعندئذ يتحوّل فيكون نظرية مقبولة بصفة ترجيحية"[1].

والأصول التي تنبني منها الفروض هي الوقائع المعقولة فهي مجرد "تخمين، مؤسس علميا حول الأسباب أو الروابط القانونية بهذه أو تلك من ظواهر أو أحداث طبيعية والمجتمع والتفكير"[2]، بينما هذا التخمين كثيرا ما يقود إلى نتائج حقيقية لأنّه من تحصيل حاصل العقل، وتلعب الفرضيات دورا مهما في سير مراحل التي تقطعها التجربة فهي تطرح "بهدف الكشف عن أسباب ظهور القانونيات لدى مجموعة فرعية من المجموعة المعينة"[3]، ويعتمد الاستقراء على طرق يتخذها سبيلا للوصول إلى قوانينه منها النسبية، وتعتمد على كمية السبب وعلاقته في إحداث النتيجة أي كلما زاد السبب في ظاهرة معينة لزم عن ذلك ازدياد في النتيجة المتوقّعة، والعكس صحيح[4]، والطريقة الأخرى المعتمدة هي طريق "النظر في البواقي" وتكون "بربط المعلوم بالمعلول، وحصر الباقي بالباقي"[5]، وتستخدم عادة عندما تكون الظاهرة مجزّأة وكانت لهذه الأجزاء أسباب نعرفها، فنقوم بربط كل سبب بجزء فإذا بقي الجزء الأخير تم ربطه بالسبب الباقي"يقابل طريقة البواقي هذه طريقة السبر والتقسيم في الفكر الإسلامي"[6]، التي كثيرا ما يعتمدها الفقهاء في أحكامهم وإن كانت طريقة الطّرح تختلف عن طريقة السبر والتقسيم، وطريقة البواقي توزّع المسببات في الظاهرة على أسبابها، وتحصر الباقي من الظاهرة في الباقي من الأسباب، أما طريقة السبر والتقسيم فتقوم على حصر جميع الأسباب المحتملة، وإسقاط واحد بعد آخر بدليل، وحصر الأمر في السبب الأخير[7].

3-2.القياس: هو كل قول مؤلف من مقدمتين تلزم عنها نتيجة "وهو نوع من الحجج أو أحد طرق الاستدلال غير المباشر وأقومها إنتاجا"[8]، وفي عبارة القياس ما يمكن أن نلاحظ أنه يعتمد

---

[1] -حنبكة الميداني،ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال والمناظرة، ص: 208.

[2] - ألكسندر اعتيتانوفا، علم المنطق، ص: 293.

[3] - المرجع نفسه، ص: 315.

[4] -ينظر، حنبكة الميداني،ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال والمناظرة، ص: 209.

[5] - المرجع نفسه، ص: 224.

[6] - المرجع نفسه، ص: 225.

[7] -ينظر،المرجع نفسه ،ص: 225.

[8] - حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 227.

على الاستقراء في عرض قضاياه ؛"لأنّ القياس إنما صار حجة ؛لأنّ النص كان معلوما بوصف ملائم مؤثر فإن وقف مجتهد على ذلك المعنى وأصاب طريقة كان ذلك مسموعا منه، وإن لم يسبق له"[1]، وعليه فالقياس خطاب تكون فيه بعض الأمور معطاة، فينجم عن ذلك بالضرورة شيء آخر غير هذه المعطيات، فهو "يبدأ من قضايا مسلم بها ويسير إلى قضايا أخرى تنتج عنها بالضرورة دون الالتجاء إلى التجربة وهذا سيكون إما بواسطة القول أو الحساب"[2]، يتركب القياس عادة من ثلاثة حدود يتكرر فيها حد يسمى الحد الأوسط ويكون له دور أساسي في توجيه عملية الاستدلال، حيث يعمل كوسيط بين الحدين الآخرين، أحدهما يسمى الحد الأكبر وآخر الحد الأصغر "فالطرف ذو الاتساع الأكبر والذي يظهر أولا هو الطرف الأكبر أو الكبرى والطرف والاتساع الأصغر والذي يأتي بعد الآخر وهو الطرف الأصغر أو الصغرى"[3]، والقياس نوعان باعتبار التصريح بأطرافه أو عكس ذلك.

3-2-1 القياس التام: وهو ما ذكر جميع أطرافه صراحة وهذا الشكل من القياس "يستخدم حاملا لبرهان العلوم الرياضية، وبوجه أعم للعلوم التي تبعث عن السبب "لماذا" متابعة الجوهرية؛ لأنّ الجوهر توكيدي وكلي"[4]، تكون النتائج في هذا النوع من أشكال القياس نتائج يقينية منطقية بعيدة عن الاحتمال.

3-2-2 القياس الناقص: وفي هذا النوع من القياس يكون أحد أطرافه إمّا مضمرا أو محذوفا، وهذا النوع شائع التداول بين الناس، فكثير ما يلجأ إليه لأسباب عديدة منها الإيجاز أو لأنهّا من البديهيات المعروفة بينهم فلا تكون هناك الحاجة لذكرها وغير ذلك من الأسباب "يقال عن هذا القياس أنه كامل في الذهن ناقص في التعبير"[5]، ويسمى كذلك القياس المضمر؛لأنّه "يقلّص العبارة القياسية، ويعتبره أرسطو قياسا مؤسسا على مقدمات شبيهة، أو قياسا ناقص التكوين"[6]، وهو يستخدم بشكل كبير إذا ما قارناه بالقياس الحملي التام، رغم أن نتائجه تكون احتمالية ظنّية

[1] - محمود سعد مباحث البيان عند الأصوليين والبلاغيين، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ط)،(د.تا)،ص: 77.

[2] - د. عبد الفتاح محمد العيساوي، عبد الرحمان محمد العيساوي، مناهج البحث العلمي في التفكير الإسلامي، ص: 49.

[3] - روبير بلانشي، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل، ص: 63.

[4] - المرجع نفسه، ص: 72.

[5] - الكسندر اغنتمانوفا، علم المنطق، ص: 195.

[6] - محمد طروس، النظرية الحجاجية ، من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية،دار الثقافة،دار البيضاء،ط1، 2005م،ص: 25.

والمناطقة يسمونه "قياسا ناقصا ذلك الذي يحتاج إلى شيء أو جملة أشياء تنجم، في الحقيقة عن أطراف واردة، لكنها غير معلّنة صراحة"[1].

3-3.القياس التمثيلي: يعتبر هذا النوعمن أهم الأقيسة المستعملة عند العرب، فجميع كلامهم تقريبا بني على هذا القياس ويعرفه المناطقة بقولهمقولٌ مؤلّفٌ من قضايا تشتمل على بيان مشاركة جزئي لآخر في علة الحكم يثبت الحكم له"[2] كما يعرف عند البلاغيين بالتشبيه ويدخل فيه كل أنواع التشبيهو كثيرا ما يوظف في الحدود كما "قد يلجأ التعريف أيضا إلى التشبيه، فيستغنى عن الشيء في حد ذاته، ويختار شيئا شبيها معروفا ومشهورا، ولو كان التشبيه مغاليا أو تبسيطيا أو قائما خادعا؛لأنّ الحجة الشبيهة، كمعادلة تبسيطية تتغاضى عن اختلاف السياقات"[3]، انطلاقا من أن القياس عند العرب استخدم في كثير من العلوم العربية، فيسميه علماء الفقه بالقياس وكذا علماء النحو: "القياس النظري النحوي وهو قياس الحكم على الحكم لغة جامعة أو لشبه بين الطرفين"[4]، أما في البلاغة والنقد العربيين يظهر بشكل "القياس التطبيقي هو الذي نكتب به أساليبنا في الكتابة والتكلّم أيضا"[5] وهذا لأنّ القياس التمثيلي يختص باللغة الطبيعية التي تبنى على آليات قياسية حيث "يستند إلى مسلمات "الحوارية" و"الوصفية" و"البنائية" و"الترتيبية" وينبني على عمليات "التفريق" و"التثبيت" و"الإلحاق""[6].

ويعتمد القياس التمثيلي عامة سواء عند الفقهاء وهو قياس الأصل على الفرع أو عند البلاغيين الذين عرفوه باسم التشبيه على رابط يجمع بين حدي القياس وهذا الحد المعروف بوجه الشبه عند البلاغيين أو بالعلة الجامعة عند علماء الفقه وبالتالي: "أيا كانت الصيغة التعبيرية التي يرد بها "القياس" إن مقارنة أو تشبيها أو استعارة أو غيرها فإنّه يقوم في الربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما"[7].

---

[1] - روبير بلانشي، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل ، ص: 72.

[2] - ألكسندر اغنتمانوفا، علم المنطق، ص: 195.

[3] - محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص: 29.

[4] - حسان تمام، الأصول، ص: 66.

[5] - المرجع نفسه، ص: 153.

[6] - طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 290.

[7] - طه عبد الرحمن أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 98.

كما أن هناك تقسيم آخر للقياس حسب وظائف استعماله:[1]

أ.القياس البرهاني: ويكون لإثبات حقائق العلوم فينطلق من مقدمات يقينية صادقة ليصل إلى نتائج يقينية لا تحتمل أي خطأ.

ب.القياس الجدلي: ويكون لدحض اعتراضات الخصم وإقناعه بالفكرة المطروحة ويستخدم في المناظرات، ومجالات النقاش عامة وتكون نتائجه احتمالية ويسمى أيضا "السفسطة" وهو "القياس الذي يهدف إلى تضليل الخصم"[2]، فيعتمد على المغالطة والتمويه[3].

ج.القياس الخطابي: ويكون الغاية منه الإقناع والتأثير، لا يهتم صاحبه بصدق قضاياه، ولا بصدق النتيجة التي يصل إليها، فهمه الوحيد هو حمل المخاطب على الاقتناع برأيه وجعله يتبناه بل ويعمل به، ويُستعمل في المحافل الخطابية أو في الإعلانات الإشهارية.

د.القياس التخييلي: ويسمى القياس الشعري وهو يعتمد على التصوير والإيهام والغرض منه التلاعب بمشاعر الناس وإثارة مشاعرهم وانفعالاتهم لبث الحماس وقد يستعمل فيه بعض المقدمات التي ليس لها علاقة بالواقع بل من صنع الخيال لكن المخاطب يقتنع بها و يتأثر لها وإن كان يعلم عدم صدقها "ويسمى القياس الذي يستهدف إلباس المطلوب حلّة وهمية جميلة أو قبيحة بـ "الشعر"، ومن هذا القبيل جميع التشبيهات، والاستعارات والمجازات"[4].

ويبنى القياس عادة من عملية فكرية بسيطة تبدأ بقضايا معلومة وينتج منها قضايا أخرى لزمن عنها بالقوة: "دون الالتجاء إلى التجربة وهذا السير يكون إما بواسطة القول أو الحساب"[5].

[1] - ينظر،ابن سينا،الإشارات والتنبيهات،ص:460إلى 463،وينظر الشهيد مرتضى المطهري، المنطق، ص:132إلى134.

[2] - الشهيد مرتضى المطهري، المنطق، ص: 134.

[3] - ينظر، ابن سينا، الإشارات والتنبيهات،ص:462.

[4] - شهيد المرتضى المطهري، المنطق، ص: 133.

[5] - عبد الفتاح محمد العيساوي عبد الرحمان محمد العيساوي، مناهج البحث العلمي في التفكير الإسلامي ،ص: 49.

4_بناء الدليل:

الاستدلال يلزمه معطيات ثلاثة على الأقل هي: الدليل وما يطلب من الدليل والنتيجة وهذه العناصر الثلاثة الأساسية التي يبنى عليها الاستدلال السليم، وأهمها الدليل، فهناك علاقة وطيدة بين الاستدلال والدليل فلا يمكن أن يكون أحدهما من غير الآخر فنجد الاستدلال بمعنى "سوق الدليل وتقريره للإثبات أو هو البحث العقلي بطريقة منظمة، توصلا إلى حقيقة مجهولة بمساعدة حقائق معلومة"[1]، وعند بناء الدليل لابد من مراعاة الجوانب التالية للدليل أولهما: المعرفة النظرية ويدخل في إطارها كل المعارف والمكتسبات القبلية سواء كانت من البديهيات أو التي تطلبت التحقيق و النظر لاكتسابها، وثانيهما: المقام فالدليل يتبدل كلما تبدلت أنساقه ومقاماته أي مراعاة الزمان و المكان، و أخيرا يجب أن يراعى العقل حتى يتحقق الإقناع، فهو يقوم على الدليل والعقل في ترتيب واختياره أي ينطلق من ما هو معلوم، ظاهر إلى ما هو مجهول خفي، فيبينه ويصبح عندها معلوما مدركا، فالاستدلال بذلك عملية عقلية يعمل على تطبيقها المنطق بتوظيف قوانينه حتى يسلم من الخطأ أو الغلط.

وقبل أن نخوض في العناصر التي تستوجب إقامة الدليل من: معارف وعقل، ومقام[2] لابد أن نقف على تحديد معنى الدليل:

4_1_مفهوم الدليل: الدليل في التراث العربي الإسلامي كثيرا ما يرد باسم الحجة أو البرهان وإن كان هناك من يفرق بينهما، وهذا ما يظهر في لسان العرب في مادة حجج "الحجة: البرهان وقيل الحجة ما دفع به الخصم، وقال الأزهري الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصوم، وهو رجل محاجج أي جدل والتحاجج: التخاصم وحجه حجا،غلبه بالحجة واحتج بالشيء اتخذه حجّة قال الأزهري:إنما سميت حجة لأنها تحج أي تقصد لانّ القصد لها وإليها، والحجة الدليل والبرهان"[3]، فالحجة تختص بالمنازعات ويؤتى بها عند إقامة الدعوى حسب ما ورد في التعريف السابق ومن جهة "ترادف الحجة "الدليل"... وهو ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"[4].

---

[1] - إميل بديع يعقوب، مشيل عاضي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار الملايين، بيروت، ط01، 1987م، ص: 87.

[2] - ينظر، طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص:64.

[3] -ابن منظور، لسان العرب، مادة حجج، ج04، ص: 38..

[4] - التهانوي، كشاف إصلاح الفنون، مادة الدليل، ص: 797.

حتى أنّها تستخدم من أجل نفس الغاية التي يقام لها الدليل كالإثبات "هي التي يؤتى بها في إثبات ما تسمى الحاجة إلى إثباته من العلوم التصديقية"[1]، وعليه فالحجة هي كل ما يؤتى به لتبيين قصد التصديق، فهي بالتالي قد تكون بنفس دلالة "الدليل" الذي لابد أن يكون معلوما بعلم آخر، وكذلك يمكن أن يكون هذا الدليل استقراء أو تمثيلا كما أن أهل الكلام يطلقونه على جميع ما ينظر فيه بوعي للوصول من خلاله إلى نتيجة أو حكم بين ّ ، وكذلك اعتبر علماء الأصول الدليل هو الخبر[2] الذي يراد إثباته "فيحصون اسم الدليل بما أوصل إلى العلم، واسم الأمارة بما أوصل إلى الظن، وعلى هذا فحدّه على أصول الفقهاء، أنّه الذي يمكن أن يتوصّل بصحيح النظر إلى مطلوب خبري"[3]، ولعل هذا التقارب بين التعاريف وإن تنوعت مجالاتها يرجع إلى ما سبق وأن بيناه في المدخل من أنّ المعارف في التراث العربي الإسلامي تتداخل وتتشاكل فيما بينها[4]، بحيث يفترق كل مجال عن الآخر بما يتناسب وخصوصية علمه، ورغم ذلك يمكن أن نصل إلى أنّ الدليل هو كل ما استوجبه الاستدلال ومهما كان نوعه.

4_2_أنواع الدليل: ينقسم الدليل إلى نوعين رئيسيين هما الدليل العقلي والدليل النقلي وهو المتعارف عليه بعلم التواتر "إنه الخبر المفيد للعلم اليقيني، بمخبره، وهو غير مانع لدخول خبر الواحد الصادق فيه"[5]، أما العقلي فهو الذي يتوسل في طلبه إلى أحكام العقل وقوانين المنطق.

ولابد أن نفرق بين معنى الدليل وبين ما يستند عليه الدليل في بنائه مثل: [6]

1.الأمارة: ويقصد بها العلاقة التي يعرف بها الشيء ترتكز على ثلاثة عناصر وهي: الظهور والعالمية أي الشهرة والظنّية ،حيث لا تصل إلى مرتبة اليقين لذا يعتبر الدليل أعم منها "والأمارة الدالة على كل أمر هي قرينته"[7].

---

[1]- شكري المبخوت،الاستدلال البلاغي،دار المعرفة للنشر كلية الآداب والفنون الإنسانية بجامعة منوبة، تونس،ط1، 2006 م، ص: 162 ، ص:98.

[2]- ينظر، الآمدي،الإحكام في أصول الأحكام، ج02، ص: 258.

[3]- المصدر نفسه، ج01، ص: 10.

[4] - ينظر، المدخل، ص:10.

[5] - الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج02، ص: 258.

[6] - ينظر، طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 133إلى137

[7] - حسان تمام، الأصول، ص: 335.

2البيّنة: تكون قريبة للإدراك لأنها واضحة قريبة للفطرة، يتقبلها العقل والقلب معا أي أنها دليل وصل إلى حد الإقناع المطلق بحيث يمكن معها الاستغناء على الاستدلال "البينة ما كان من الأدلة ظاهرا للقلب أو واضحا للذهن، وهذا الظهور أو الوضوح يجعل البنية قريبة الإدراك"[1].

3.الشاهد: ينزل الشاهد كثيرا منزلة الدليل إذ يبطل به دليل الخصم بمجرد ذكره لكن يشترط أن يكون الشاهد يتوافق ومقتضى الحال " فإننا في الشاهد ننطلق من فكرة خاصة لتبرير فكرة خاصة أخرى"[2]، تكون أولهما أشهر من الأخرى وتتنوع الشواهد بتنوع مصادرها.

4.الحجة: الحجة تتقاطع مع الاستدلال والدليل فهي "دليل إتيان أو نفي قضية ما والحجج قسمان حجج منطقية وتسمى الاستدلال (Raisonnement) مثلا استدلال استنتاجي أو استدلال بالمماثلة، والحجج الواقعية، وتسمى الدليل (Preuve) مثلا واقعة أو شهادة"[3].وعليه فهي كل ما يؤتى به للإثبات قصد التصديق، فقد تكون عند ذلك نفسها الدليل.

ويبقى "الاستدلال باب واسع يكاد يرادف الانتقال من قول إلى قول على أساس وجود تلازم بينهما بصورة من الصورة"[4]، فهو أوسع من الحجة وأشمل لها.

4-3 ترتيب الأدلة: لا تتوقف الأدلة على التجميع في العملية الاستدلالية مهما كان نوعها إنما لابد أن يراع فيها نظام من الترتيب حيث أن هناك أدلة تستوجب أن تتقدّم وأخرى عكس ذلك، فمثلا الدليل القوي ينفي أي دليل ضعيف يأتي بعده، كما أن هناك أدلة تقوي بعضها البعض "ولولا هذا الترتيب لعناصر الدليل، لما تميز الأصل من الفرع ولا العامل من المعمول"[5]، والترتيب في الأدلة ليس الهدف منه هو ترتيب الأماكن حيث لا يحتل دليل مرتبة الآخر إنما الترتيب يراد به "ترتيب وظائف، بحيث إذا حفظت الوظيفة، فلا مانع من تغيير الموقع، وإذا تغيرت، فلا ضرورة في حفظه، فسواءوجدت المقدمة في الصدر أو العجز من هيئة الدليل، فإنّ هذا الاختلاف في الوضع لا يؤثر فيها ما لم يختلف دورها الاستدلالي، ويعلو أنها القضية المبنى عليها، وكذلك الحال بالإضافة إلى

[1] - طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 136.

[2] - محمد الوالي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وبرلمان، مجلة عالم الفكر المجلد40، 2011م،ص: 31.

[3] - دروس الحجاج وما يعاضد هذا النص: الفلسفي بعلم أبو الزهراء، مجلة الشبكة التربوية الشاملة، 2008م، ص: 05.

[4] - شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، ص: 162.

[5] - طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 67.

العناصر الباقية التي تدخل في تركيب الدليل"[1]غير أنّ العقل والمعارف والمقام من العناصر الأساسية في تركيب الدليل التي لا يمكنه أن يستغني عليها الدليل [2].

5- الاستدلال ظاهرة عقلية غير قومية: كل خطاب يبنى على العقلانية لإضفاء ثوب المصداقية عليه ويصل إلى الإقناع عند ملامسته الحقيقية، إذن "لا نتاج فكري من دون استخدام أجهزة مفهومية، وأدوات عقلية أو تقنيات استدلالية، تستوي في ذلك جميع الخطابات وبكلام آخر لا خطاب يخلو من جانب معقول وإن خفي أو لم يصرح به، إذ كل خطاب يلجأ إلى استخدام شكل من أشكال العقلانية لتسويغ ذاته واكتساب مشروعيته، وإن تفاوتت العقلانية بين خطاب وآخر"[3]؛لأنّ في العقل تندرج الحقائق التي هي أصل الحقائق الجديدة.

للعقلانية صلة وثيقة بالاستدلال.لذا فإنّ "الفعل العقلي الذي ينتج "العلم" بالاستناد إلى معارف سابقة هو الاستدلال"[4]، فهو الذي يحكم على صحة أو فساد الخطاب "فإذا قيل "أقام الدليل" فكما إذا قيل حكم بالعقل"[5]لأنّه أداة المنطق ووسيلته في ترتيب الأدلة واستنباط النتائج، عندها تصبح النتائج المتحصل عليها قابلة للبرهنة عليها من جديد، أو القدرة على الاستدلال على تلك النتائج معتمدين على نفس المراحل الفكرية وهذا ما يرقى إلى مستوى العلوم "وهكذا فالعلم بالبرهان إنما بالبرهان، والبرهان تُؤسسه المبادئ، والمبادئ لا برهان عليها بل يدركها العقل بفعل مباشر"[6]، وعليه فالبرهان عملية فكرية نابعة من العقل وتؤول إليه، والقول الذي يعاضد هذا الكلام "يبدو أن النمط البرهاني في التعبير سمة صادقة على تحصيل علم يقيني يكتسب بالعقل ويحلّ فيه"[7].

وعليه فإنّ الاستدلال لا يبنى إلاّ على سند عقلي منطقي وإلا بطل حكمه، فالعلم يستند على علم آخر قبله مثبت في العقل البشري اكتسبه من الواقع أو بالتجربة ويتم ذلك بعملية تجميع للجزئيات التي تؤدي بدورها إلى الإدراك الحدسي، ويتم ذلك كله في العقل "والحدس: هو الإدراك

[1] - طه عبد الرحمان،التكوثر العقلي، ص: 68.

[2] - ينظر، المرجع نفسه،ص:64.

[3] - علي حرب، نقد النص: (النص: والحقيقة I)، المركز الثقافي العربي، ط2، 1995م،ص: 120.

[4] - محمد عابد الجابري،بنية العقل العربي، ص: 391.

[5] - طه عبد الرحمن، تكوثر العقلي، ص: 58.

[6] - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي،ص: 392.

[7] - العروي، مفهوم العقل، ص: 107.

المباشر لموضوع التفكير وله أثره في العمليات الذهنية المختلفة فما يلحظ في الإدراك الحسي يسمى حدسا حسيا ويكون أساسا للبرهنة والاستدلال ويسمى حدسا عقليا"[1]، وهو منبع الأفكار التي تولد النظريات والقواعد و"هي أصول المعارف التي يعمل الفكر على تحويلها إلى أبحاث نظرية أو إلى خطابات استدلالية"[2]، فالعقل في العملية الاستدلالية يشغل حيزا هاما ودورا فعالا سواء تعلّق الأمر بأصول الاستدلال أو بتركيبه أو فيما يعلّق بغاياته ومراميه ؛"لأنّ العقل بجوهره غير موجب دون النظر والاستدلال"[3]؛وتبقى مكتسبات العقل أي "العلم الضروري" كادسة عاطلة غير فعالة تلجأ كثيرا إلى الخيال لعلها تصل بذلك إلى حقيقة الأمور، فتعطي عند ذلك تفسيرات خرافية، وهمية، لا دليل عليها، وهذا إذا ما أستبعد الاستدلال .

فالعقل هو أداة التفكير التي "ترتب أمور معلومة لتحصيل أمر مجهول"[4]، فالفكر يخضع المعلومات ويقوم بالسيطرة عليها. وهذا التفكير لا يقود دائما الإنسان إلى الحقيقة، فغالبا ما يوقعنا في الكثير من الأخطاء، وهذا إذا ما استغل العقل استغلالا خاطئا، لذا يستوجب عندئذ توظيف المنطق، "فهو الذي يتكفّل ببيان قواعد وقوانين هذا التنظيم والترتيب"[5].

ومن خلال ذلك يتبين أنّ العملية الاستدلالية ما هي إلا عملية لابد من أن تلتزم قوانين التفكير المنطقي الصحيح، حتى يكون على درجة عالية من الصحة لتصل إلى الإقناع "إنّ الاستدلال في عالم الذهن بمنزلة البناء"[6]، الذي لا تشوبه شائبة ولا يعتريه نقص يرتكز على مقدمات صحيحة، ومواد صالحة للبناء ليرفع صرح الحقيقة، ويكون "بما يجتمع لدى العقل من صور المدركات عن طريق الحس الظاهر أو الباطن، أو عن طريق أخبار الآخرين التي تحكي ما توصلوا إليه من معارف، وبما يتخيّله من صور تركيبية جديدة يبتكرها، وبما لديه من أصول فطرية تتألّف منها موازينه وقوانينه الذاتية، يستطيع أن يقوم بأعمال فكرية كثيرة"[7]؛ فأعمال العقل جميعها استنباطية، استدلالية سواء

[1] - عبد الفتاح محمد العيسوي، عبد الرحمان محمد العيسوي، مناهج البحث العلمي في التفكير الإسلامي ،ص: 87.

[2] - علي حرب، نقد النص: (النص: والحقيقة I) ،ص: 221.

[3] - الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ص: 81.

[4] - الشهيد مرتضى المطهري، المنطق،ص: 13.

[5] - المرجع نفسه،ص: 14.

[6] - الشهيد مرتضى المطهري، المنطق، ص: 15.

[7] -حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 132.

كانت تحليلية[1] تنطلق من العام إلى الخاص أم تركيبية حيث تنطلق من تجمع لجزئيات متناثرة في الفكر ليركب منها معرفة جديدة، أما العملية التحليلية "تقوم على عزل ذهني لصفات الشيء الموضوع للتحليل، أو عزل خواصه، أو عزل لأجزائه بعضها عن بعض، بقصد معرفة حقيقته"[2]، وبالتالي يقوم المفكر بعملية تجريدية يصل بها إلى أجزاء الظاهرة المركبة من عدة ظواهر، بينما التركيب "هو انتقال الفكر من الأجزاء الصغيرة، أو من العناصر البسيطة إلى الكل الذي يتركّب منها، أو يمكن أن يتركب منها"[3]، وتعتبر كلتا العمليتين التحليلية والتركيبية ذات دور مهم في اكتساب المعارف ووصول إلى نتائج حقيقية تقوم عليها العلوم.

بما أنّ العقل الإنساني محدود ولا يمكنه العمل إلا بأداة توصله إلى هذه الحقائق كالعلامات أو الإشارات، فيمكن أن نتصوّر العقل على أنه غريزة في الإنسان ولا تؤدي وظيفتها، بل لا يكتمل وجودها، إلا بما يكتسبه الإنسان من معرفة إما بواسطة النظر،والنظر ليس نظر العقل في "الدليل" والدليل يقع خارج العقل ليس داخله، إنه أشياء العالم بوصفها علامات أو أمارات شاهدة على مدلولات غائبة"[4]، ولا يكون الكلام دليلا إذا تميّز بخصائص معيّنة أساسها العقل الذي يمثل الحكمة والمعرفة وهو الوحيد الذي له الحق في إصدار الأحكام فلا "يستحق القول أن ينزل منزلة الدليل، لا بقرار تحكمي أو بإملاء إداري، وإنما بالنظر العقلي وحده، فالعقل هو الذي يحكم بصلاح القول أو بعدم صلاحه لأنّ يكون دليلا على مدلول معين، ولا يضع الدليل إلا من يسمّي "بالحكيم"، علما بأنّ "الحكيم" "في اصطلاح النظار، هو من كان في أحكامه لا يخاف مقتضى العقل"[5].

ويلزم عن هذا أنّ هناك علاقة تربط بين القول والدليل هي الحكمة وإلا وصف القول بالعبث "فحينئذ تكون الأدلة هي عبارة عن الأقوال الحكيمة"[6]؛لأنّها تعتمد على مقاييس منطقية، حقيقية يمكن الرجوع إليها عند الحاجة بإعمال العقل كلما لزم الأمرإليها، وعليه فإنّ مصدر العلاقة بين الحكمة والاستدلال تقوم على علمية تبادلية فالحكمة تعد مصدرا مؤسسا للاستدلال وكذلك

[1] - يقصد بها الاستنتاج أو الاستنباط.

[2] -حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 140.

[3] - المرجع نفسه،ص: 141.

[4] - محمد عابد الجابري،بنية العقل العربي، ص: 38.

[5] - طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 57.

[6] - المرجع نفسه، ص: 57.

الاستدلال يقود إليها "فالدليل وإن كان صيغة في التعبير تطول أو تقصر وكان ضربا من التأمل يبعد أو يقرب، فإنّه بعد طول المران وحصول الملكة فيه يصير بمنزلة الحدس"[1]، والحدس إنما هو شيء يتلقاه الذهن بدون اللجوء إلى دليل "كما لو كان ينقدح في قلب الإنسان انقداحا من غير استدعاء ولا اصطناع وسيلة، بينما مدرك الدليل هو مدرك مستفاد بطريقة غير مباشرة قائم على طلب الإنسان وعلى ابتناء أداة لتحصيله أو قل بإيجاز، الحدس عطاء، في حين الدليل بناء"[2].

والعلوم الاستدلالية هي مرحلةالحقيقية للبحث والدراسة يسعى الإنسان من خلالها كشف أسرار ومكنونات الظواهر وإلى معرفة طرق الوصول إلى هذه الحقائق والوقوف على نتائج التجارب، وأول طريق قد ينتهج لذلك هو طرح الفرضيات والأسئلة فيكثر عندها الجدل والمراء والأغاليط، فالكل يدلي برأيه "فإنّ المعاني والمعلولات واحدة عند جميع الناس وجميع الأمم لأنّ مصدرها ليس الألفاظ بل ما هو حسي والأفعال وردود الأفعال، وهذه كلها موضوع إدراك وانفعال جميع الناس"[3]، ويعتبر الفكر الإنساني أفسح مجالا للاستدلال ، وبالتالي أقدر على خلق صور استدلالية جديدة، ومعارف إنسانية غير معروفة من قبل "إذا ثبت أنّ الفكر الطبيعي مجال لاكتشاف الحقائق العلمين غير تحديد لعددها ولا لنوعها، تبين أنّ هذا الفكر يتميّز بالثراء ويتسع لمختلف المعارف الإنسانية، بما في ذلك المعارف المنطقية"[4]، فهو يشكل الحلبة التي تمتزج فيها المعارف، ليقوم بتمحيصها وتطويرها من جديد .

فالمعارف تبنى على بعضها البعض "وبكلمة واحدة إن العقل البشري عندها هو ثمرة "تراكم تاريخي""[5]؛ وإنّ المعارف التي تؤسس على العقل والمنطق تكون محل اتفاق بين الناس لا جدال في مصداقيتها لأنّ أساسها واحد وهو العقل"إنّ الطابع الإنساني الشامل لقوانين المنطق يقوم في أنّ الناس، في كل العصور التاريخية، ومن كافة الطبقات والأمم يفكرون وفقا لقوانين منطقية واحدة وفضلا عن القوانين المنطقية يخضع التفكير الصحيح"[6]، ونلاحظ ذلك بوضوح عند تتبع مراحل

[1] - المرجع نفسه، ص: 132.

[2] - المرجع نفسه، ص: 132.

[3] - محمد عابد الجابري،بنية العقل العربي، ص: 422.

[4] - طه عبد الرحمن،التكوثر العقلي، ص: 325.

[5] - جورج طرابيشي، نظرية العقل نقد العقل العربي، دار الساقي، ط03، 2008م، ص: 27.

[6] -الكسندرا غيتاتوفا،علم المنطق، ص: 23.

سيرورة الفكر الإنساني عبر التاريخ البشري "والعلوم العقلية التي هي طبيعة للإنسان، من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصّة بملّة، بل بوجه النظر فيها لأهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها، وهي موجودة في النوع الإنساني، منذ كان عمران الخليقة"[1]، والعقل البشري يعمل باستمرار، باحثا عن الحقيقة، فالحقيقة هي الغاية التي ينشدها.

إنّ ترسيخ مبدأ ضرورة النظر والوعي بالممارسة الاستدلالية التي لا خيار عنها دفع المسلمون الانشغال" بتدبر النصوص وبناء نظريات دلالية وتأويلية لاستخراج الأحكام منها، دليل قاطع على وعيهم بدور المناهج والوسائل في تشكيل المضامين المعرفية وعلى وعيهم بوجوب تقديم النظر في الوسائل على النظر في المضامين"[2]، فأصبح كل خطاب لا يقوم على العقل وقوانين المنطق السليم، و لا يعمل بها سرعان ما يلقى التفنيد، فالإستراتيجية التي لابد من إتباعها هي "مطالبة النص بالتدليل على وسائله أو مضامينه"[3]؛ لأنّ كل نص ينطوي على مجموعة من الدلالات التي تعبر عن حقيقة أفكار صاحبها "فالنص هو مرآة العقل والكون معا، لذا يحصل به العلم البرهاني القطعي اليقيني، فالنص كلام وبيان، بل هو الكلام والكون والقول والحق والعلم، كلها مفاهيم تصح بينهما المعادلة والممثلة وذلك بأدلة برهانية قاطعة لكل جدال"[4]أي أنّ الحقيقة الحقة لا تتشكل إلاّ في النص الذي نصل به إلى العلم اليقيني، الذي يؤول إلى الإقناع الجازم، فالنص يمثل بتالي كل ما هو في الكون ويعبرّ عنه أحسن تعبير، فالنص ما هو إلا كلام العقل، رغم أنّ "الأفكار النظرية محدودة على النحو الذي عد به دلالاتها اللفظية، ولكن كل دلالة لفظية، إما أن تكون حدا أو برهانا"[5]، وهذا متى اجتهد الدارس في تطبيق مبادئ المنطق وقوانين استخلاص النتائج والقوانين، وكذا معرفة مدى صدق هذه المقدمات التي بنيت عليها هذه النتائج، واكتشاف ما طوي أو حذف مع التحري على الأسباب التي دعت إلى ذلك والوقوف على الحقائق "ولذلك نجد العلماء في التراث العربي الأصولي قد أضحت رؤيتهم العلمية حول النص والخطاب والمفهوم والدلالة، عندما استخلصوا المنطق الخفي

[1] - ابن خلدون، المقدمة، ص: 475.

[2] - طه عبد الرحمن، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 147.

[3] - طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص: 23.

[4] - العروي،مفهوم العقل، ص: 152.

[5] أرسطو،النفس، ت د.أحمد فؤاد الأهوان، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1949م، ص: 32.

الـذي تعامـل بـه علمـاء المنطـق والفلسـفة في سـبيل فهـم المقـول اللفظـي ضـمن شـروط موضـوعية عامة"[1].

ويعد المذهب الاعتزالي أبرز المذاهب الإسلامية التي رفعت شعار العقل، وجعلت منه الطريق الأمثل والوحيد للوصول إلى الحقيقة حيث أنّ " الاعتزال يمثل محاولة لفهم العقيدة الإسلامية على ضوء العقل الإنساني"[2]، فهم يحكمون العقل في أمور العقيدة ليصلوا به إلى الإقناع واليقين العقلي الذي لا يتأتى إلاّ بالحقائق المثبتة، التي تدحض قول كل معارض، يبنى مقدماته من النصوص القرآنية موظفا العقل دون غيره، فيستنبط الأحكام من خلالها بعد تحليلها وتأويلها لتتناسب ومقتضيات العقل البشري وعليه إن "صح القول أن الموقف الاعتزالي لا يعدوا أن يكون الفهم الإنساني، الفردي للنص، أو بعبارة مرادفة هو عقل النص بقوى بشرية صرفة لا فرق بين هذا المعنى وبين ما تعنيه كلمة "رأي" أو كلمة "تأويل" وهو المعنى الأول والمباشر لكلمة عقل"[3]، لأنّ العقل هي الأداة الفاعلة وأصل إنتاج كل دليل يستدل به في هذه العمليات سواء كان تأويلا أو اجتهادا أو رأيا "وأما الدلالة الخاصة للفظ "الرأي" فهي بذل الجهد لاستخراج الحكم العملي من النصوص الشرعية، فيكون الرأي مرادفا لمعنى "الاستنباط العقلي" وبما أن الاستنباطعملية استدلالية، فإنّ الرأي يصير حينئذ مردود إلى الدليل"[4]؛ كما أنه قد يراد به "أن يكون قولا متضمنا فيه، فينزل منه منزلة الدعوى الذي يستدل بباقي الدليل عليها كما هو الشأن عند أهل المناظرة، أو يكون قولا مطابقا لمعنى "الدليل" فيشتمل على الحكم وعلى مستندة كما هو عند علماء الأصول"[5].ولعل العقلانية التي يقوم عليها الدليل المنطقي هي التي دفعت العلماء إلى استثماره في مناهجهم.

6_غاية الاستدلال الإقناع:

إن تعددت الوسائل والمصطلحات فإنّ الغاية واحدة وهي الإقناع والإثبات لذا يرى أصحاب الاعتزال أن من خصائص العقل الإقناع لكنه ليس في استطاعته أن يتعدى ذلك إلى درجة اليقين،

[1] - عبد الجليل منقور، النص والتأويل، ص: 21.
[2] - العروي عبد الله، مفهوم العقل، ص: 77.
[3] - المرجع نفسه، ص: 80.
[4] - طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 134.
[5] - طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 134.

فهذا الأخير من خصائص النفس وحدها[1]، فهي المسؤولة على هذه المرحلة الأخيرة "كما أنّ العقل لا يتحكم في النفس، خاصة عند غير العقلاء، كذلك لا يتحول الإقناع بالضرورة إلى يقين، من يجد لذة في إعمال العقل يكتفي بالإقناع، وغيره لا يرضى بغير اليقين"[2].

6_1_أصل الإقناع الوقوف على الحقائق:

تختلف مراتب التصديق بين الناس، فهناك من يصدق ويقتنع لمجرد إلقاء الخبر عليه وهناك من يحتاج إلى دليل أو أكثر من دليل حتى يصل إلى مرحلة الاقتناع،كما أنّ نوع الأدلة المستعملة في العملية الاستدلالية، تختلف حسب اختلاف درجة التصديق بين الأفراد "وذلك أن طباع الناس متفاضلة في التصديق: فمنهم من يصدق بالبرهان، ومنهم من يصدق بالأقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان بالبرهان"[3]، وهذا يرجع إما لاختلاف طبقات الناس أو معتقداتهم أو إلى معارفهم وثقافتهم،"فمنه ما يكون من ساعته التصديق السامع، ومنه ما يكون بالتثبيت"[4]، فالمصدق غير المثبت هو الذي لا يكون في كلامه صناعة وقد اعتاد تصديقه والقبول به دون أن يحتاج إلى براهين أو أدلة ويكون الأمر عادة مع الكلام الموجه إلى أناس بسيطي التفكير لا يلجأون إلى التحليل أو التفسير أو المقايسة.

أما المصدق الذي يحتاج إلى تثبيت هو الذي يكون من جمهور يعتمد على التفكير، والتصديق يكون عادة "بالتثبيت، وذلك إما بإحضار البرهان، وإما بالتفكير لا في شيء آخر سوى هذين كي يكونوا في الجملة سلجسة[5] فعلوا أو اعتبارا إما أن يثبتوا شيئا، وإما أن يكون الشيء موجودا فيثبتوه"[6]، كما أنّه قد يلجأ المستدل إلى طرق كلامية تدعم استدلاله وتقويه وتساعد على تصديقه وهذه"التصديقات التي نحتال لها بالكلام فإنها أنواع ثلاثة: "فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسمته، ومنها ما يكون بتهيئة للسامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل

[1] - ينظر، العروي عبد الله، مفهوم العقل، ص : 82.

[2] - المرجع نفسه، ص: 82.

[3] - ابن رشد، فصل المقال ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، سرار للنشر، تونس،(د.ط)، 1994م، ص: 26،ص:27.

[4] - أرسطو،الخطابة، الترجمة العربية القديمة، وكالة المطبوعات، دار القلم الكويت، بيروت-لبنان،(د.ط)، 1979م، ص: 12.

[5] - السلجسة المقابسة وهي من مصدر من الفعل سلجس وهي الغلط، ينظر أرسطو،الخطابة، الترجمة العربية القديمة،ص:12

[6] - أرسطو، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، ص: 10.

التثبيت"[1].ويقصد بسمة الكلام شخصه وأخلاقه فالصالحون هم أجدر الناس إلى تصديق أقوالهم إذا ما تعلّق الأمر بالأمور الجليّة للعيان أمّا الخفيّة فهي تحتاج دائما إلى تثبيت، أما النوع الثاني فيكون عن طريق التمهيد للكلام بمقدمات وتفسيرات وتعليلات مع التركيز على الجانب العاطفي للمتقي وإثارته لديه كما أنّ الطريقة الثالث فتكون بالكلام نفسه أي بتزويق وتنميق الكلام وإضفاء عليه جمالا ورونقا بالتشجيع وغير ذلك .

وهذه الطرق الثلاثة ليس من السهل أن ينخدع بها كل واحد، ومن هؤلاء العلماء إذ يشترطون أن لا يكون الخبر صحيحا إلا إذا صدر من "ثقة" ويضعون للثقة شروطا صارمة لذلك بالرجوع إلى سيرته الذاتية ويسمى عند ذلك "حجة" ومن البديهي أنّه لا محتج من غير أن تكون له وظيفة العالم العامل بعلمه وليس أدل على ذلك من اللسان العربي يطلق على العالم العامل بعمله اسم "الحجة" مستعملا لفظا واحدا لإفادة معنى "الاستدلال النظري" ومعنى "السلوك العملي" معا، فلا يكون حجة إلا من صدّق فعله قوله"[2].

وهذا يعني أن الاستدلال النظري له علاقة وثيقة بصاحبه، فالمتخصص في الموضوع الذي يبحث فيه أو القضية التي يناقشها أقدر على الاستدلال من غيره لأنّه ملمٌّ بجميع جوانب موضوعه، مدرك أسرار وأغوار القضية، حتى أنه يستطيع أن يعرف مسبقا ما ستكون عليه اعتراضات خصمه، بتالي يستعد لها مسبقا فهو لا يلجأ إلى التمويه أو التزويق بقدر ما يعتمد على العلم الصادق.

" ومتى تحقق المتكلم بالصدق في الخبر والصدق في العمل والصدق في مطابقة قوله لفعله، انفتح باب لتواصل الصادق بينه وبين المخاطب وتزايدت أسباب التقارب بينهما، واندفع كل منهما في طلب التقرب من الآخر، فيحصلان الزيادة فيه إن كان حاصلا لهما حصولا جزئيا"[3].

فقاعدة الصدق تقرب بين المتكلم والسامع وهي من القواعد الأخلاقية التي تقوي الثقة، خاصة إذا كان صدق الخبر يطابق صدق الفعل فهذه المطابقة تزيد المستدل قوّة في الإقناع،إذ يخلق كل واحد منا أشد وأقوى إقناعا من قوله لأنّ الإقناع يقوم على الحقيقة والحقيقية تتعلق بظروف تكوينها وشروط إنتاجها وبنائها وتتوقف على معطيات التجربة وموضوعات النظر وحقول القراءة وأحوال

[1] - المرجع نفسه، ص:10

[2] - طه عبد الرحمن، تكوثر العقلي، ص: 232.

[3]- طه عبد الرحمن، تكوثر العقلي، ص: 252.

الذات العارفة"[1]، فهي تتخذ أشكالا متباينة كلما تعرفت على المخصوص بالدعوى حيث تطّلع على ميوله وثقافته وأفكاره، ومن هذا كلّه يستطيع المدعي أن يبني الأدلة التي تؤثر فيه أكثر من غيرها، وتفتح له طريقا أسهل وأسرع إلى الإقناع، كما لابد للمقنع أن يلتزم بالشروط الثلاثة التي تجعل كلامه أثبت في النفوس وهي اللّب والفضيلة والألفة فقد يكذب جميع الواصفين أو المشيرين إمّا من أجل عدم هذه العلل أجمع"[2]، فالمتكلم يصدق وإن لم يكن له تثبيت إذا توفرت لديه هذه الأمور حسب كلام أرسطو، أولها اللب ويقصد به العقل ورجاحته وحسن تدبيره للأمور، والتريّث عند التفكير وترتيب الكلام مع البداهة، أما الميزة الثانية فتتمثل في التحلي بالفضيلة أي الأخلاق الحميدة النبيلة من صدق وأمانة، وآخرها الألفة وهي حسن المعاشرة، وتكون بالكلام الطيّب والسلوك الحسن.

فهذه الأمور كلها تساعد المرء على تهذيب لسانه، ويسهل عليه الوصول إلى المعاني البليغة التي تتلاءم ومقتضى الحال، فترفع من همة صاحبها وتضفي عليه الوقار والمهابة التي تزرع في النفوس الإعجاب والانبهار بكل قول يصدر عن من اتصف بهذه الصفات، فتكون مبعث إقناع ومرجع استدلال لا يستهان بهما؛ لأنّ "منفعة الكلام المقنع عند الفحص، والمقنعات هن اللاتي فحص عنهن، حتى لا يحتاج فيهن بعد ذلك إلى كلمة واحدة"[3]، وهذا ما يعرف بالتعجيز وهو نهاية الأمر الذي لا يوجد بعده حاجة إلى أي وسيلة من وسائل الإقناع ويكون بها القبول، ووسائل الإقناع ما هي إلا أدلة يمكن إثباتها إما عن طريق القياس أو الاستقراء أو التمثيل.

والكلام المقنع هو الذي كلما حللته وبحثت في ثناياه وفتشت في خباياه ازددت اقتناعا، وإيمانا، لتأثيره في السامع بإثارة انفعاله وحمله على العمل بالرأي أي تبنيه، وهذا ما يعرف بسلطة الخطاب التي تفرضها الكلمة على فكر المتلقي "ولاشك أن كل أشكال العنف التي يمكن أن تترتب عن هذا السلوك تبدو مقبولة بما أنها آتية من سلطة الخطاب لا من تسلط بالقوة ولذلك نقبل هذا الطوق الذي يسدّ في الحقيقة الأفق أمامنا إلا أنه يشعرك بإمكانية أن تروغ بك وأنت حرّ وان يقع التحكم

[1]- علي حرب،نقد النص: (الحقيقة والنص:)، ص: 66.

[2]- أرسطو، الخطابة، الترجمة العربية القديمة،، ص: 81.

[3]- المرجع نفسه، ص: 131.

فيك بدون أن يسلط عليك عنف في جسدك أو ملكك"[1]؛ وعليه فإنّ القوة الخطابية تكون ذات سلطة على المخاطب دون أن يشعر بأدنى قدر من الإساءة فهو يتقبل الأفكار بصدر رحب، على عكس السلطة المادية فالخارج من الطبيعة مستكره، فبحق ما قيل إنّ الاضطرار محزن أو مؤذ"[2]، فكلما كان الأمر فيه إرغام ومساس بكرامة الإنسان كان ذلك مكروها، لذا وجب أن تكون الأمور قريبة من طبيعة الإنسان والعادة حتى تجد النفس فيها متعة ولذة وراحة تعينها على الانقياد والاستجابة،وإن كان في ذلك جهد ومشقة "وإنما في سياق الحقيقة المجمع عليها، لا الحقيقة المبرهن عليها والمتحقق منها تجريبيا، تم اختراع آلة المنطق الأرسطي لتكون مع القواعد الإقناعية الأخرى مثل منهج السلطة ومنهج النص ومنهج النص التأويل، أداة للسيطرة على عالم الخطاب ولتحقيق الإجماع في الرأي بقوة الإلزام المنطقي .

فلاشك أنّ المنطق الأرسطي، المنزل منزلة "فن الحقيقة" قد بدا على امتداد العصر الوسيط وكأنّه وز قوّة الإقناع، بل قوّة الإلزام، بسلطة العقل وحده، ومن هنا أمكن لعقول حضارية شتى أن تعتمده قاعدة للتفكير"[3].

وبأسلوب آخر يمكن أن نحمل القول بأنّ الاستدلال هو عملية عقلية يقوم المنطق بالاشتغال على المعارف السابقة تنظيما وترتيبا ويعمل العقل كقاعدة مطلقة لاستخلاص النتائج وبلورة الأحكام التي يتم بها الوصول إلى الحقيقة.

والحقيقة ما هي إلا خاصية من خصائص الإقناع "وأداة الفكر هي الاستدلال، والاستدلال يكون إما برسم الذات، وإما برسم الآخرين، فالاستدلال للذات هو ذاك الذي بواسطته تتصور الذات المفكرة شيئا.والاستدلال للأخرين هو ذاك الذي يتم بواسطته إيصال شيء ما إلى الغير"[4] والاستدلال ما هو إلا آلية من آليات إنتاج الخطاب الذي يستند على مقومات متى اجتمعت، ورتبت ترتيبا يتوافق ومنطق الخطاب كانت قوة خارقة في الإقناع تم بها الوصول إلى حقيقة الأمر

[1] - حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية،تونس،كلية الآداب،منوبة،(د.ط)،(د.تا)، ص: 39.

[2] - أرسطو الخطابة الترجمة العربية القديمة، ص: 50.

[3] - جورج طرابيشي،نظرية العقل نقد العقل العربي، ص: 262.

[4] - جورج طرابيشي،نظرية العقل نقد العقل العربي، ص: 110-111.

"فآليات الخطاب وإجراءاته تسهم في إنتاج الحقيقة، تماما كما يحتاج الهوى الوعي ويسهم في تشكيله، وكما يغزو الآخر الأنا ويسهم في بنائها"[1].

والحقيقة لا تحصل إلا إذا اتحدت عدة مجالات معرفية أو عدة أنظمة فكرية وتقنيات منهجية "إن إنتاج "الحقيقة" لا يتم بطريقة واحدة، بل هناك طرق كثيرة تختلف باختلاف المجالات المعرفية وأنظمة الفكر والأدوات المنهجية والذوات العارفة"[2]، أي الذات العارفة والمتمكّنة التي تحسن الاختيار وترتيب وتسلسل بحيث تجمع بين العقل والذوق في آن واحد.

6_2_المعرفة ودورها في توجيه الاستدلال:

إنّ مختلف أنواع الاستدلال سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة فإنها تبنى على معارف سابقة "وبمساعدة مختلف ضروب الاستدلالات، يمكن تحصيل معارف جديدة، ويمكن بناء الاستدلالات عند وجود حكمين أو أكثر (وهذه الأحكام تدعى المقدمات) تجمع بينهما رابطة معينة"[3]، والمقدمات ما هي إلا أنواع من المعارف منها المسلمات أو البديهيات أو الفروض والمعرفة بصفة عامة "هي إدراك بالصور الأشياء أو صفاتها أو سماتها وعلاماتها، أو للمعاني المجردة سواء أكان لها غير الذهن وجود أولا؟"[4]، والإدراك يقصد به هنا الإدراك بشقيه الإدراك الذهني أو ما يسمى بالإدراك الضروري وهو الذي لا يحتاج إلى علم به دليل أما النوع الثاني وهو "الإدراك النظري أي الإدراك المكتسب بالتأمل والنظر في الأدلة، التي ينتقل الذهن فيها أو بواسطتها من المعلوم إلى المجهول، فهو إذن ما يحتاج إلى تحصيله إلى عملية من عمليات الاستدلال الفكري"[5]، والإدراك بغض النظر عن نوعه "هو حصول صورة ما لأي شيء في الذهن سواء أبلغ مبلغ التحقق والجزم أو لم يبلغ ذلك، وسواء كان مطابقا للواقع والحقيقة أو غير مطابق لذلك"[6].

---

[1] - علي حرب، نقد النص(النص، والحقيقة)، ص: 46.

[2] - المرجع نفسه، ص: 110.

[3] -الكسندرا غيتاتوفا،علم المنطق،ص: 174.

[4] - حنبكةالميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص: 123.

[5] - المرجع نفسه، ص: 22 ،ص:23.

[6] - المرجع نفسه، ص: 22.

فلا يشترط في هذه المعارف السابقة الضرورية اليقينية "فغاية المستدل على شيء ما أن يصل إلى مرحلة أن يجعله كالمدرك بالحواس"[1]، فالهدف الأساسي من الاستدلال هو الوصول إلى الشيء الخفي وجعله ظاهرا جليا للعيان.

فقد تكون مجرد احتمالات واردة مثل الفرضيات أو معارف تعارف عليها الناس ولا ترقى إلى مستوى اليقين مثل المسلمات "وقد تغدو المدركات النظرية بعد الوصول إليها وتمكنها من النفس مدركات ضرورية"[2]، بمرور الزمن عليها وتعود الناس عليها "ويقال أنه قد يستنبط علم باطن الأشياء بالظن الذي يحتاط فيه حتى يقع موقع اليقين"[3]، كما يمكن إدراك المعارف عن طريق الحواس بالممارسة، حيث "تتشكل الممارسة أساس العملية المعرفية"[4]،

والممارسة الفعلية غايتها إنتاج استدلالات صادقة ترتكز على الملاحظة والتأمل وصحيح النظر ومطابقة الواقع مع النتائج المستخلصة منها أي" مطابقتها مع الواقع وقوانين علم الحقائق"[5]، وهو ما يعرف بالمنطق، فالمعرفة الصحيحة تقوم على عاملان أساسيان هما: انسجامها مع الواقع وعدم التنافي معه، وكذا إتباع مبادئ المنطق "والمعرفة التي تقود الإنسان إلى تحقيق أهدافه العلمية هي وحدها الصحيحة،ومهنا يتعين ّ هدف المنطق: التحري عن المعرفة الصحيحة عن طريق دحض الآراء الغالطة"[6]، لكن قبل ممارسة هذه العملية لابد أن يكون الدارس ملم بجميع جوانب الموضوع المراد دراسته .

في الحقيقة أنّ المعرفة بالموضوع تتوارد إلى الفكر شيئا فشيئا، فهي تتناسب مع الموضوع تناسبا طرديا،فكلما ولجت إلى الموضوع أتتك أفكار جديدة متصلة به، وتساؤلات جديدة لم تكن لتخطر بالبال من قبل "بحيث لا تسبق المعرفة الموضوع ولا الموضوع المعرفة، بل يقوم كل منهما بتعيين الآخر وإنتاجه، وهذه الممارسة للذات ما هي إلاّ تجربة فكرية، هي علاقة متغير ّ ة تخضع للنسخ والتبديل"[7]،

[1] - نصر حامد أبو زيد،الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء،المغرب ،ط6، 2007م، ص: 61.

[2] - المرجع نفسه، ص: 26.

[3] - شوقي ضيف، البلاغة العربية تاريخ وتطور، ص: 97.

[4] - ألكسندرا غيتاتوفا،علم المنطق،ص: 12.

[5] - المرجع نفسه، ص: 19.

[6] - جورج طرابيشي، نظرية العقل نقد العقل العربي، ص: 110.

[7] - علي حرب، نقد النص(النص، والحقيقة)، ص: 236.

فكل معرفة لابد أن تسبقها معرفة، فلكي تصل إلى حقيقة معرفة بموضوع ما، لابد أن تكون لديك نظرة ولو وجيزة عن الموضوع حيث "لا موضوع يعطى للمعرفة ولا ذات قائمة بذاتها قبل المعرفة بالموضوع، ولا عقل محض يستقل بذاته عن الواقع"[1]، فلا تتشكل المعرفة من دون مقدمات لها أصول معرفية سابقة، وإلا كانت هذه المعرفة منفصلة عن الواقع البشري الذي يستمد مقوماته ومميزاته من العقل ويترتب عن ذلك أن تكون تنتج معارف فاسدة لأنّ ما بني على باطل فهو باطل.

7الاستدلال مكوّن حجاجي:سبق وأشرنا إلى أنّ الحجة تقوم مقام الدليل في المعنى لكن هناك من فرق بينهما حيث ربط الدليل بالبرهان لانّ نتائجه صادقة ويقينية بينما الحجة ربطها بالأنواع الأخرى من الأقيسة لأنّ نتائجها غير يقينية كالخطاب أو الشعر أو الجدل التي ترتكز على الخطاب الحجاجي الذي يمثل"سلسلة من الحجج تتجه جميعا نحو نفس النتيجة"[2]، أو بعبارة أخرى "هو الكيفية التي تقدم بها الحجة وتنظم"[3]، فما هو إلا مجموعة من الأدلة أو البراهين المتسلسلة تسلسلا يسمح للمتلقي أن يقتنع بوجهة نظر الآخر إلى موضوع ما. كما يمكن أن تكون الطريقة التي يتمثلها الفرد أو مجموعة من الأفراد يثبتون موقف واحد من أمر ما[4]، لطرح حجج الغاية منها تحقيق التأثير في الآخر وجعله يتبنى فكرة أو سلوكا معينين.

وجاء في لسان العرب "الحجة، البرهان وقيل الحجة ما دفع به الحجاج الخصم، وقال الأزهري الحجة الوجه الذي يكون به الظّفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج هو أي جدل، والتحاج: التخاصم وحجه يحجّه حجا: غلبه بالحجة واحتج بالشيء اتخذه حجة قال الأزهري: إنما سميت حجة؛لأنها تحُج أي تقصد لأنّ القصد لها وإليها، والحجة الدليل والبرهان ومن حديث معاوية "فجعلت أحج خصمي أي أغلبه بالحجة"[5]، فنلاحظ من خلال هذه التعريف أن الحجاج يرتبط دائما بإفحام الخصم وإقناعه"إذ حد الحجاج أنّه منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[6]، لذا يصبح لازما على المحتج أن يكون عالما بالموضوع حتى يتسنى له الرد

[1] - المرجع نفسه، ص: 233.
[2] -محمد طروس،النظرية الحجاجية، ص: 08.
[3] - المرجع نفسه، ص: 08.
[4] - ينظر، محمد طروس،النظرية الحجاجية، ص:09.
[5] -ابن منظور، لسان العرب، مادة حجج، ص: 779.
[6] - طه عبد الرحمن، الكوثر العقلي، ص: 226.

على اعتراضات خصمه، وإلا أصبح مغالطا ويحرص على أن ينتفع بما يعلم وإلا كان كمن يتبع هواه ويصبح ذلك دليل على نقص عقله ومن ثم فلا يحتج به ولا يقتنع بأدلته "ومن هنا يظهر أن المستدل الحجاجي مطالب بتحصيل قصدين آخرين وهما: "قصد العلم بالشيء" و"قصد العمل به""[1]، وهذا ما قصدناه عندما تكلمنا على ضرورة أن يكون المتكلم صادق القول والعمل، وعندها تصبح الحجة لها علاقة تواصلية،يقيمها المتكلم حتى يستدل للمتكلم، والغاية لا تقف عن هذه الحدود وإلا فهي خطاب برهاني لا غير وإنما "تعداه إلى الدلالة على مجموع قول القائل ...وكل أثبات هو حجة القائل"[2]،أي أنّ الغاية هي أن يصل هذا الاستدلال على أن يدفع بالمستمع إلى تبني هذه الأفكار ثم العمل بها.

هذا ما يسمى "بالحجة الموجهة". وكلما دفعت هذه الحجة المتلقي إلى الحكم بنفسه على الأمر فهي عندها "الحجة التقويمية"[3]، وعلى هذا الأساس "يهدف الحجاج أن يكون إجراء عقليا وقوة تأثيرية، مع ما يوجد بينهما من تنافر، فالتأثير يقود إلى الانخراط، لأنه يملك تقنيات، ويتموضع داخل علاقات القوى، وعلاقات الإغراء المتبادلة وما تحمله من شحنات عاطفية، والاستدلال ينشئ الروابط بين القضايا، ويعمل على توسيع وتدعيم حقل المعرفة"[4]، فالاسم الحجاجي هو الرابط بين هذه الوظائف التي يعمل عليها الحجاج في التأثير وتفعيل العقل "فإنّ الفصل بين الحجاج والاستدلال يبدو مبالغا فيه فالقول بأنّ المحاجة عمل يظهر في الخطاب وتحدده البنية اللغوية للقول لا يعني بالضرورة إلى فهم منطقي يرجع الأقوال إلى الأشكال القياسية، المعلومة في علم المنطق"[5].

وعليه نستخلص أنه لا يمكن فصل الحجاج عن الاستدلال حيث أنّ الأول ما هو إلا عملية استدلالية في غالب الأحوال، تعمل في إطار اللغة الطبيعية التي تجنح إلى التأثير في المتلقي، وتسعى إلى تحقيق الوظائف اللغوية التي ينشأ عنها تعبير عن الرأي أو إثباته لدى المتلقي، وبالتالي فهي تؤدي حتما إلى التأثير الذي يحمل المتلقي على التفسير، ونرى أن "الباث و المتلقي عنصران متجدران في

[1] - المرجع نفسه، ص:231.

[2] -طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 255.

[3] - ينظر،المرجع نفسه،ص:255.

[4] - محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص: 09.

[5] - شكري المبخوت،الاستدلال البلاغي، ص: 173.

الخطاب الحجاجي"[1]ولا يمكن أن يتنصّل منهما أي خطاب حجاجي حيث أن المتلقي هو المقصود من الخطاب وغاية الحجاج بينما الباث هو الفاعل في هذه العملية والمغير، فهذان العنصران من بين أهم العناصر التي يقوم عليها البناء الحجاجي.

7_1_الفرق بين الخطاب البرهاني و الخطاب الحجاجي : يعتمد كل من الخطاب البرهاني أو الخطاب الحجاجي على الاستدلال بأنواعه، غير أنّ الاختلاف بينهما يكمن فيما يقوم عليه الاستدلال "علما أن الاستدلال البرهاني هو الاستدلال الذي يعنى بترتب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها"[2]، بينما الاستدلال الحجاجي "يخضع لتراتبية هرمية تجعلأدلته تتراوح بين الضعف والقوّة، فهو على عكس البرهان يوصلنا أحيانا إلى أكثر من نتيجة، كما أنّه لا ينغلق على نفسه لاحتمال إضافة دليل أو أدلة جديدة"[3]، وعلى هذا الأساس يمكن أن نعقد شبه مقارنة بينهما. فالبرهان ما هو إلا استدلال ينطلق من مقدمات صريحة صادقة ليصل إلى نتائج يقينية قطعية لا جدال فيها، بينما الحجاج هو استدلال لا يشترط أن تكون فيه المقدمات مصرح بها، أو أن تكون صادقة أو كاذبة كما يمكن أن يصل الاستدلال الواحد إلى عدة نتائجفي آن واحد وهذا ما يعرف بخاصية الالتباس[4]التي يختص بها الدليل الحجاجي الذي يحتمل تحليلين أو أكثر من ذلك وهذا ما لا نجده في العملية البرهانية "ولا نجد له نظيرا في غيره من طرق الاستدلال، ولولا تضمن الحجاج لهذا الالتباس، لما تميّزت طريقه عن طريق البرهان، فهذا الالتباس هو الفاصل إذن بين الحجاج والبرهان"[5].

فالحجاج يعتمد "على مقومات تداولية على الخصوص، تميزه الواضح عن البرهان، فهو يعمد إلى تحليل التعابير من جوانب مختلفة، كتميزه مثلا بين الدلالة الحرفية والمفهوم.ولأنّ هدفه كذلك هو الإقناع فهو جدلي، وكذلك فهو اجتماعي لكونه يعتمد على المساهمة الجماعية لتحقيق أغراض معيّنة"[6]، فالحجاج له ارتباط اجتماعي قوي إذ يكون موجه من فرد إلى جماعة أو من جماعة إلى فرد،

[1] - محمد الوالي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وبرلمان، ص: 12.
[2] - طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 226.
[3] - حسان الباهي، اللغة والمنطق، ص: 137.
[4] - ينظر، حسان الباهي، اللغة والمنطق، ص:137.
[5] - المرجع نفسه، ص: 230.
[6] - المرجع نفسه، ص: 139.

فهو جدلي يعتمد على ترتيب الأدلة لكون أن لكل دليل قوة قد تزيد أو تنقص حسب المتلقي الموجه له الخطاب ولذا نجد أن أرسطو أعطى عناية قصوى للأسلوب في العملية الحجاجية [1] "وتعود أهمية الأسلوب فينظر أرسطو إلى أنّ عامة الناس يتأثّرون بمشاعرهم أكثر مما حاجتهم إلى الحجة، فلا يكفي إذن أن يعرض المرء ما ينبغي أن يقال بل ما يجب أن يقوله كما ينبغي"[2]. وهنا تتداخل البلاغة ويكون للمدور الفعّال في هذه المسألة حيث تمد المتكلم بالتقنيات والأساليب التي بها خطابه يتلاءم ومقاصد المخاطِب ومتطلبات المخاطَب قُل أن الحجاج أصل في كل تفاعل كائن ما كان"[3]فالعملية الحوارية التي تكون بين المخاطِب والمخاطَب تحقق الحجاج مهما كان نوع هذا الحجاج.

يتكون الحجاج من أمرين متلازمين هما "اعتبار الواقع" و"اعتبار القيمة"[4]وهذا الأمران لا علاقة لهمها بالبرهان وإن "كان البرهان يبنى على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء للعلم بها فإنّ الحجاج يبنى على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء مجتمعة إلى مقاصدها للعلم بالحقائق والعمل بالمقاصد"[5]، فهو عملية تفاعلية تأثيرية فهو" إجمالا عبارة عن مختلف الوسائل الاستدلالية الطبيعية التي تستهدف أساسا إقناع المخاطب بقول ما بالبناء على ما يُعلَم (بضم الياء وفتح اللام) أو يُفترض أنّ المخاطب يسلم به من أقوال غيره"[6]، إذن اكتساب العلم يعتمد على الفكر الفطري بالاستعانة بالمنطق الصناعي ومن خلاله تنتج قوة استدلالية طبيعية، وبذلك نخرج المنطق الصوري إلى مستوى حجاجي طبيعي وهو عبارة عن مجموعة الاستدلالات الطبيعية الغرض الأساسي منها هو بلوغ إلى حد ممكن من الإقناع، فأهم ميزة يتميّز بها الاستدلال البرهاني على الاستدلال الحجاجي هو اللغة التي يبنى على أسسها استدلال كل واحد منها.

وللحجاج مجالات متعددة ومتباينة فيما بينها،فنجد الحجاج في الفلسفة والقانون، السياسة أما الاستدلال البرهاني فيختص بالعلوم التجريدية كالرياضيات لأنّ "الحجاج يعطينا الإقناع بينما البرهان

[1] - ينظر، أرسطو، الخطابة الترجمة العربية القديمة، ص: 190.

[2] - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي ، إفريقيا الشرق،ط2،(د.ط)، ص: 97.

[3] - طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 229.

[4] - ينظر، طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي،ص: 229.

[5] - طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 230.

[6] - المرجع نفسه، ص: 393.

يعطينا الصواب أو الخطأ"[1]، وهذه الأسباب التي من أجلها ينقسم استخدام كلام من الخطابين في مجالات متباينة فعلية "التزام صور الاستدلالية أوسع أو أغنى من البنيات البرهانية الضيقة، كأن تبنى الانتقالات فيه، لا على صور القضايا وحدها كما هو الشأن في البرهان، بل على هذه الصور مجتمعة إلى مضامينها أيما اجتماع، وأن يطوي هذه الانتقالات الكثيرة من المقدمات والكثير من النتائج وأن يفهم المتكلم المخاطب معاني غير تلك التي نطق بها، تعويلا على قدرة المخاطب على استحضارها"[2].بهذا يكون الخطاب الحجاجي أكثر اتساعا وتداولا على عكس نظيره الخطاب البرهاني.

7_2_اللغة الطبيعية مقوم حجاجي: يرتكز الخطاب الحجاجي على اللغة الطبيعية المتداولة بين الناس ؛لأنها أوسع وأشمل من اللغة الصناعية "يتضح أن اللغة تتوفر على إمكانات لا حصر لها، يمكن أن يستعملها المخاطب في حجاجه، طبقا لمقتضيات السياقات التي يتلفظ بها فيها"[3]. فيكون للمحاجج خيارات كثيرة ومتنوعة يبني على أساسها عملية الحجاج "كما أن ارتكازه على اللغة الطبيعية تجعل أدلته لا تكون دائما ظاهرة بل أحيانا مضمرة، وهو ما يجعل العلاقات الحجاجية تخضع لشروط دلالية وتداولية (على الخصوص)" [4]، فلغة الحجاج ليست نفسها لغة العلم التي تواضع الناس عليها، "هذا يعني أنّ اللغة نتوسل بها في الحجاج هي من جنس اللغة الطبيعية التي لم يثقفها الإنسان ويهذبها من ضروب الإيحاءات والمعاني الجانبية المواكبة والترادف والاشتراك اللفظي...إلخ"[5]، هذه الميزة التي تتميز بها لغة الحجاج تجعلها لغة تواصل اجتماعي تبتعد عن المجال العلمي الذي لا يحتمل النقاش.

فمواضيع الحجاج مواضيع إنسانية وقيم كالخير والشر، والحقيقة والكذب أي كل موضوع لا يمكن إخضاعه لقواعد مضبوطة حيث كل واحد يمكن أن يتكلم ويسهب في الكلام معتمدا على اللغة الطبيعية المتداولة بين الأفراد التي تواضع الناس عليها."إذ يصوغ مستعمل اللغة الطبيعي خطابه

[1] -دروس الحجاج وما يعاضدها هذا النص: الفلسفي بعلم أبو الزهراء مجلة الشبكة التربوية الشاملة، 2008م، ص: 06.

[2] - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 65.

[3] - عبد الهادي ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (د.ط)، 2010م، ص: 141.

[4] - حسان الباهي، اللغة والمنطق، ص: 177.

[5] - محمد الوالي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وبرلمان،ص: 21.

الحجاجي وفق المقتضيات المنطقية التي توجّهه في اختيار أدواته المنطقية،و آلياته الاستدلالية، وهو لا ينبت في هذا الحال عن انغماسه في سياقه الحجاجي من جهة، والاستجابة لمقتضيات اللغة الطبيعية من جهة أخرى"[1]، وهذا ما يجري في الحقل التداولي بين الناس حيث أكثر كلامنا عبارة عن استدلالات.

هذه الاستدلالات المتداولة تعتمد على الكثير من المرونة أي" على تقنيات مخصوصة لا تختص بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطاواعة حسب استعمالالمخاطِب لها، إذ يختار حججه وطريقة بنائها، بما يتناسب مع السياق الذي يحفّ بخطابه"[2]؛لأنّ الكلام الطبيعي ما هو إلا صورة تقنية لقواعد منطقية ولعمليات استدلالية أو استقرائية "وليس الصورية التي في منطق أرسطو إلاّ تنظيرا ينبني على هذه العلاقة الطبيعية أو يقينيا لهذه العلاقة؛لأنّ النتيجة في القياس الحملي تلزم لزوما صوريا عن المقدمتين في حال اجتماعهما كما تلزم في القياس الشرطي عن اجتماع المقدم والتالي"[3].

فاللغة الطبيعية لها القدرة الكاملة في توظيف كل من المنطق الصوري والحملي لأنّ المخاطب قد يحتاج إلى المنطق الصوري وصرامته عندما يكون بحاجة إلى ذلك،كما أنّه قد يحتاج إلى المنطق الحملي فله كل الصلاحية في تكيف خطابه حسب حاجته "فبالمنطق الطبيعي أيضا يدرك المرء العلاقات بين التصدقات فيعرف من علاقات الجمل ببعضها علاقات مثل الترادف والاستلزام والتعارض وتحصيل الحاصل والتناقض والاقتضاء والإخراج والإحالة"[4]، وإن كانت أكثر الاستدلالات الطبيعية لا يمكن أن تصاغ دائما في صورة منطقية بسبب تنوع أشكالها البنائية ونتائجها بين اليقين والاحتمال "إذ تبدو هذه الأدوات الصورية إما بالغة الضيقو التقييد أو بالغة التنظير والتجريد أو بالغة التقنية والتحسيب فنحتاج إما إلى تطويرها وتوسيعها وإما إلى تركها وطلب غيرها"[5]؛ باللجوء إلى اللغة الطبيعية، حيث يجد المخاطِب ضالته ويحقق بها غايته "فالحجاج في اللغة

[1] - عبد الهادي ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ص: 76.

[2] - المرجع نفسه، ص: 79.

[3] - حسان تمام، الأصول، ص: 65.

[4] - حسان تمام، الأصول، ص: 48.

[5] - طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 270.

الطبيعية يتسم بسمات عديدة منها أنّه نسبيٌّ ومرنٌ وتدريجي وذو طبيعة سياقية" [1].وهذه الصفات تعطي للخطاب الحجاجي القدرة الكافية على بلوغ الإقناع.

7_3_علاقة الاستدلال بالمقام:

إنّ المقام الذي يجرى فيه الخطاب أو المناسبة التي دعت إلى إلقاء الخطاب يعتبر من أهم العوامل المؤسسة للخطاب الحجاجي،حيث يجب على المخاطِب أن يراعي شروط ومقتضيات حال المتكلم حتى تكون حججه أكثر فاعلية ويعمل على حسن اختيار الحجج المناسبة، لذلك المقام الذي يعتبر "من أهم استلزامات التي تتعلق بالقول الطبيعي تلك التي تنشأ عن المقام الذي قيل فيه أو عن السياق الذي جيء به من أجله والتي تتوسل بجملة من قواعد التخاطب التي يتبعها قائله، وقد يكون مقام الكلام مقاما يستدعي اعتبارات خارجة لا يشاركه فيها غيره، أو يكون مقاما لا ينفرد بأسباب خارجية معينة"[2]، وعليه يتشكل الدليل الذي يستطيع به المخاطب أن يقنع به خصمه، فبناء الدليل يفرض على صاحبه أن يراعي المقام بالدرجة الأولى.

فالدليل الذي يصلح الاستدلال به ويؤدي غرضه اليوم قد لا يصلح أن يكون دليلا بعد زمن معين، حيث تزداد قيمة الدليل كلما كان توافق المقام معه،وعليه فالدليل يأخذ قوته حسب المقام الذي وضع له، بحيثأنّ أساليب " الحجاج تتأثر بالتغيرات المصاحبة لحياة الناس، ومنها تغيير الوسائل التقنية والظروف المادية وتطلعات الناس وآمالهم فالحجة التي كانت ناجحة بالأمس، قد لا تكون صالحة اليوم"[3]،لذا يجب التعرف على جميع الظروف المحيطة بذلك المقام حيث "لكل مقام نوع خاص من الجمهور، ولكل جمهور ضوابطه ومحدداته"[4]، فالحجة مثلا التي يقتنع بها العامي تختلف عن الحجة التي يقتنع بها العالم والحجة التي يقنع بها المسلم غير الحجة التي يقتنع بها غير المسلم فالتصديقات تختلف من شخص إلى آخر وبالتالي كل محفل إلا وله أصحابه،فالحجة التي تقدم في الساحات العمومية غير الحجة التي يدلي بها شخص معين في محفل معين ضمن موضوع معين.

---

[1] - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع،ط1، 2006م،ص: 129.

[2] - طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 97.

[3] - ابن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، الكتاب الجديد، ط01، 2004م، ص:260.

[4] - محمد طروس،النظرية الحجاجية، ص: 16.

فأسلوب الكلام عامة "مرهونا بفهم مقاصد المرسل، وذلك في الحجاج مثلا، وفي الاستراتيجيات التي تبلور العلاقة بين طرفي الخطاب، ويتم ذلك بإدراك مقاصد العلاقة بين طرفي الخطاب، ويتم ذلك بإدراك مقاصد بوصفها المعنى، ويبنى على عدم فهم القصد إنتاج خطابات غير مناسبة للسياق"[1]، وبما أن الغرض الأساسي في العملية الحجاجية هو الإقناع والتأثير فيلزم المخاطب أن يبحث في الظروف المحيطة بالمخاطب التي تسهل وتفعل هذه العملية بحيث يستغل كل موقف مهما كان شكله لحسابه وعادة ما "يبنى فعل الإقناع وتوجيهه دوما على افتراضات سابقة بشأن عناصر السياق خصوصا المرسل إليه والخطابات السابقة والخطابات المتوقعة"[2]، وعلى هذا الأساس قسم المخاطب إلى ثلاثة أنواع حسب حاله فهناك مخاطب خالي البال وهناك مخاطب متردد في التصديق أي شاك وهناك مخاطب جاحد منكر [3] و تختلف عندها درجة الإقناع التي يسعى إلى تحقيقها المخاطب ويستلزم عن ذلك اختلاف الأدلة التي يستدل بها المخاطب مع كل مخاطب "أخيرا فإنّ الإقناع يحدث عن الكلام نفسه إذا أثبتنا حقيقة أو شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة"[4]، فالحجاج لا يشترط أن تكون الحجة صادقة دقيقة بقدر ما تكون تتناسب و مقتضيات الكلام،"مع مراعاة التفاعل بين دور الفرد في الأداء وغاية الأداء في إطار دور الفرد في المجتمع يمكننا أن نصل إلى فهم "المقام" الذي يقال فيه "المقال"[5].كل هذه العوامل لها دور فعال في إعطاء مصداقية قصوى للدليل.

7_4_مآل البرهان إلى الحجاج:

رغم الفروقالتي تميّز كل من الخطاب البرهاني عن الخطاب الحجاجي إلا أنه كثيرا ما يتطلب الحجاج طرقا برهانية ثابتة اليقين وإن لم يتأت له ذلك لم يحصل الإقناع الذي هو خاصية من خصائص الأسلوب الحجاجي."إن البرهان والحجاج في التصور القديم يتفقان صورة ويختلفان مضمونا، إذ الدليل الحجاجي كالدليل البرهاني يتوسل بالأشكال القياسية المعلومة، بينما في التصور الحديث، على العكس من ذلك يتفقان مضمونا ويختلفان صورة، إذ لا فارق في مقدماتها، إذ كلها

[1] - محمد طروس،النظرية الحجاجية، ص: 211.

[2] - المرجع نفسه، ص: 444.

[3] - ينظر، محمد العمري في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 35. وينظر، ابن ظافر الشهري إستراتيجية الخطاب،ص:115.

[4] - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 25.

[5] - حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط03، 1998م، ص: 364.

عبارة عن قضايا تقريرية بنائية، فليست الضروريات والبديهيات أقل احتياجا إلى إرادة المستدل ولا إلى نظره من المسلمات والنظريات"[1]؛ ومن هنا يبدو أنّ هناك عناصر يتقاسمها البرهان مع الحجاج سواء في المفهوم القديم أو المفهوم الحديث.

كان الأوائل لا يجدون فارقا كبيرا بينهما إلا من حيث الشكل ؛لأنّ البرهان "على تجريده وصورته ودقته، يستند إلى أصلين تداولين: أحدهما اجتماعي والآخر تجريبي"[2]،غير أنّ البرهان يعتمد كثيرا على مقدمات هي في الأصل عبارة عن مسلمات تعارف على صدقها الناس وإن كانت لا ترقي إلى اليقين المنطقي أو أنه يعتمد على بعض المقدمات التي كانت عبارة عن نتائج افتراضية من تجارب خاصة كالاستقراء الناقص"لا يمكن أن يكون صدق العبارات أبديا ومطلقا، مادامت ظروف الإنشاء والاستدلال تتغير بتغير الأنسجة الثقافية، فالفرضيات التي تدحضها نتائج التجربة في ظرف ما، يمكن أن تتخذ صيغا مختلفة ثم تلقى قبولا في مجال تجريبي مهيّأ لذلك"[3].

وتقوم العملية الاستدلالية في الخطاب البرهاني على الاستنباط النتائج من مقدمات قد تختلف بين الصريحة والمضمرة وبين الصادقة والكاذبة أو أنها متولدة من بعضها البعض "فحقيقة البرهان أنه متوالية متناهية من الصيغ كل صيغة منها إما مسلمة أو قضية مستنبطة من هذه المتوالية، استنباطا عن طريق قاعدة من قواعد الاستنتاج"[4].

والبرهان غالبا ما يكون إلا مع العلوم المجردة والتي يمكننا أن نثبت صحتها كلما أردنا ذلك، فهو يخضع إلى لغة صناعية دقيقة لكنه سرعان ما "يكتسي البرهان مضمونا من المضامين حتى تضعف الصورة اللازمة له ويجنح إلى اتخاذ صور الحجاج"[5].

غير أنّ الخطاب البرهاني الذي يكتسي صفة النمط الحجاجي يعتبر أكثر الخطابات انتشارا واستعمالا في جميع النصوص تقريبا ولا يمكننا التحرر منه، فهو يظهر بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة سواء في عرض الأفكار أو تقريرها أو مناقشتها لأنّ غاية المتكلم هي التأثير في كثير من

[1] - طه عبد الرحمن، تكوثر العقلي، ص: 62.

[2] - طه عبد الرحمن، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 64.

[3] -البعزاتي بـ ناصر، الاستدلال والبناء، بحث في الخصائص: العقلية العلمية، دار الآمار المركز الثقافي العربي، الرباط، ط1، 1999م، ص: 252.

[4] - المرجع نفسه ، ص: 147،ص:148.

[5] - طه عبد الرحمن،التكوثر العقلي، ص: 148.

الأحيان، وهذا ما يؤكد عليه العروي في قوله: "لاحظنا أنّ النمط البرهاني في التعامل مع النصوص، في العرض والتقريروالنقاش بقي حيّا نلمسه في كل أنواع الإنتاج حتى الأكثر ابتعادا عن روح العصر"[1].

وهكذا فإنّ الخطاب البرهاني كثيرا ما يؤول إلى الخطاب الحجاجي كلما اعتمد في صياغة استدلالاته على اللغة الطبيعية التي تجيز كل طرق وأنواع الأدلة وبما أنّ التصديق لا يتم إلاّ إذا كان الدليل أكثر مصداقية وأقوى سندا،وهذا يكون بالاعتماد على الخطاب البرهاني المستند على اللغة الطبيعية وهنا يكون الامتزاج بين الخطاب البرهاني والخطاب الحجاجي، حتى يتمكن المخاطب من بلوغ أهدافه الحجاجية.

ولذا "فلا غنى للمستدل في أغلب مقامات الاستدلال عن الأخذ بهذا الطريق مادام التفكير الإنساني أكثر ما يكون في الأمور الاستنتاجية التقريبية الترجيحية التي يتعذر فيها سلوك سبل الحساب المجرد، فيبقى اللجوء إلى الحجاج في حكم الضرورة لا الاختيار"[2]؛ وبما أنّ النقد علم تقديري يعتمد على اللغة الطبيعية فإنّ السبيل الأمثل الذي يتيح لصاحبه التعمّق أكثر في ميدان البحث والتحقيق هو المنهج الحجاجي الذي يقوم على مبادئ الاستدلال البرهاني اليقيني.

[1] - العروي، مفهوم العقل،ص: 107.

[2] - رشيد الراضي، الحجاج والبرهان ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ج01، الحجاج حدود وتعريفات، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (د.ط)،2010م، ص: 193.

الفصل الثاني

الاستدلال في الخطاب النقدي العربي القديم

سنقف ضمن هذا الفصل على آلية الاستدلال في النقد العربي القديم، وكيفية توظيفها، ودورها في تطويره عامة، والبحث النقدي البلاغي خاصة، لما لهذا الأخير من دور فعال لا يستهان به في تحديد مقاييس النقد العربي، وكذلك الاستدلال بمعاييره وقوانينه " لأن مقاييس البلاغة تعتبر أداة من أهم أدوات الناقد في فحص النص الأدبي من حيث هو تكوين لغوي، فيعرف بها ما كان الأديب قد نجح في توظيف تلك المقاييس أم لم ينجح" [1]، بغية تحديد العلل والأسباب التي يخضع إليها منطق الكلام واستنباط الأحكام، واستدلال للنتائج التي بها تحدد القوانين والنظريات.

1_النقد علم استدلالي:

برزت في النقد العربي القديم منذ بداياته الأولى ملامح الاستدلال وإن كانت قليلة جدا، إذا ما قرناها بأهمية الاستدلال وما يشغله في العملية النقدية حتى أنه قرن النقد بالمنهج الاستدلالي وكان من أهم تحديداته إذ النقد "فن من الفنون الإنسانية القائمة على النظر والعلم والتطبيق"[2].

وكانت أغلب هذه الاستدلالات ترتكز على محددات بلاغية أكثر منها لغوية "وبالرجوع إلى تاريخ البلاغة العربية يلاحظ أن الحاجة إلى المقاييس قد ظهرت منذ وقت مبكر، وأخذت في التنامي تماشيا مع الحياة الأدبية، للمحافظة على الجمال البلاغي والحس الفني"[3]، لما تعطيه هذه المقاييس البلاغية من صفة جمالية تبعث على جاذبية، نفسية، تذوقية للقطعة الأدبية، فتأثر بذلك في السامعين، وتثير الأحاسيس وتحفز العقل على العمل في تدبر معانيها، ولايتأتى ذلك إلاّ إذا ارتقى الخطاب إلى مستوى البلاغة " نقصد بذلك اختيار المفردات وطريقة ربط بعضها ببعض لتركب في النهاية جملة ذات دلالة محددة، يمكن للذهن أن يتلقاها، سواء أكان ذلك عن طريق السمع " الخطاب" أم عن طريق" البصر" الكتابة، يجب أن يسعى هذا الاختيار لتحقيق أفضل مستوى ليس من إفهام عند المستقبل فحسب، وإنما من التأثير الجمالي" [4]، وعلى هذا الأساس أصبح للمنهج الاستدلالي دور فعال في تحديد عوامل الجمال في النص الأدبي.

---

[1] - د. حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة لأدباء وعلماء جامعة أم القرى،(د.ط)، م1996، ص: 41.

[2] - د. أحمد على،الدهان الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، "منهجا وتطبيقا" وزارة الثقافة، دمشق،ط2، 2000م،ص: 364.

[3] - د. حامد صالح خلق الربيعي، مقاييس البلاغة للأدباء والعلماء، ص: 45.

[4] - د. حسين الصديق، "المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص: 202.

ونجد الاستدلال البلاغي قد اكتسح الفضاء الكبير من النقد العربي القديم، بسبب الجدل الذي أفرزته القضايا البلاغية نحص بذكر قضية المجاز التي انبثقت عن ثنائية "اللفظ والمعنى"، وتعتبر الأبحاث اللغوية والنحوية ذات دور فعال في نشأة البلاغة العربية وكذا تطويرها؛ لأنهم كانوا الأوائل الذين تنبهوا قبل غيرهم إلى دلالة الألفاظ وأثرها في تغيير المعاني، وإكسابها إيحاءات جديدة من بينها " معاني القرآن للفراء (207هـ)، "ومجاز القرآن" لأبي عبيدة (209هـ) وفيهما مسائل هي جواهر الدراسات البلاغية من تقديم وتأخير، التفات، تكرار وإيجاز وإطناب واستفهام ودلالة الألفاظ".[1]

فكان للاستدلال البلاغي الأثر الكبير في بناء أواصر الامتزاج والتبادل بين البلاغة والنقد العربيين، والوظيفة الرئيسة التي تم في إطارها هذا التبادل والاقتران هي الوظيفة الاستدلالية التي يسعى النقد العربي إلى ترسيخها، وقد وجد ضالته في البلاغة العربية،فكانت "العلاقة بين الكلام الاستدلالي والبلاغة علاقة جزء بالكل، فمعرفة خواص تركيب الكلام الاستدلالي جزء من معرفة خواص تراكيب الكلام" [2].

فالكلام الاستدلالي يرتبط بالبلاغة ارتباطا وثيقا حيث أن الاستدلال من مقومات علم البلاغة، وحتى يكون الكلام في علم المعاني كافيا، وشاملا لابد من أن ينبني على استدلالات منطقية حيث شكلت هذه الأنواع الاستدلالية أدوات النقد العربي القديم، ومقياس يقاس بها مدى دقة وصحة الأحكام النقدية، التي ترقى بها إلى مستوى اليقين الذي لا مناص منه إلاّ الإذعان والانقياد.

لذا نجد" أهل البيان كانوا أقرب إلى الممارسة الاستدلالية السوية لدى الناس في الكلام من أهل البرهان لما وقع فيه هؤلاء من محاولة تحميل نصوصهم ما لا طاقة لها به إذ بمقدورها "الحجاج" من دون "البرهان"[3] وعليه فإن الخطاب النقدي العربي القديم يستند على الاستدلال الحجاجي، حيث استثمره النقاد بكل إجرائية لتحقيق الغاية المنشودة وهي الإقناع، لما يتميز به من خصائص تداولية تمكنه من استيعاب مختلف مضامين الخطاب العربي القديم عامة والخطاب القرآني على الأخص، " لأن لغة الحجاج لغة قصدية بامتياز، والوظيفة اللغوية في الخطاب الحجاجي هي وظيفة تأثيرية، فالحجاج هو فن الإقناع له غاية واضحة ودقيقة يسير نحوها هي الإقناع نفسه، ولتحقيق هذه الغاية لا يتردد في توظيف كل وسائل

[1] - ينظر عباس أرحيله،الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين،ص:264.

[2] - شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي،ص:109.

[3] - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،ص:148.

الإقناع" [1]، ولعل أهمها آليات الاستدلال الحجاجي الذي تؤول إلى البرهان حيث " يكون إنتاج الخطاب، بين طرفه مرهونا بفهم مقاصد المرسل وذلك في الحجاج مثلا، وفي الاستراتيجيات التي تبلور ت العلاقة بين طرفي الخطاب، وينم ذلك بإدراك للسياق" [2]، وبذلك لا يخرج الخطاب عن المعنى الذي أريد له بلوغه.

وتحتل المقصدية في أي خطاب نقدي كان الغاية التي يرجى من خلالها توظيف أدوات الاستدلال، ومدى فعاليته في تحقيق رؤية نقدية كاملة المعالم، لا سبيل إلى إبطال قيمتها، يمكن لها عند بلوغ تلك الذروة من أن تقيم نظرية نقدية قائمة بذاتها "ويشترط ليعبر المرسل عن القصد الذي يوصل إليه أن يمتلك اللغة في مستوياتها المعروفة ومنها المستوى الدلالي، وذلك بمعرفة بالعلاقة بين الدوال والمدلولات، وكذلك بمعرفته بقواعد تركيبها وسياقاتها واستعمالاتها، وعلى الإجمال معرفته بالموضوعات التي تنظم إنتاج الخطاب بها"[3]، والعلاقات التي تربط الدوال بالمدلولات في أغلب الأحيان هي الاستدلالات العقلية، التي بتنّه علماء الأصول بدورها في معرفة المعنى الحقيقي .

2_الاستدلال بين التوظيف النقدي والصرامة العلمية:

لا يمكن القول في النقد هذا صحيح أو ذاك خطأ لأنّ النقد مبني على معايير ومقاييس نسبية، تتفاوت درجة الاستدلال بها ؛ لأن العملية الذوقية هي تتحكم في تطبيق هذه المعايير، وهي تختلف من ناقد إلى آخر، لذا فإن النقد يبنى في مجمله على استدلالات غير يقينية، إذ لا يمكن أن تكون أحكامه أحكاما مطلقة فهي تبقى دائما تتسم بالترجيح ؛لأنّ النقد يعتمد في توظيف استدلالاته على اللغة الطبيعية، التي هي من أبرز مقومات الخطاب الحجاجي كما سبق وأن بينا في الفصل الأول من هذا البحث.

فأهل البيان استخدموا الاستدلال الحجاجي أكثر من أهل البرهان، يؤكد ذلك "بطلان الفصل بين " البيان" والبرهان" في الخطاب الطبيعي لما كان من يدعون " بأهل البرهان" من الفلاسفة يتوسلون

[1] - دروس الحجاج وما يعاضدها هذا النص: الفلسفي بعلم أبو الزهراء، مجلة الشبكة التربوية الشاملة،ص: 12.

[2] - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص: 21.

[3] - نفس المرجع، ص: 18.

بالخطاب الطبيعي لبناء استدلالاتهم، لزم أن تنطوي هذه الاستدلالات على درجة من الحجاجية لا تقل عما نجده عند غيرهم ممن لا ينتسبون لأهل البرهان" [1].

من ذلك يمكن أن نستنتج أنّ النقد علم لا يقوم على الدقة العلمية المتناهية في الدقة، بل هو يحمل بين طياته رأي ذاتي له مرجعياته ومبادئه لكن هذا لا يفقد النقد مصداقيته أو قيمته العلمية، فهو يدخل ضمن العلوم النسبية، ضمن حدود معلومة ومعطيات متعارف عليها، وعليه فإن خير استدلال يحضى به النقد هو الاستدلال البرهاني الذي يؤول إلى الاستدلال الحجاجي.

3_الاستدلال في الخطاب العربي القديم:

3-1_الاستدلال في الشعر الجاهلي:

شكّل الشعر العربي الجاهلي الروح التي يحيا بها تاريخ العرب قبل الإسلام، فهو إرث ثقافي يحمل بين طياته كل معالم الحياة الجاهلية بجانبيها الإيجابي والسلبي من جميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وحتى الفكرية والدينية، وأول ما يلاحظ على هذا الموروث الثقافي أنه كان سلاح الجاهلي في الذود عن الأعداء، إذ يمثل اللسان العربي شخصية الرجل الصارخ الذي تملؤه العاطفة الجياشة، وتطبعه العصبية المتوقدة، لذا " شاعت أفكار تقصي الشعر من دائرة العقل ومستلزمات المنطق كالقول بأنّ أحسن الشعر أكذبه" [2]، فهو لا يستند على براهين ولا على أدلة عقلية قطعية، بيد أنه يعتمد على التخيل والإيهام وتزيف الحقائق بإظهار الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة حق، يخاطب العواطف والأحاسيس.

وعلى هذا الأساس " يبدو ميل القدامى واضحا إلى رفض اعتماد الاستدلال وضروب القياس في الشعر مؤكدين أن الحجاج يفقده، ما بيكون شعرا أي يسلبه ثوابت الشعرية، ويحو ّ له إلى خطب[3]،" بمعنى أنه كلما انتحى الشعر نحو الاستدلال والعقل والمنطق، ابتعد عن الشعرية؛ لأنه اختص بالعواطف، واقترب أكثر من الخطابة ولهذا السبب وصف الشاعر "كميت"، بأنه شاعر

[1] - طه عبد الرحمن ،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 148.

[2] - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني بنيته وأساليبه عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، ط1، ج 1، 2002م، ص: 49.

[3] - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني،ج1،ص: 51.

خطيب"[1] غير أن ما توصلت إليه، د.سامية ريدي من خلال دراستها للحجاج في الشعر العربي القديم عكس ذلك إذ ترى "الحجة أو الدليل إن اعتمده شاعر فحل مجيد اكتسب قوة واكتسى طلاوة وحلاوة بحسن التعبير وجودة الصياغة والتعبير" [2] أي أنّ الدليل القوي المنطقي السليم يزيد من قوة شاعرية الشاعر ويزيده درجات في قوة اليقين، التي تحمل المتلقي على تغيير معتقداته، الذي يعمل بدوره على تغيير مجريات الأحداث،" فالشاعر يساهم دائما بشكل إيجابي في هذا العمل، إنه يدعم إيديولوجيا الجماعة عن طريق الرفع من شأن العشيرة أو الأمير وتمجيد قيمتها وتبيان مثالب الخصوم وعيوبهم، ولكنه يجعل استراتيجيات سلطة كل أيديولوجيا متعالية عن طريق إثارته وتحريضه لقوى الرغبة والجمال والألم والحلم والعذاب" [3].

والخطاب الشعري العربي القديم حافل بالفنون البلاغية من استعارات وتشبيهات، وإن لهذه الأخيرة أثر غير قليل في التأثير على السامع، "فلكي تتوقد الحجة ينبغي إشعال فتليها بعناصر شعرية أو عاطفية" [4] إذ يغلب عليه المقومات العاطفية الجمالية من استعارة وغريب المعاني، واستعمال الرمز، وإعمال الخيال فكل ذلك يثير إعجاب النفس ويدفع بها إلى الاقتناع .

3_2_الاستدلال في القرآن الكريم:

القرآن كلام الله الموجه إلى كافة الناس أجمعين باختلاف، مستويات تفكيرهم وباختلاف درجات إيمانهم، فمنهم الأميون ، ومنهم الفلاسفة والحكماء والبلغاء لذا جاءت استدلالاته تتنوع بين الأسلوب البرهاني، الذي يعتمد على مقدمات يقينية التي تخاطب العقل، وتبطل مزاعم المشككين وبين الأسلوب الحجاجي الإقناعي، موظفا بذلك جميع وسائل الإقناع المشروعة التي تخاطب العقل والقلب معا، كما "تعددت مظاهر هذا الإقناع في القرآن، فهو إقناع مبني في جانب منه على اللغة، وبالعودة إلى مضمون الكتاب المقدس وأسباب النزول يمكن اعتبار القرآن خطابا حجاجيا نظرا لكونه جاء ردا على خطابات سواء أكانت علنية أم ظنية، فهو يطرح أمرا أساسيا يتمثل في وجوب الإيمان بالله الواحد الأحد، ويقدم الحجج المدعمة لهذا الأمر بمستويات مختلفة ضد ما يعتقد المتلقون وما يقدمون من حجج" [5] .

---

[1] - ينظر الجاحظ،البيان والتبيين،ت عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي القاهرة،ج1 ،ط7، ، 1998م،ص:45،ص:134.

[2] - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم،ج1،ص: 76.

[3] - محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص: 29.

[4] - محمد الوالي، مدخل على الحجاج أفلاطون وأرسطو و شايم بيرلمان، ص: 18.

[5] - د. قدور عمران، البعد التداولي الحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط 1، 2012 م، ص: 26، ص:27.

وباعتبار الخطاب القرآني خطابا حجاجيا بالدرجة الأولى يلزم عن ذلك أنه يوظف الأدوات الاستدلالية؛لأن الفرض منه هو أن يغير المفاهم وليحقالحق ّ وليبطل الباطل، و يقيم الدليل على البشرية، فيكون حجة عليهم، في كل زمان ومكان ويدفع دعوى كل منازع أو معاند."فهو يرمي إلى تغير وضع ذهني يترتب عليه ضرورة تغير وضع ماديإِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ "[1] لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ "[2][3]، فالآيات نفسها تقر بعقلانية الخطاب القرآني، ولابد من إعمال العقل سواء بالتعقل أو بالتذكر أو بالتفقه، وغيرها مما يوجه الله إليه عبادة لتدبر معانيه قصد الإيمان، وإنما سبيل الهداية إلى الإيمان يجري على النظر والاستدلال" [4].

وما يلاحظ على استدلالات القرآن أنها متنوعة " فبعضها استنباطي وبعضها استقرائي قائم على مقدمات علمية مأخوذة من الواقع المشاهد ومن الخبرة الإنسانية فاستخدم مقدمات مأخوذة من مشاهد حقة ومجريات صادقة أو من أخبار منقولة متواترة لا يتسرب إليها الشك أو الكذب كذلك استخدم القرآن الكريم للأمثال، استخداما واسعا" [5] .

حتى أنه استخدم الحجج الجدلية، لكن فيما يعرف بالجدل المحمود، الذي يقيم البنية في وجه معارضيه، بأرقى الأساليب التي لم يستطع العرب أن يأتوا بمثلها،"ملاحظ أن استعمال الاستدلالات والتحولات الدلالية استعمالا تربويا، فاضلا إنما يوجد في كتاب العزيز"[6]، وقد تفرد القرآن الكريم بهذه الخاصية الاستدلالية الفريدة من نوعها، ما هي إلاّ دليل آخر على معجزة القرآن.

يمكن القول عندها أنّ القرآن الكريم شكل فيما بعد ذلك المدد الذي استمدت منه جميع الشرائح الثقافية والعلمية المنهج الاستدلالي القويم.

3_3_الاستدلال في الخطاب النبوي:

---

[1] - سورة يوسف، 12.

[2] - سورة الزمر، 39.

[3] - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية ضمن المقدمة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص: 43 .

[4] - د. قدور عمران، البعد التداولي الحجاجي في الخطاب، القرآني، ّ ص: 27، ص:28.

[5] - د. زكريا بشير أساليب الحجاج في القرآن الكريم نماذج من الحجة الاستنباطية مطبوعات الحركة الإسلامية الطلابية،(د.ط)، 1995م، ص:09.

[6] - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 250.

لقد بعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) في قوم نبغوا في الكلام وتفننوا في تصريف أساليبه، يتفاخرون بالفصاحة، وقد طغى عليهم الغرور والغفلة وتعاظم جهلهم وظلمهم، بانحباس عقولهم عن التفكير، والنظر وامتناع نفوسهم عن احتضان الحق ودرئ الباطل، حيث "كلف الله محمد (صلى الله عليه وسلم) بمهمة الإبلاغ والتبيين والهداية، فإذا علم أن التبيين كان لقوم يتصاولون بالبيان، ويتقارعون بالفصاحة، فلابد أن يكون الذي يتولى إبلاغهم وهدايتهم بالبرهان والمنطق، أشد منهم عارضة، وأقوى منهم حجة" [1].ولا يخفى على أحد بلاغة (صلى الله عليه وسلم) وفصاحته حيث أوتي مجامع الكلام، "وهو الكلام الذي ألقى الله المحبة وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام ولا يلتمس إسكات الخصم، إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق" [2]، فالجاحظ يبين من خلال هذا القول الوسائل الإقناعية التي سلكها الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغ الرسالة.

كان من أهمها الإيجاز في الكلام مع قصد الإفهام معتمدا في ذلك على الدليل القاطع، والحجة البينة،و مع ذلك فلا نجد لكلامه تكلفا ولا صنعة، فقد اجتمعت لديه كل مقومات الاستدلال البرهاني والاستدلال الحجاجي من حقائق معرفية، ورجاجة عقل وفصاحة لسان وحسن خلق " ثم أنت لا تعرف له إلا المعاني التي هي إلهام النبوة، ونتاج الحكمة وغاية العقل، وما إلى ذلك مما يخرج به الكلام وليس فوقه مقدار إنساني من البلاغة والتسديد وبراعة القصد والمجيء في كل ذلك من وراء الغاية"[3]، حتى أنه لم يوجد من العرب من عارضة أو من أنقص من قدر كلامه وقوة حجته، وفي الحديث الشريف والخطب النبوية والسيرة المحمدية ما يدل على ذلك.

وخلاصة القول أن الاستدلال سواء البرهاني أو الحجاجي كان منهج القرآن والسنة النبوية، وقد وظف بطريقة لم يعهدها العرب من قبل، حيث بني الاستدلال في القرآن الكريم على الحقائق اليقينية التي

[1] - د. عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطاب النبوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م، ص: 103.

[2] - الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص: 17.

[3] - الرافعي مصطفى صادق،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط3، 2001م، ص: 229.

لا يعتريها شك، ولا تشوبها شائبة يقول تعالى: "بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ " [1].

نجد كل من الخطاب القرآني والخطاب النبوي يتضمنان صراحة الدعوة إلى ضرورة العلم والتفكر والاستدلال لاستنباط الحق والاعتماد على الحجة والبرهان وعدم الخوض في مسائل بدون علم مسبق فيهما، وعلى هذا الاعتبار نهض الفكر العربي الإسلام يقرر مناهج البحث التي تقيه من الخطأ وتضمن له مجانبة الصواب.

4_ملامح الاستدلال في الخطاب النقدي العربي القديم:

رغم الانطباعية والذوقية التي تميزت بها أحكام النقد العربي في بداية عهده، إنّها فيما يبدو تحمل بعض السمات الاستدلالية التي كان لها دور فعال في توجيه العملية النقدية آنذاك، حيث "نجد كثيرا من النماذج التي تجسد استعمال هذه الإستراتيجية في خطابات سبقت هذه الفترة بكثير وتمثل ذلك في المنجزات الخطابية والمنافرات القبلية في العصر الجاهلي ثم تنامت الخطابات التي تجسد هذه الإستراتيجية بعد البعثة المحمدية في كثير من السياقات، وتبلورت في كثير من العلوم اللغوية، كما كان الإقناع مطية أطراف الخطاب في المسمرات وعقد الندوات والنقاشات، فكانت إستراتيجية الإقناع بمختلف آلياتها هي السبيل الأقوم لإبراز مكونات هذه العلوم والدفاع عنها، ومحاولة إحلالها في موضعها الذي تستحقه" [2]، ويدخل ضمن هذه الإستراتيجيات الإقناعية كل أنواع الاستدلال سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة.

وأهم ما يمكن أن نرجع إليه هي تلك الأحكام النقدية المقتضبة، حيث يظهر فيها الاستدلال على استحياء ولا يستند كثيرا على مبادئ منطقية بل بالعكس فيه الكثير من الإجحاف والظلم، نذكر على سبيل المثال " الاستدلال على بعد دلالة اللفظ عن المعنى المراد له في الحقيقة ما كان من طرفه على المتلمس حين قال:

وقد أتناس الهمّ عند احتضاره نباح عليه الصيعرية مكدم.

[1] - سورة لأنبياء، 18.

[2] - عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب، ص: 447.

قال (طرفة): استنوق الجمل فضحك الناس[1]، وهذا النوع من الاستدلال اللغوي السجالي[2] يدحض فيه حجج الخصوم بالاستهزاء والسخرية.

بالإضافة إلى بعض المواقف النقدية التي نجدها متناثرة في كتب النقد، تنم على أنه هناك بعض الملامح الاستدلالية في النقد الجاهلي، غير أنها تتسم بشدّة الإيجاز والبساطة والوضوح في الوقت نفسه[3]، وهذا النوع من الاستدلال البسيط هو الذي سماه محمد العمري بالنقد التفسيري واعتبره البداية الحقيقية للنقد البلاغي، "وهو الذي يشكل في الوقت نفسه بداية الاختلاف غير أن التفسير يطرح دائما" [4]،وقد بدأ المنهج الاستدلالي يتبلور شيئا فشيئا في النقد العربي لما دعت إليه الحاجة واقتضته الضرورة خاصة في "فترة التدوين التي بدأت على يد ابن سلام، واستمرت بعد ذلك فترة تتابع الذوق التأثيري، إلا أن لها فضل مناقشة العديد من القضايا النقدية الذوقية التي كانت الدعامة الأعم لما أتى بعدها من نقد تحليلي" [5]. فالاختلاف بين الرؤى و المناهج هو الذي يخلق الأسئلة التي تثري العملية النقدية، حيث كل فريق يدلي برأيه، ويسعى إلى تغليبه، وفي الوقت نفسه يعمل على دفع رأي خصمه.

4_ 1_الاستدلالات المنطقية:

كقضية السرقات أو أوليات الشعر الجاهلي التي نجد ابن سلام الجمحي يستدل على عدم ثبوت إرجاع الشعر الجاهلي إلى سيدنا آدم.

فهو يرد على أدعاء محمد بن إسحاق بن يسار مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف في قوله:" وكان من أعلم الناس بالسير قال الزهري: لا يزال في الناس علم ما بقي مولى آل مخرمة، وكان أكثر علمه بالمغاز ي والسير وغير ذلك فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول لا علم لي بالشعر، أتينا به فأحمله، ولم يكن ذلك به عذرا، فكتب في السير أشعار الر جال الذين لم يقولوا شعرا قط، وأشعار النساء فضلا عن الرجال، ثم جاوزه ذلك إلى عاد وثمود فكتب لهم أشعارا كثيرة، وليس بشعر إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ ومن أداه منذ

---

[1] - ينظر، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، دار المعارف القاهرة، ج1،(د.ط)،(د.تا)، ص: 183

[2] - السجالي: من مساجلة أي المبالغة،أي فاخره وعارضه،ينظر،السعيد الخوري الشرقوني اللبناني،أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، منشورات مكتبية آيات الله العظمى المرعشي النجفي، إيران،(د.ط)،1403هـ،ص:496.

[3] - ينظر، قصي الحسني، النقد الأدبي ومدارسه، ص: 26.

[4] - محمد العمري البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص:58.

[5] - د. نجوى صابر الذوق الأدبي وتطوره عند النقاد في نهاية القرن الخامس، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ط1، 2006م ،ص: 123.

آلاف السنين، والله تعالى يقول: "الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا[1]، وقال تعالى: "تَرَى لَهُم مِّن بَأْسٍ[2] وقال تعالى: "أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ"[3] [4] ففي هذا النص تبدوا ملامح الاستدلال، فابن سلام يعرض قضية أوليات الشعر العربي ويطرح معها قضية النحل والانتحال في الشعر العربي القديم بذكر مجموعة من الأدلة هي كالتالي:

1. الراوي يعترف بنفسه بأنه غير عالم بالشعر، إنما هو حامل له لا غير.

2. كثرة أشعاره المروية حتى أنه روى الشعر لمن لم يقل شعرا أبدا وحتى أنه روى الشعر للنساء وهذا الدليل الضمني على أن الرجل تكتنفه الشكوك.

3. ليستدل في نهاية المطاف بأنّ الأقوام الذي ذكر أشعارها لم تصلنا حتى أخبارها فكيف بأشعارها تصل وهذا استدلال منطقي، ويدعم هذا الدليل بشواهد من القرآن الكريم تكون بمثابة أدلة أخرى تقوي وتعزز دليلة إذ لها سلطة دينية، ليصل بكل هذه الأدلة إلى نتيجة محتومة وهي أن في الشعر العربي القديم الكثير من النحل والانتحال إذ يقول " وفي الشعر مفعول مفتعل موضوع كثير لا خير فيه"[5]، ولا يقف عند هذا الحد بل يواصل أدلته يأتي بها من أخبار العرب، وهي من الشواهد الجاهزة تدعم الأدلة السابقة، "فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان، ولا نجد أولية العرب المعروفين شعرا، فكيف بعاد وثمود؟ فهذا الكلام الواهن الخبيث، ولم يرو قط عربي منها بيتا واحدا، ولا رواية للشعر، مع ضعف أسره وقلة طلاوته" [6]، فهو ينفي بهذا الدليل نفيا قاطعا عن أن هناك شعرا لعدنان كما أنه ليس هناك شعر أصلا للمتقدمين منهم من العرب، وهذا دليل منطقي يثبت به "ابن سلام" رأيه في القضية، أي ما لا يمكن إثباته عند المتأخرين فكيف به يمكن أن تثبته عند من سبقهم.

الملاحظ من خلال استدلالات ابن سلام أنه بدأت تتراء معالم الاستدلال، إذ أن ابن سلام يرد الادعاء ؛لأن أولا سنده ضعيف أي غير متواتر، وفي نفس الوقت الشعر لا يرقى في لغته وأسلوبه إلى الشعر العربي، ويقيم أقياسا برد الفرع إلى الأصل، ويتابع استدلالاته في نفس القضية في قوله:" "وقال

[1] - سورة الأنعام، 45.

[2] - سورة الحاقة 08.

[3] - سورة إبراهيم، 09.

[4] - ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء،ص:4 ،ص:5.

[5] - ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص: 04،ص:05.

[6] - المصدر نفسه، ص: 04.

أبو عمرو بن العلاء في ذلك، ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا، فكيف بما لا عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهية فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن اسحاق، ومثل ماروى الصحفون، ما كانت إليه حاجة، ولا فيه دليل على علم"[1].

فهذا دليل منطقي آخر يقيس فيه اللاحق بالسابق وهو من الاستدلالات بالخلف والطريقة التي اعتمدها ابن سلام في إثبات صحة دعواه هي الحجج القائمة على المنطق الصوري فهي تارة حجج تراكمية تؤدي إلى نتيجة واحدة في نهاية الأمر وتارة أخرى هي حجج تعزيزية[2].

4_2_الاستدلال اللغوي:

هذا النوع من الاستدلالات جنح إليه الكثير من الباحثين مع البدايات الأولى للدراسات النقدية البلاغية،خوفا من أن يبتعدوا عن معاني الحقيقة "للنص القرآني"، وهذا ما نلمسه جليا في كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة، فيلاحظ" أن المؤلف لم يتجاوز في الأغلب مجرد الوصف والوقوف في لغة العرب، على ما يشهد لأصالة سمت القرآن في التعبير وبقاء "مجازاته" في فلك ما جو ّ زت العرب لنفسها وانعكس ذلك على المصطلح فجاء معناه في أغلب سياقات الكتاب قريبا جدا من معنى "التفسير" فكانت الدراسات لغوية "سطحية" ليس لها من المنهج المقارن إلاّ استخراج نقاط التقاطع بين النصين مهملة، أو تكاد،"[3] إذ يستدل على بعض الآيات القرآنية ومنها قوله عند تفسير كلمة قرأناه في الآية "عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ "[4] "أي تأليفه" فإ ّ قرأناه" أي جمعناه، ومجازه قوله عمرو بن كلثوم.

هجان اللون لم تقرأ جنينا

أي لم تضم في رحمها، وبقال التي لم تلد، وما قرأت سلمى قط"[5].

يظهر من خلال قوله أن يحاول أن يفسر كلمة "قرأناه" أي بلفظة "جمعه" ويستدل على صحة تفسيره ببيت من قول عمرو بن كلثوم، فقد جاء بالشاهد من الشعر العربي الجاهلي وهي من الأدلة الجاهزة ويواصل استدلاله بشاهد من القرآن يثبت به حسن استشهاده بالشعر العربي ؛لأن القرآن جاء

[1] - المصدر نفسه، ص: 04.

[2] - ينظر،محمد طروس،النظرية الحجاجية،ص:24.

[3] - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس،منشورات الجامعة التونسية،(د.ط)، 1981م،ص:94 .

[4] - سورة القيامة،17

[5] - أبو عبيدة، مجاز القرآن، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج1، (د.ط)،(د.تا)،ص:69.

بلسان عربي يقول في ذلك:"نزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أنّ فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن "طه"[1] بالنبطية فقد أكبر، وأن لم يعلم ما هو، فهو افتتاح كلام، وهو اسم سورة وشعار لها، وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها"[2] فهو يعرض الادعاء بقوله "من زعم" ثم يفنده بقوله "فقد أكبر" وكأن أبا عبيدة في مناظرة هو المدعي والخصم في الوقت نفسه ليسوق مباشرة أدلته بعدها، ويحتج لرأيه، ويدفع بذلك رأي خصمه.

فيقيس اللفظ بلفظ آخر من كلام العرب في قوله "فمن ذلك الإستبرقبالعربية، وهو الغليظ من الدّيباج، والفرند، وهو بالفارسية استبره، وكوز وهو بالعربية جوز، وأشباه هذا كثير"[3].

وهو بهذا القياس اللغوي يقيم الدليل على صحة دعواه، وبالاستدلال لصحة مرجعياته فهو يقيم الدليل ليجعله سندا لدليل قبله وهذا ما يعرف بالاستدلالات التعزيزية.

4_ 3_الاستدلال البلاغي:

نلمس ملمح الاستدلال البلاغي في صحيفة "بشر"[4]، حيث يدعي بشر قبل أن يلقي صحيفته أن كل ما اعتاد سماعه عن الخطابة، تضرب به هذه الصحيفة عرض الحائط، ودليله على ذلك أن ما تتضمنه هذه الصحيفة من معاني دقيقة مع إيجاز في العبارةويؤكد على أنّ استدلالاتها يجب أن تكون أكثر دقة،فهو يستدل لحسن اختيار الألفاظ بقوله "والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة"[5] ويبدأ بعدها بنشر أدلته في أن "مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال"[6] فهو يربط بين حسن اختيار المعنى بالقصد ومقام المتكلم وعليه تكون النتيجة سالبة إذا ثبت النقيض.

---

[1] - سورة طه،01

[2] - أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص:70.

[3] - المصدر نفسه ، ص:70.

[4] - ينظر، الجاحظ البيان والتبيين،ص:138إلى ص :139.

[5] - الجاحظ، البيان والتبيين، ص: 138.

[6] - المصدر نفسه، ص:138، ص:139.

كما لجأ بشر إلى الاستدلال بالقياس التمثيلي في قوله "التعقيد هو الذي يستهلك معانيه"[1] وهي استعارة مكنية جعل المعاني كالطعام الذي يستهلك والتعقيد هو الذي يحل محل المستهلك، فهو يدل على شدّة خطورة التعقيد،فلا يستقيم معه المعنى، ويذهب مع ذلك جمال و بهاء اللفظ.

5_تبلور صور الاستدلال في الخطاب النقدي العربي القديم:

عند تصفح المدونات التراثية بداية مع الجاحظ إلى نهاية القرن الرابع يظهر جليا أن المنهج الاستدلالي أصبح منهجا لابد منه في العملية النقدية ولا يمكن لأي ناقد أن يحيد عنه، بحيث تغيرت النظرة إلى الجمال الفني وأصبحت "النظرة الموضوعية إلى الجمال هي التي تبدو عند الكثير من نقاد العرب، وهي التي لها أثرها في نشأة علوم البلاغية، وأثرها في مذهب الصنعة عند بشار و مسلم وأبي تمام ومن لفّ لفهم وأثرها كذلك في نمو علم البديع"[2]فقد كان علماء البيان يؤمنون أنّ البحث في الأسباب والعلل من لُصل الجمال إنّما لا بد منه، لذا كانوا يسعون جيلا بعد جيل إلى استنباط الأحكام القاطعة، فكان لذلك كله الفضل في نشوء علوم البلاغة ومعايير النقد خاصة.

أن مفهوم "الاستدلال" أخذ موقعه في الكتب النقدية سواء اتخاذه كمنهج، أو حتى من حيث تقنينه كقاعدة يحرصون النقاد الالتزام بها، حتى تنطبع أحكامهم بالمصداقية وتكون أكثر موضوعية "وقد جاءت فنون البيان العربي بهذه الصورة تبعا للطبيعة الاستدلالية للبيان العربي، ومبدأ حمل الفرع على الأصل لمناسبة بينهما"[3]، وعلى هذا الأساس تبلورت صور الاستدلال في النقد العربي القديم وأصبحت ضرورة لا بد منها.

5_ 1_تبني النقاد العرب مصطلح الاستدلال :

إنّ العوامل التي جدت على الساحة العربية الإسلامية، بداية مع القرن الثانيهجري كما ذكرنا في المدخل أفضت إلى حقيقة معلومة وهي ضرورة تبني الخطاب البرهاني الذي يؤول إلى الخطاب الحجاجي، لمعالجة مختلف القضايا النقدية التي شكلت نقطة اختلاف بين النقاد وأفرز هذا الاختلاف منهج علمي موضوعي يرتكز على الأدلةحتى أنّ هناك من ربط المنهج الاستدلالي بالبيان، وهذا ما

[1]- المصدر نفسه، ص:139.

[2] - أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص:85.

[3] - محمد سالم سعد الله، مملكة النص: التحليل السيميائي للنقد البلاغي "الجرجاني نموذجا"، عالم الكتب الحديث،إربد الأردن ط1، 2007م،ص:53.

ذهب إليه ابن المعتز في وصفه للبيان "البيان ترجمان القلوب، وصقيل العقول، ومجلي الشبهة وموجب الحجة، والحاكم عند اختصام الظنون، والمفرق بين الشك واليقين، وهو من سلطان الرسل الذي انقاد به المعتصب، واستقام الأصيد وسلم الممتنع"[1].

فأصبح من المسلم أن الأدب لايهدف إلى بث السرور والمتعة في النّفس، بل إن هدفه أسمى من ذلك بكثير حيث أنه يوضح الملتبس ويقيم الدليل والحجة ليصل إلى الإقناع، وهذا الأخير من أهم ما يصبوا إلى تحقيق الأدب، وهذا ما يفصح به الجاحظ في كتابه الحيوان بقوله"ثم جعل للمستدل سبب يدل به على وجوه استدلاله، ووجوه ما نتج له الاستدلال، وسموا ذلك بيانا"[2] فالكلام الفصيح هو الذي سيتسم بالبيان والإفصاح أو أن له ما يستدل به ليكون بيانا وإلا كان الكلام مجرد ضرب من اللغو.

الجمال في العبارة مفطور على حبه الناس ويستلهم عن هذا الجمال في العبارة سهولة الأسلوب الذي يبعث الحيوية والحركة في النفس التي يستلزم عنها الوضوح والتجلي اللذان يرفعان الغطاء والغموض عن المعنى المقصود، هذا المعنى أصبح مترسخا عند جميع نقاد تلك الفترة "بل وموقف البيانيين، من المعرفة الاستدلالية موقف واحد من الناحية الابستمولوجية، المعرفة النظرية أو الاستدلالية هي التي تحصل بتوسط النظر، أو تتولد عن النظر، والنظر يكون في الدليل والدليل أمارة أو علامة ترشد إلى المدلول، والعلاقة بين الدليل والمدلول ليست ضرورية بمعنى أنهّا لا تخضع لمبدأ السببية"[3].

وقد يكون مرجع هذه الرؤية المغايرة في النقد العربي للمدرسة الأصولية التي اعتمدت على مبادئ الاستدلال في الأحكام فقد "وضع الشافعي الأساس لنظرية "أصولية" بيانية، نظرية تهتم بتحديد أصول التفكير ومنطلقاته وآلياته واهتمامها بدراسة أنواع الألفاظ والعبارات من حيث دلالتها على المعاني"[4]. هذا يؤكد أنه كان للشافعي دور كبير في توجيه البحث البياني توجيها مغايرا لما كان عليه من اعتماد على التفكير والملاحظات الجزئية إلى إعطاء أحكام عامة وخروجه بنظرية علمية تعتمد على مبادئ عقلية وهذا ما نلمسه في كتاب الجاحظ الحيوان في قوله :"لولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى، كما أنّه

[1] - أبي إسحاق إبراهيم الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب،المكتبة العصرية صيدا بيروت، ج1،ط1، 2001 م، ص:136.

[2] - الجاحظ: الحيوان،تح عبد السلام محمد هارون، ج1،ط2، 1965م، ص:33.

[3] - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص:222.

[4] - المرجع نفسه، ص:24.

لولا الاستدلال بالاستدلال بالأدلة لما كان لوضع الدلالة معنى (...)وللعقل في خلال ذلك مجال، وللرأي تقلب، وتنبشق للخواطر أسباب، ويتهيأ للصواب الرأي أبواب"[1] فالجاحظ من خلال هذا النص يقف على المقومات الأساسية في العملية الاستدلالية وهي:

1-أولها المعرفة ويبين قيمتها في الوصول إلى الحقائق.

2-ثانيها الفهم والإفهام وهو الغاية المنشودة من العملية الاستدلالية.

3-العقل وهو المحرك الرئيسي للعملية الاستدلالية وهو الآلة التي تفصل الصحيح عن الفاسد.

فهو بذلك يحدد المقومات الأساسية التي يبنى عليها الاستدلال الصحيح وهو يقصد بالمعرفة كل المكتسبات القبلية (بديهيات، مسلمات، مشهورات...) ويمكن تبيينها في المخطط التالي:

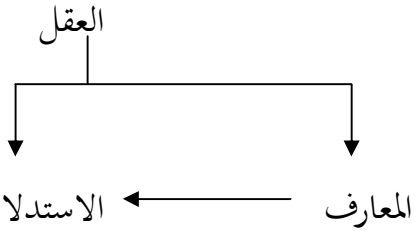

وهو يرى أن المعارف التي تقود إلى الحقائق، والتي يكون بها التفكير السليم لا بد أن يحسن المستدل اختيار استعمال هذه المعارف، فإن استغلال المعرفة في أحسن وجه هو الذي يؤهل الكلام أن يتصف بالبيان وهذا ما عبرّ عنه في قوله :" واللسان لا يكون أبرأ، ذاهبا في طريق البيان، متصرفا في الألفاظ، إلاّ بعد أن تكون المعرفة متخللة به، منقلة له واضعة له في مواضع حقوقه، وعلى أماكن حظوظه، وهو علّة له في الأماكن العميقة، ومصرّفة له في المواضع المختلفة"[2].

وأهم ما يمكن أن نستنبطه من هذه النصوص، ومن نصوص أخرى غيرها (يرجع إليها في كتاب البيان والتبيين أو الحيوان) :"أن مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي، أي أنه العملية الموصلة إلى

[1] - الجاحظ، الحيوان، ج06، ص:115.

[2]- الجاحظ، الحيوان، ج01، ص:117.

الفهم والإفهام في حالة اشتغالها"[1] والاشتغال يكون بحسن استخدام وسائل إنتاج الخطاب وطرق أداء المعنى وهذا ما أراد تأكيده عندما أتى بمفهوم البيان للعتابي "إنما عنى العتابي إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء"[2] و يعني مجاري كلام العرب الفصحاء، وهو عدم الإخلال بقواعد العامة للكلام العربي الفصيح فهو يقيس كل كلام ويرجعه إلى الكلام العربي الفصيح، ويقيسه به فإن تطابق معه حكم عليه بالبلاغة والبيانوإنما خرج عن القياس رد لصاحبه ونعت بالعي ّ والرداءة، فهو يطبق المنهج الاستدلالي قبل أن يحكم على الكلام.

فرغم ما يلاحظ على "كتاب الجاحظ" البيان والتبيين" من فوضى و استطراد كثير في تقديم المعلومات،"فقد سار مع ذلك في كتابه الذي يهمنا هنا كتاب "البيان والتبيين" حسب تصميم منطقي "مضمر" عرض من خلاله العملية البيانية بمختلف مراحلها"[3]، وفي كل مرحلة من هذه المراحل إلاّ ويربطها بالمنهج الاستدلالي وإن لم يذكر ذلك صراحة [4]، خاصة طريقة الاحتجاج التي "تنبني على معطيات تاريخية وتستمد قدرتها على الإقناع من إقرارها أمرا واقعا وحدثا تاريخيا ثابتا، وهي لا تتأتى إلا لعقل كعقل الجاحظ يجد الحجة حيث طلبها"[5]والواضح من المادة النقدية التي يقدمها الجاحظ أنّ ـه يستثمر المنهج الاستدلالي، ويوظفه في كل خطوة يخطوها معإشارة كل مرة إلىأهميّ ـة هذا المنهج وإن لم يرق معه إلى وضع نظرية تسطر المعالم التي لا بد أن يتبعها المستدل في نقده أو إصداره للأحكام.

غير أن ملاحظاته وتحليلاته تنم على أن الجاحظ كانت له نظرة خاصة للمنهج الاستدلالي لعلها هي التي أرست مبادئ النقد والبلاغة فيما بعد، "وأكثر التصنيفات تواترا استقاه المؤلف على ما يبدو من بيئة المتكلمين، خاصة المعتزلة الذين اعتنوا بصناعة الكلام ورتبوا لكل معنى طريقة في الجدل"[6] فقد استفاد النقد العربي القديم كثيرا من طرق الاستدلال التي اعتنى بها المتكلمون، وسنرى بعد ذلك كيف أنّ معظم النظريات النقد وخاصة البلاغية منها كان لها خلفية كلامية سواء من حيث الغاية أو من حيث المنهج.

---

[1] - محمد العمري، البلاغية العربية، أصولها وامتداداتها، ص:191.

[2] - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص:162.

[3] - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص:26.

[4] - ينظر البيان والتبيين، ج1، ص:40.

[5] - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، ص:179، ص:180.

[6] - المرجع نفسه، ص:170.

5_2_قيمة آلية الاستدلال في مشروع ابن وهب النقدي:

شكل مفهوم الاستدلال ومساهمته الفعالة في الرفع من المستوى النقدي المحور الرئيسي في مشروع ابن وهب في كتابه "البرهان في وجوه البيان" وهو"مشروع بياني محض وهو يجمع بين البحث الأصولي الذي دشنه الشافعي والبحث البلاغي الذي طوّره الجاحظ وركز على محور العلاقة بين اللفظ والمعنى بالإضافة إلى ما أنجزه الأصوليون والمتكلمون في موضوع الخبر والقياس وشروط اليقين ودرجات الصدق يتعلق الأمر إذن بنظرية في المعرفة بيانية على جميع المستويات" [1]

فكتابه يمثل عصارة ما نتج من أبحاث ودراسات، خاصة في قضية اللفظ والمعنى والبحث من خلالها عن الحقيقة وتجاوز المعنى الحقيقي.حيث "يريد ابن وهب أن يدرس البيان دراسة منظمة تعتمد بناء الموضوع على أصوله وفروعه بطريقة تقريرية، طريقة الأصوليين من فقهاء ومتكلمين، وليس بطريقة تعتمد البيداغوجيا البيانية كما فعل الجاحظ"[2] وقد ساعدت ابن وهب ثقافته المتنوعة "الدينية، البيانية، المنطقية أن يغترف من عمل هذه الجوانب المتعددة ليؤسس بذلك هذا المشروع البياني الممنطق كما أراد هو له ذلك"[3]، وبالتالي الخروج عن الطريقة التي اعتمدت قبله من تشتت في المعلومات دون مراعاة اختصاص معين.

لذا أكد على ضرورة الاستدلال لمختلف المسائل النقدية في مختلف جوانب كتابه ونجده يفرق بين المسائل التي تستجوب الاستدلال و بين التي لا تتطلب ذلك في قوله:"فالظاهر مستغن بظهوره عن الاستدلال عليه،والاجتماع عليه ؛لأنه لا خلاف له، والباطن هو المحتاج إلى أن يستدل عليه بضروب الاستدلال، ويعتبر بوجوده المقاييس والأشكال"[4]،حتى أنّه أفرد الباب الأول من كتابه "الاعتبار" "وهو المسمى بالنظر في عرف المتكلمين وقد قال القاضي أبو بكر في حدّه هو الفكر الذي يطلب به من قام به علما أو ظنا"[5]، وقد شاع استعمال هذا المصطلح عند الفقهاء والمتكلمون بدل استعمال مصطلح القياس، الذي يفيد التشبيه.

---

[1] - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص:37، ص:38.

[2] - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص:32.

[3] - عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين ،ص: 419.

[4] - ابن وهب، البرهان في وجوه البيان،تح:د حنفي محمد شرف،مطبعة الرسالة،القاهرة،(د.ط)،1969م،ص:49.

[5] - الآمدي، الأحكام في أصول الأحكام، ج1، ص:11.

وعليه فإن "القياس، الاستدلال، النظر، الاعتبار أسماء علمية ذهنية واحدة تقوم على تقدير شيء آخر لجامع بينهما"[1] فجميع هذه المصطلحات سواء الاستدلال أو القياس أو جميع صفات الاعتبار،هي كلمات لمفهوم واحد إنما كل حقل معرفي تبنى إحداها وتعامل مع لفظ دون سواه حسب ما يتوافق معه.

نجد ابن وهب عبر عن الاستدلال مر ّة بالبيان في قوله :" إنّ الأشياء تبين بذواتها لمن تبين، وتعبر بمعانيها لمن اعتبر"[2] ومر ّة بالقياس في قوله:"حاجتنا في القياس أن الله عز ّ وجل قال "**فاعتبروا يا أولي الألباب**"[3]" وكذلك الأمثال التي جاءت في كتابه كمثل كذا وكذا في مواضع كثيرة وذلك كله تشبيه وقياس"[4] وهو بعد أن أخذ مصطلح الاعتبار الذي يعني به الاستدلال وقد يتفرع عنه القياس مرة أخرى ويأخذ معنى التشبيه أو التمثيل فهو يقول:" والقياس في اللغة التمثيل، والتشبيه، وهما يقعان بين الأشياء في بعض معانيها لا في سائرها"[5]،كما فرق بين القياس الصادق وهو البرهان وبين القياس الكاذب وهو القياس الشبه "فالشبه في الحد هو الذي يحكم لشبهة بمثل حكمه إذا وجد فيه فيكون ذلك قياسا صادقا وبرهانا واضحا، والشبه في الوصف هو الذي يحكم لشبهة به، فيكون في بعض الأشياء صادقا، وفي بعضها فيكون كاذبا"[6]، فهو بذلك فرق بين المقدمات في بناء القياس عند المناطقة وفي اللسان العربي وبين أنواع النتائج.

ويبدو من خلال الرسم الذي رسم به كتابهأنّ مشروعه أول محاولة تنظيم على الساحة النقدية البيانية العربية للمنهج البرهاني الاستدلالي وهذا ما وصل إليه عباس أرحيلة في دراسته لكتاب البرهان في وجوه البيان لابن وهب ضمن بحثه "الأثر الأرسطي"،"والخلاصة أن ابن وهب استفاد من دراسته لجوانب من المنطق (القياس والجدل) لينظر إلى البيان نظرة علمية دقيقة من داخل التراث البياني في لسان العرب"[7]، فهو كلما نظر في مسألة من مسائل القياس أو الجدل إلاّ وربط بينهما وبين خصوصية البيان العربي ليستشهد بالقرآن والحديث والخطب العربية" فالمهمة التي أناطها بنفسه هي تنظيم التراث البياني

[1] - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي،ص: 144.

[2] - ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص:65.

[3] - سورة الحشر،2.

[4] - ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، مطبعة الرسالة، القاهرة،(د.ط)، 1969م، ص:65.

[5] - المصدر نفسه، ص:67.

[6] - المصدر نفسه، ص:68.

[7] - عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين، ص:419.

العربي بطريقة منهجية، تحدد الأصول، وتحيط بالفصول (الفروع) فغايته جمع ما تفرق وتنظيمه لتقديم رؤية بيانية، نابعة من القرآن والسنة وأقوال علي كرّم الله وجهه، ومن خطب العرب وأشعارهم وأمثالهم"[1].

والاعتبار عند ابن وهب لا يكون بالقياس وحده بينما قد يكون بالخبر ويقسمه إلى خبر الصادق ومنه التواتر والخبر دون ذلك،كما أن الاعتبار يكون بالظن والتخمين ويكون بطريقة "السبر والتقسيم" ويؤول هذا الاعتبار إلى الاعتقاد، وقسمه إلى ثلاثة أقسام القسم الثاني منها هو "المشبه" وهو الذي يحتاج إلى إقامة الحجة للاستدلال على صحة الاعتقاد به[2]، فهو بذلك أرسى قواعد الاستدلال التي توفر للناظر الناقد في البيان العربي التمييز بين مواطن الصحيح من الفاسد، وتتحقق بذلك الغاية السامية من النقد، وهذا ما توخاه ابن وهب من كتابه إذ يقول: "فهذه جمل من وجوه الاستدلال والقياس تدل ذا اللب على ما يحتاج إليه، ومن أراد استيعاب ذلك نظر في الكتب الموضوعة في المنطق، فإنها جعلت عيارا على العقل ومقومة لما يخشى ذله، كما جعلالبر كار لتقويل الدائرة، والمسطرة لتقويم الخط، وجعل الميزان مثالا للقياس والموازنة بين المتشابهين، لئلا تقع المجازفة، والبخس في الحقوق ويكون الإنسان على يقين من الإصابة في ذلك"[3].

فيمكنعندها القول أن ابن وهب كان على يقين أنّه لا بد من توظيف المنطق ضمن الدائرة البيانية العربية، حتى تكون أحكام النقاد أكثر فاعلية، وقريبة من الدقة العلمية، فهو يدعو دعوة صريحة إلى تعلم مبادئ المنطق، مع مراعاة خصوصية اللسان العربي، ولا يتأتى له ذلك إلا بأعمال الفكر فهو بهذا قرّب بين البيان العربي والمنطق الفلسفي، واشترط أن يكون للعقل الدور الرئيسي في عملية التقريب، بما أن نتاج العقل تتفق على صحته جميع الناس.

ومن خلال محاولة الجاحظ في إرساء مبادئ البيان العربي، وكذا محاولة ابن وهب في إعادة ترتيبه، كذا المحاولات التي سبقت المحاولتين يمكن استنتاج"أن مفهوم الاستدلال عند العلماء والبلغاء العرب عدا أهل المنطق والبرهان –كان يتم استقصاء القول فيه ضمن إطار علم البلاغة وعلم المعاني والبيان، معنى ذلك إنهّم ميزوا بين أسس بيانية (بلاغية –فقهية- نحوية..الخ)، والاستدلال البياني، إن

[1] - المرجع نفسه، ص:411.

[2] - ينظر ابن وهب، البرهان في وجوه البيان ،ص:85 إلى ص:87.

[3] - ينظر ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص:76.

صح التعبير، هو ما يشكل دليلا أو دلالة، بمعنى، البينة أو الحجة، كمعايير يحصل بها التبيين أو إظهار الحق وصدق الخبر، وفي المنظور العربي اللغوي –البلاغي نجد مفهوم الاستدلال (الترادف للقياس أيضا) لا يخرج عن حظيرة التشبيه والوصف والاستعارة ومن ثم فهو ليس عملية عقلية استنباطية محضة، بل عملية "خطابية" يتم بموجبها اتخاذ علامة مادية أو معنوية وجعلها شاهدا أو مثالا على شيء أو وصفة من صفاته، لذلك لا يخرج الاستدلال عن دائرة التشبيه والاستعارة وبشكل أعم عن دائرة المجاز"[1].

والاحتمال الكبير أن لرؤية الجاحظ وابن وهب الأثر الكبير في توجيه الإطار العام النقدي العربي بعدها، طرح خلالهاعدّة قضايا نقدية احتدم الصراع حولها، كان على النقاد العرب أن يتتبعوا أسلم طرق الاستدلال التي تمكنهم من الدفاع عن آرائهم، ودحض آراء المعارضين، وأصبح لازما على النقاد بعد ذلك "الاعتناء بالجانب التطبيقي من البلاغة، حيث تتحول المقررات النظرية، والقواعد العامة إلى وسائل عمل، تمارس بها التجربة الأدبية ممارسة عملية لاتغترف بالحدود بين البلاغة والنقد، يبدو على جانب كبير من الأهمية ؛لأنه يساعدنا على معرفة الحدود والحقيقة التي يتنزل فيها العمل النظري ويكشف لنا عن المشاغل الحقيقة التي كانت تخامر البلاغيين والنقاد وعن الإطار الذي تتحرك فيه رؤيتهم الفنية وقناعتهم الجمالية".[2]ولعل أهمّ تلك المشاغل هي القضايا الجوهرية التي اعتنى بها كل من صاحب "اليان" وصاحب "البرهان" من إبانة و وضوح اللذين يقودان إلى الفهم أو الإفهام، ومنه إلى الإقناع، في حدود مبادئ المنطق الذي يقوم أصلا على العقلانية، وتتجلى هذه المشاغل في مختلف القضايا التي شغلت النقاد العرب القدماء.

5_3_الاستدلال وأثره في دراسة قضايا النقد العربي القديم:

لا بد من أن نطرح نتاج النقاد على طاولة البحث والتمحيص، حتى يتسنى لنا أن نستخرج مواطن الاستدلال، ومدى استخدام صوره وكذا فعالية وقوّة الأدلة التي استعان بها النقاد.حاولنا أن ننظر ذلك في كل قضية من قضايا النقد العربي القديم .

[1] - أحبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي "ضمن مجلة عالم الفكر، العدد 1 المجلد 3 يونيو، سبتمبر 2001م، ص:124.

[2] - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص:593.

5_3_1_-قضية اللفظ و المعنى:

لفتت قضية "اللفظ والمعنى" أنظار النقاد منذ أن طرحها الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" بشكل فعلي، وشكلت عند ذلك مدار الرحى في النقد العربي القديم بعده، ونمت هوة الانفصال بين ثنائية اللفظ والمعنى (الدال والمدلول) وتصدرت جميع قضايا النقد "فهكذا طوال الفترة التي عرفت أزهى عصور الثقافة العربية من القرن الثالث إلى الخامس الهجريين كانت إشكالية اللفظ والمعنى على رأس القضايا البيانية التي استأثرت باهتمام المتكلمين والبلاغيين فضلا عن النحاة واللغويين وعلماء أصول الفقه، وإذا كان تفكير النحاة واللغويين بين هذه الإشكالية قد تركز حول الإعراب في ارتباطه بمنطق اللغة العربية، وإذا كان اهتمام الأصوليين من الفقهاء والمتكلمين قد تركز داخل الإشكالية نفسها على مسألة الدلالة من جهة ومسألة التأويل من جهة ثانية"[1]! فإنّ هذه القضية لم تعد مرتبطة بالدراسات البلاغية فحسب بل خرجت إلى حقول معرفية أخرى وشكلت المحور الرئيسي في أبحاثها خاصة لد ى المتكلمين "ومن هنا اتجهت المناقشات الكلامية في موضوع اللفظ والمعنى اتجاها بلاغيا واتجهت المناقشات البلاغية في الموضوع نفسه اتجاها كلاميا، والنتيجة اصطباغ البحث البلاغي العربي بالصبغة "الكلامية"[2].

فهذه القضية اتخذت أساليب مختلفة في البحث وتشعبت طرق تناولها كما أنّها فرضت نفسها على جميع تيارات الفكر العربي، وكل تيار خاض فيها حسب ما يخدم مقاصده الفكرية، كاتخاذها البعد الدلالي عند علماء أصول الفقه.

وفي النقد العربي انقسم النقاد إلى فريقين، فريق يقدم اللفظ على المعنى وفريق يميل إلى المعنى ويقدمه عن اللفظ، وكل منهما له أدلته وحججه يستدل بها ليثبت صحة رأيه ويحاول بها أن يرد على آراء معارضيه.

فهذا "قدامة بن جعفر" يرى أن "النابغة" قد أخطأ عندما حكم على "حسان بن ثابت" بالخطأ عندما عرض عليه شعره في سوق عكاظ، بينما هو مصيب في ذلك، إذ يقول: "من أنعم النظر علم أن هذا الرد على حسان من النابغة كان أو من غيره خطأ وأنّ حسانا مصيب إذ كان مطابقة المعنى بالحق في يده، وكان الرد عليه عادلا من الصواب"[3]، ذكر ذلك في باب المعاني الدال عليها الشعر، ويستدل

[1] - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي،ص:77 .

[2] - المرجع نفسه، ص:77.

[3] - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د.ط)،(د.تا)،ص:93.

قدامة على صحة رأيه بمجموعة من الأدلة اللغوية،حيث يحلل كل شطر من أبيات حسان برد الألفاظ إلى معانيها الحقيقية، ومن خلال تحليله يرى أن اللفظ قد يعبر به على عدة معاني فيرجع أقرب معنى يقصده حسان يتوافق و مقتضى غرض الشعر وأدلته هي كالآتي:

1-أنّ حسانا لم يرد بقوله "الغ" البيضاء إنمّا أراد بالغر المشهورات ويحتج لرأيه بقوله "أراد بقوله الغر المشهورات كما يقال يوم أغر ويد غراء وليس يراد البياض في الشيء من ذلك بل يراد الشهرة والنباهة"[1].

2-هذا الدليل يرد به "قدامة بن جعفر" قول "النابغة" إذ يقول"أما قول النابغة في يلمع بالضحى وأنّه لو قال بالدجى لكان أحسن"[2]. فيرد عليه بقوله "فريد خلاف الحق وعكس الواجب بأنه ليس يكاد يلمع بالنهار من الأشياء إلا الساطع، النور الشديد الضياء، فأما الليل فأكثر الأشياء مما له أدنى نور وأيسر بصيص يلمع فيه"[3]، ويدعم رأيه بأمثلة من الواقع يقوي بها موقفه ليصل بها إلى الإقناع.

3-يسوق "قدامة بن جعفر" هذا الدليل ليبين أنّ حسانا لما ذكر لفظ يقطرن بدل كلمة يجري على حسب ما رأى النابغة، فإنّ "حسانا" ذهب إلى ما اعتاد العرب عليه في كلامهم "إنما ذهب إلى ما يلفظه به النّاس ويعتادونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا سيفه يقطر دما ولم يسمع سيفه يجري دما، ولعله لو قال يجرين دما يعدل عن المألوف المعروف"[4]. فهو بذلك يستعين في استدلاله على دلالة الألفاظ وما تحمله من معاني تتطابق و مقتضى الحال، ويثبت في بداية قوله أن هذا لا يتأتى إلاّ من أمعن النظر،فهو يصرح بضرورة استثمار الاستدلال للوصول إلى أحكام صحيحة.

بينما "ابن طباطبا" نجده يستدل بلاغيا على بقاء جودة الألفاظ والمعاني حية، لا يزول جمالها مهما طال الزمن، إذا ما أحسن اختيارها في قوله: "فبعضها كالقصور المشيدة، والأبنية الوثيقة الباقية على مر الدهور، وبعضها كالخيام المرتدة التي تزعزعها الرياح، وتوهيها الأمطار، ويسرع إليها البلى، ويخشى عليها التقوض"[5]. وهذا النوع من الاستدلال هو استدلال حجاجي يعتمد على القياس الذي

[1] - المصدر نفسه، ص: 93.

[2] - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص: 93.

[3] - المصدر نفسه، ص:93.

[4] - المصدر نفسه، ص:94.

[5] - ابن طباطبا، عيار الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005م، ص:13.

يكثر في كلام العرب ؛لأنه يقوم على التشبيه، فهو يحمل على توجيه المعنى أو تقريبه إلى الأذهان وبيان دلالته وكلما حصل هذا كان الإقناع أيسر على المتكلم.

وهو من الحجج الشبه منطقية؛لأنّ المتشابهات تسلك الطرق ذاتها وبالتالي تصل إلى نفس النتائج ،فالتشبيه لم يقتصر في كلام العرب على إعطاء النص أو الكلام صبغة جمالية بينما أخذ التشبيه وما يتفرع عنه من استعارة وتمثيل وغيرها وظيفة الاستدلال خاصة في النقد والبلاغة العربيين لما له من دلالة أقوى وأثبت تضع المخاطب أمام حقيقة مادية لا يمكن له أن ينازع فيها، وتصبح عندها التشبيهات من أفضل الطرق وأيسرها وصولا إلى المعاني المستورة،وربما هذه الخاصية التي ميّزت التشبيهات هي التي طورت البحث في اللفظ والمعنى إلى البحث في المجاز مما حصل تعقيدا أكثر واختلافا أوسع.

5_3_2_قضية تحديد مفهومي الفصاحة والبلاغة:

يفرق الجاحظ بين البلاغةو الفصاحة حيث يطرح القضية بدعوى على لسان العتابي "حين زعمأنّ كل من أفهمك حاجة فهو بليغ"[1] وتدل لفظة زعم على الدعوى التي يعارضها الجاحظ ويستدل لذلك بعدة أدلة هي كالتالي:

1-أن كلام المولدين والبلدين رغم أننا نفهمه هذا لا يعني أنّه بليغ، ويستشهد لهذا الدليل بمجموعة من الأدلة يقوي بها دليله ويدعم بذلك رأيه [2] في قوله "لم يعِ أنّ كل من أفهمنا من معاشرة المولدين والبلديين قصده ومعناه بالكلام الملحون، والمعدول من جهته والمصروف عن حقه أنّه محكوم له بالبلاغة كيف كان، بعد أن قد فهمنا"[3].

2-ودليله الثاني على ذلك يتمثل في قوله "ومن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل، جعل الفصاحة واللكنة، والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة والملحون والمعرب كله بيانا"[4] وهو يعني أن من كان له عيوب في اللسان كان بليغا وهذا من المستحيل إذ لا تقتصر البلاغة على الإفهام فقط.

---

[1] - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص:161.

[2] - ينظر، المصدر نفسه، ج1،،ص:161، ص:162.

[3] - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص:161.

[4] - المصدر نفسه، ج1، ص:162.

وهي من جملة الأدلة الجاهزة تشكل بعرضها وتحليلها استدلالا استقرائيا وهو "يشكل نشاطا ضروريا للمنهج العلمي، ولعدد من الاستدلالات اليومية ما دام يسمح باستخراج قوانين من وقائع الملاحظة"[1] بحيث يجمع الجاحظ مجموعة من الأمثلة التي يأخذها من بيئته ليصل بها إلى نتيجة عامة مفادها أن البلاغة لا تقتصر على الإفهام.

الدليل الثاني الذي استخدمه الجاحظ "الاستدلال بالخلف" "وهو استدلال غير مباشر شاع في الدراسات الكلامية، ويعتمد على أسلوب القسمة بأن يردد الأمرين لاحتمالين لا ثالث لهما (في نظر المستدل) فإن أبطل أحدهما وهو ما يدعيه الخصم تثبت دعواه وهو بدون دليل آخر، بناء "على أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان"[2].

3-دليله هذا يؤكد أنطبقة الأعاجم لا يستدل بكلامهم أهل اللغة والمختصون في البلاغة، وإن كان كلامهم مفهوما إذ يقول :"وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلون على معاني هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رطانة الرومي والصقلي، وإن كان هذا الاسم إنمّا يستحقونه بأن نفهم عنهم كثيرا من حوائجهم"[3].

وهذا الدليل من سبيل القياس الناقص حيث حذفت أحد المقدمتين إيجازا للكلام، وتفصيل هذا الدليل كالتالي:

المقدمة 1 ⇐ أهل اللغة لا يستدلون بالأعاجم رغم أننا نفهمهم.

المقدمة 2 ⇐ أهل اللغة لا يستدلون بالكلام غير البليغ ⇐ وهي المقدمة المحذوفة.

النتيجة ⇐ إذن كلام الأعاجم غير بليغ.

وهذا الحذف من خصائص الاستدلال الحجاجي الذي لا يهتم كثيرا بالمقدمات بقدر ما يهتم بالإقناع والتأثير، بأحسن الطرق المتاحة له دون اللجوء إلى التفصيل والتحديد.

4- وآخر دليل يورد الجاحظ في هذا الموضوع قوله:" وأصحاب هذه اللغة يفقهون قول القائل منّا "مكره أخاكبطل" وإذا عزّ أخاك فهن" ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم "ذهبت إلى أبو زيد،

[1] - محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص:25.

[2] - حسن محمود الشافعي، المدخل إلى دراسة علم الكلام، ص:184، ص:185.

[3] - الجاحظ،البيان والتبيين،ج1،ص:162.

ورأيت أبي عمرو"[1]وعليه فإن الجاحظ يستدل باستدلال لغوي حتى يقنع بما يقصده العتابي من وراء كلامه حتى لا يقع اللبس والخطأ.

لا يختلف مفهوم أبو هلال العسكري للبلاغة والفرق بينها وبين الفصاحة لا يختلف كثيرا عن ما ورد عند الجاحظ في البيان والتبيين،غير أنّه يستدل لذلك بطرق،مختلفة حيث يرى أن البلاغة تتعلق بالمعنى بينما الفصاحة فلها علاقة باللفظ، ويقيم لذلك عدة أدلة وتتمثل فيما يلي:

1-"أن الببغاء يسمى فصيحا ولا يسمى بليغا، إن هو مقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يجوز"[2].

2_ويتدرج بعدها في الأدلة، فيحشد بعض الشواهد منها قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومنها قول الحسن بن علي رضي الله عنه، و هذان الشاهدان يعتبران من أقوى الأدلة للمكانة التي يحتلها كل من الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكذا الحسين رضي الله عنه عند المسلمين.

3_ يستدل كذلك بشواهد من الشعر العربي ومن النثر، يقوي بها رأيه ويشد بها حجته.

4_ودليله الأخير يعتبر من أقوى الأدلة التي يسوقها وهو دليل منطقي يعتمد على المقارنة، حيث يبين المعاني البليغة والمعاني الفصيحة في شاهد من نفس الشعر حتى تكون الصورة أقرب وأوضح للمخاطب.

" نمر الصبا صفحا ساكنة الغضا ويصدع قلبي أن يهب هبوبها.

قريبة عهد بالحبيب وإنما هوى كل نفس حيث حل حبيبها

فالبيت الأول فصيح بليغ والبيت الثاني بليغ وليس بفصيح"[3].

وهو في النهاية يبين مقصده من هذه الاستدلالات، أي أنه يقصد بها صناع الكلام أي أهل البلاغة واللغة ولا يقصد منها أبدا الخوض في المسائل التي خاض فيها أهل الكلام، فهو يصرح بأنه ينتهج الخطاب البرهاني الاستدلالي لكن يوظفه في الحقل البلاغي،بعيدا عن مقاصد أهل الكلام وهو مع كل ذلك يعطي للألفاظ الأولوية أي يقدم اللفظ عن المعنى وهذا ما يفصح عنه قوله : " ومن الدليل على أن

[1] - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص:162.

[2] - أبو هلال أبو هلال العسكري كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر،مطبعة محمود بك،ط1320،1 هـ، ص:07.

[3] - ينظر، أبو هلال أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين،ص:08.

مدار البلاغة على تحسين اللفظ(.....) أي الخطب الرايعة والأشعار الرايعة، ما عملت لإفهام المعاني فقط ؛لأن الردئ من الألفاظ يقوم مقام الجيدة منها في الإفهام(....)وإنما يدل حسن الكلام، وإحكام صنعته (.....)على فضل قايله وفهم منشبه (...) وأكثر هذه الأوصاف ترجع إلى الألفاظ دون المعاني وعليه "[1].

1- فإن دليله الأول يدل على أن النعوت الكثير التي يصف بها الكلام الجيد إنما ترجع إلى الألفاظ الجيدة إذا ما قرنت بالمعاني.

2- ودليله الثاني يتمثل في أن البلاغيين والخطباء والشعراء إنما غايتهم هي تجويد اللفظ وتنقيحه وترتيبه، ويوضح هذا الدليل بدليل آخر.

3- إذ يقول : " لو كان الأمر في المعاني لطرحوا أكثر ذلك فربحوا كدا كثيرا، وأسقطوا عن أنفسهم تعبا طويلا"[2]، وهو استدلال تلزم عنه النتيجة الحتمية التالية، وبما أن الأمر غير ذلك فإنهم يكدون ويتعبون كثيرا.

4- ودليله الأخير هو : إن الكلام "إذا كان لفظه حلوا عذبا، وسلسا سهلا، دخل في جملة الجيد وجرى مع الرايع"[3]؛ ويستشهد لهذا الدليل بأبيات امرئ القيس التي سبق وأن رأينا كيف استهجنها " ابن قتيبة " دون أن يورد دليلا على صدق دعواه.

ولما قضينا منها كل حاجة وسالت بالأعناق المطي الأباطح "[4].

إلاّ أنّ أبا هلال أبو هلال العسكري يستشهد بها ويرى أنها من أحسن الشعر رغم أن معناها لا يرقى إلى الجودة بينما الألفاظ المختارة هي التي رشحت هذه الأبيات أن تتقلد وسام الجودة.

5_3_3_قضية القديم والجديد:

فهذه القضية أسالت الكثير من الأقلام واختلفت الرؤى عليها، بين مؤيد للجديد وبين من هو يحرص على ضرورة التمسك بالموروث،ولكل فريق أدلته يدلي بها، لعله يصل بها إلى إقناع معارضيه.

---

[1] - أبو هلال أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ، ص: 08.

[2] - المصدر نفسه، ص: 42.

[3] - المصدر نفسه، ص: 42.

[4] - المصدر نفسه، ص: 42.

ويعتبر ابن قتيبة أول من طرح القضية طرحا جريئا صريحا، إذ يستحسن الشعر لذاته ولخصائصه الفنية لا إلى قائله و إن كان من القدماء، ودليله على ذلك:

1- أن كل قديم كان حديثا في عصره [1].

ويتابع ابن قتيبة الاستدلال على ذلك بدليل منطقي آخر وهو:

2- "ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوما دون قوم"[2].

وابن المعتز لم يؤلف كتابه " البديع" إلا ليفصل في هذه القضية حيث يرى أن الشعراء لم يأتوا بجديد ودليله على ذلك:

3- إنما بالغوا فيما كان متعارفا عليه عند القدماء من صيغ البديع المستعمل في نظم الشعر فلجؤوا عند مبالغتهم إلى الصنعة والتكلف، ويدعم موقفه هذا بما جاء في كتابه من انه يورد الشواهد من الشعر والقرآن لكل جنس من أجناس البديع التي استخدمها الشعراء زمانه فهو بذلك يقيس اللاحق بالسابق فهو يقول: " وإنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع وفي دون ما ذكرنا مبلغ الغاية التي قصدناها"[3].

غير أن الجاحظ لا يستجيد شعر المحدثين في قوله " والقضية التي لا أحتشم منها ولا أهاب الخصوم فيها: أن عامة العرب والأعراب والبدو والحضر من سائر العرب أشعر من عامة شعراء الأمصار والقرى من المولدة والنابتة" [4] ودليله على ذلك أنهم :

1-لا يجيدون قول الشعر.

2-أكثر المعاني التي طرقوها إنما قد سبقهم إليها الأولون ويضرب لذلك عدة شواهد يقارن بين شعر المولدين، والشعر الجاهلي[5]، وهذا من قبل أن يصرح برأيه في المسألة، وكأنه يعطي لدليل الأسبقية

[1] -ينظر، ابن قتيبة الشعر والشعراء، ص: 63.

[2] - ابن قتيبة الشعر والشعراء، ص: 63.

[3] - ابن المعتز البديع، دار المسيرة، بيروت، ط03، 1982م ،ص:03.

[4] - الجاحظ، الحيوان،ج3، ص: 130.

[5] - المصدر نفسه، ص:130.

والأهمية أكثر من الرأي في المسألة، وهذا النوع من الاستدلال يفرض على المخاطب المشاركة في استنباط النتائج، حيث أن أدلته تقود لزوما إلى تبني رأيه .

5_3_4_قضية الصنعة والتكليف:

أثار ابن سلام قضية صناعة الشعر، وهذه القضية كان لها صدى كبير في تطوير النقد العربي بعد أن اختلفت أراء النقاد حول أن كان الشعر صناعة أو هو من طبع الشاعر فالجاحظ يرى أن الشعر صناعة ويدعوا إلى ضرورة التدرب على قول الشعر، وكذا لابد للشاعر أن يعمل على تنقيحه وعرضه على ذوي الاختصاص حتى يرقى مستوى الشعر، وهو قبل أن يعرض رأيه يستدل بهذه الأدلة.

كبار الشعراء الجاهلين كانوا أشد حرصا على تنقيح قصائدهم أمثال زهير بن أبي سلمى والخطيئة، إذ يقول : " وكان زهير بن أبي سلمى، وهو أحد الثلاثة المتقدمين، يسمى كبار قصائده "الحوليات".

وقال نوح بن جرير، قال الحطيئة: خير الشعر الحوالي المنقح"، قال وقال "البعيث "الشاعر، وكان أخطب يوم الحفل إلا بالبائت المحك...إلخ"[1].

ويواصل الجاحظ في تجميع الأدلة مستشهدا بمجموعة من آراء العرب و هذا النوع من الاستدلال يسمى الاستنتاج، ويعتمد على شكل من التسلسل" ممثلا في نتيجة استلزامية (إن ....ف إذن) مع أقوال تجمعها " علاقة معنى "[2] حيث ينطلق صاحبه من الجزئيات ليصل إلى حكم عام بمثابة قانون شامل.

5_3_5 قضية السرقات:

كثر الكلام في هذه القضية في الموروث النقدي العربي سواء كان شفاهة أو تدوينا، ويرجع السبب في ذلك إلى انتشار هذه الظاهرة في الشعر العربي القديم لأسباب عديدة، وما يهمنا هو أن هذه القضية أثارت الكثير من التساؤلات والنقاشات، حتى أنها وصلت إلى درجة الخصومات بين النقاد.

وسنحاول أن نقف على بعض آراء حول هذه القضية ونفتش عن الأدلة العلمية وذات الأثر الفعال والتي استند إليها كل ناقد لخدمة غرضه وتكون في نفس الوقت أداة لدحض أدلة خصومه، ولعل

[1] - الجاحظ البيان التبيين، ج01،ص: 204 .

[2] - باتريك شارودوت أحمد الوردني الحجاج بين النظرية والأسلوب الكتاب الجديد،ط1، 2009م، ص: 36 .

أثر السرقات التي اشتد حولها الجدال هي سرقات أبي تمام والبحتري والمتنبي وقبلهم سرقات جرير والفرزدق[1].

حيث نجد القاضي الجرجاني في كتابه الوساطة يستدل على رأيه في أن السرقة قضية قديمة، وأمر لا بد منه، ولا يمكن للشاعر الانفكاك عنها، ودليله على ذلك:

1- أن المعاني معظمها قد سبق المتقدمون تداولها في قوله :" لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني، وسبق إليها وأتى على معظمها"[2].

2- حالي الباقية قليلة فيقول :"وإنّما يحصل على بقايا، إمّا أن تكون تركت رغبة عنها واستهانة بها، أو لبعد مطلبها واعتياص مرامها، وتعذر الوصول إليها"[3].

ويدعم هذين الدليلين بشاهد من الشعر العربي لأحمد بن أبي طاهر يساند موقفه

والعشر ظهر طريق أنت راكبه فمنه منشعب أو غير منشعب

وربّما ضمّ بين الرّكب منهجه وألصق الطنب العالي على الطنب[4].

أما صاحب الصناعتين " أبو هلال العسكري" يستدل لموقفه في هذه القضية على غرار النقاد الذين تكلموا في هذه المسألة، حيث جاء موقفه منصفا للشعراء ورأى أنّ الشاعر ليس له بد من أن يأخذ عن غيره معنى لكن لا بد له من أن يتصرف فيه حتى يكون أحسن حالا من المعنى المسبوق فيكون بذلك أسبق منه إليه [5]، واستدل لموقفه بهذه الأدلة:

1-لو لم يكرر أحدنا قول الآخر لما قال شيئا، ويضرب مثل الطفل الصغير عندما يبدأ بالنطق فيقول:" ولولا أن القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته أن يقول، وإنّما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين"[6].

---

[1] - ينظر،محمد صايل حمدان عبد المعطي وآخرون، قضايا النقد القديم، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن،ط1، 1990م، ص: 83.

[2] - القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص:185 .

[3] - المصدر نفسه، ص:185.

[4] - القاضي الجرجاني، الوساطة ، ص:185.

[5] - ينظر ، أبو هلال العسكري،كتاب الصناعتين، ص :146.

[6] - أبو هلال العسكري،كتاب الصناعتين،ص:146.

فهو في هذا المثال يقيس الشعر والكلام عامة بكلام الطفل، وهو قياس تام ويدعم دليله بشاهد من أقوال علي بن أبي طالب "لولا أن الكلام يعاد لنفذ"[1].ويعتبر هذا الدليل من أقوى الأدلة الجاهزة لما عرف به علي (رضي الله عنه) من الحكمة والبلاغة والتقوى وكل هذه الصفات لا بد أن تتوفر في الرجل حتى يكون حجة ،[2] ويضيف إلى هذا الشاهد شاهد آخر يسنده إلى بعض العقلاء "فربما وقع المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي(...)وإنما تتفاضل الناس في الألفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها"[3].

2_كثيرا ما يقع في كلام المتأخرين معنى سبقهم إليه المتقدمون وهو يعترف أنّ ذلك كثيرا ما يقع "وقد يقع للمتأخر معنى سبقه إليه المتقدم من غير أن يلم به ولكن كما وقع للأول وقع للآخر، وهذا أمر عرفته من نفسي"[4] ويذكر مثالا حصل معه على ذلك يقوى به دليله.

والنتيجة التي وصل إليها الناقد من خلال هذه الأدلة هي: أن لا يحكم لشاعر بالسرقة عن آخر حكما قاطعا إذ يقول:" وعزمت على أن لا أحكم على المتأخر بالسرق من المتقدم حكما حتما"[5]. وإن هذه الاستدلالات التي قدمها أبو هلال العسكري تبين بأن الرجل "كان على دراية بالأدب العربي مكنته من عزا ة الاستشهاد،ولكنه تابع" قدامة "في الاعتماد على التعريف والتصنيف واستعان بالكثير من أحكامه وآرائه وأضاف إلى كل ذلك وقوفه موقف المعلم صاحب الأقيسة المعيارية"[6]فاقترب بذلك كثيرا من منهجه.

بينما عالج "الآمدي" هذه القضية معالجة وافية في كتابه "الموازنة بين أبي تمام والبحتري" واستدل لآرائه أحسن استدلال لم يسبقه إليه أحد وسنحاول أن نرصد نقاط الاستدلال التي حضي بها كتاب "الموازنة"،فقد "استغل الآمدي كل الدراسات السابقة التي قيلتفي شأن الخصومة بين الشاعرين سواء

[1] - المصدر نفسه، ص:146.

[2] - ينظر الفصل الأول، ص:21.

[3] - أبو هلال العسكري،كتاب الصناعتين، ص:146.

[4] - المصدر نفسه، ص:146.

[5] - أبو هلال العسكري،كتاب الصناعتين، ص:146.

[6] - د.الطاهر حليس "اتجاهات النقد العربي وقضاياه في القرن الرابع هجري ومدى تأثرها بالقرآن، مركز منشورات جامعة باتنة،(د.ط)، 1996م، ص:281.

كانت شفوية أو كتابية، هذه الدراسات لا شك أنّها كانت محل عناية فائقة من قبل الآمدي حتى يبين منهجه النقدي"[1].نخص بالذكر المنهج الاستدلالي.

فالآمدي قبل أن يعرض آراءه وأدلته في المسألة، يذهب إلى عرض أدلة خصوم البحتري وأبي تمام، فتكون بذلك بمثابة دعوى يقيمها الناقد يحاول من خلالها بناء دليل قوي على صحة دعواه، وهي مسلمات يستخدمها الآمدي كمقدمات لاستدلالاته.

وما يلفت انتباهنا عند الآمدي هو أنه "اهتم اهتماما بالغا بقضية النصوص وصحتها ونسبتها إلى أصحابها"[2]؛ لأنّ عملية التوثيق ذات أهمية بالغة في إعطاء دليل المصداقية والفعالية، وهذا ما يعرف بالسند وهو "عبارة عن جملة من الرجال أو الرواة الذين نقل عنهم"[3] وهو وسيلة من وسائل الاستدلال للوصول إلى حقيقة الأمر فهو بمثابة الدليل.

وقد كان الآمدي على وعي بأهمية المسألة، حيث يذكر ذلك في كتابه مرارا منها قوله" حتى رجعت إلى النسخة العتيقة التي تقع في يد الصولي وأضرابه"[4].

والمتصفح لكتب النقد يجدها مملوءة بأسانيد الأخبار والمرويات وغالبا ما لا يذكر الناقد شاهدا أو دليلا إلاّ أرجعه إلىمصدره وبعد أن يشير إلى سنده "ذلك أنّ السند وإن أتى على صورة الدليل فإما أنه لا يقصد به التدليل كما هو الحال في التأسيس"[5].فالسند إمّا أن يكون دليلا في حد ذاته أو يكون دليلا يعزز به دليل آخر.

بالإضافة إلى عناية النقاد العرب بالسند، اهتموا كثيرا بحسن اختيار المثل والشاهد المناسب الذي كان له دور فعال في تقوية أدلتهم، وهذا ما نلمسه عند جل النقاد العرب ولا سيما الآمدي حيث "يستوف أمثلة من كلام القدماء والمحدثين وهذه تعد تبوينات نقدية يستغلها الآمدي كسند قوي لأحكامه وآرائه وخطة منهجية معينة له على إدراك الغايات والمقاصد التي يجري وراءها..." [6].

---

[1] - د.الطاهر حليس "اتجاهات النقد العربي وقضاياه في القرن الرابع هجري ومدى تأثرها بالقرآن ص:282.

[2] - أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص:282.

[3] - طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص:134.

[4] - الآمدي، الموازنة،بين شعر أبي تمام والبحتري، تح: أحمد صقر، ط 04، دار المعارف،2009م، ص:75.

[5] -طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص:135.

[6] - د.الطاهر حليس، اتجاهات النقد العربي وقضاياه في القرن الرابع هجري ومدى تأثرها بالقرآن، ،ص:286.

والأمثال المستمدة من الواقع أو الاحتجاج بالشعر أو القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية تعمل على إقناع المخاطب أكثر من الدليل نفسه الذي يسوقه النقاد وهذا ما عرف بين علوم التراث الإسلامي بالأدلة النقلية "فالآيات القرآنية والأحاديث وأبيات الشعر والأمثال والحكم ومن حجج جاهزة تكتب قوتها من مصدرها ومن مصادق الناس عليها وتواترها وتدخل الخطيب ينحصر في اختيارها وتوجيهها إلى الفرض المرصود للاستدلال عليه"[1].

فكتب النقد تزخر بالشواهد وكذا بالأمثال العربية التي لاتعد ولا تحصى،حتى في كثير من الأحيان لا يصرح الناقد برأيه في مسألة معينة إنما الشواهد والأمثال التي يرصدها تنبئ على رأيه في المسألة.

" وقد تنبه دارسوا النص القرآني والبلاغيون العرب بالممارسة والمثاقفة إلى أهمية المثل في إحداث الإقناع"[2].

حيث أن ابن وهب فصّل الكلام عن المثل في كتابه "البرهان في وجوه البيان" وبين الوجوه التي ينبغي أن يكون عليها ودوره في توجية العملية الإقناعية [3].

ولم يكتف النقاد بالتوصل إلى الإقناع بهذه الوسائل فحسب،بل حتى وصل بهم الأمر إلى الأخذ بآراء علة النّاس، ولعل قصدهم من ذلك هو مشاركة جميع الأطراف في العملية الاستدلالية، وحتى يكتسي الدليل صبغة مشهورة ؛لأن الهدف منه الحجاج أكثر منه البرهان، وقد أكد أرسطو إلى عمومية أهمية هذه العملية في كتابه "الخطابة" بقوله "وقد ينبغي أن يستعمل أيضا الآراء العامية الجارية على ألسن العامة إذا كانت نافعة وذلك المعنى لأنها لعمومها كأنّها بإجماع الكل عليها فتظل مستقيمة"[4] فالآراء العامة التي تعارف النّاس عليها تكون بمثابة شواهد قويةتستدل بها لأنّها أصبحت بحكم استعمالها الكثير، مما يقبل التصديق والقبول بها دون أن ترتكز كثيرا على أسانيد صحيحة.

فنجدها مثلا في كتب النقد تذكر على لسان غير محدد كقولهم :" روي عن أحد السلف قال أعرابي...الخ، وخاصة آراء ذوي الخبرة والشيوخ؛لأن آراءهم نافعة ما دامت مستمدة من قاعدة معرفية، تجريبية وعلى هذا الأساس تبنى الأمثال والحكمة. "والواقع أن المثل يعتبر دعامة كبرى من دعائم الخطابة

[1] - د.محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص:90.

[2] - المرجع نفسه، ص:83.

[3] - ينظر ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص:177، ص:118.

[4] - أرسطو طاليس، الخطابة العربية القديمة، ت.عبد الرحمن بدوي، ص:145، ص:146.

لما يحققه من إقناع وتأثير وإن أخذناه بمعناه الواسع الذي يشمل التشبيه والاستعارة، ولن نفعل ذلك إلاّ في حدود ضيقة صار أهم دعائم هذه البلاغة"[1].لما يتصف به من شهرة وإجماع الناس على صحته.

5_3_6قضية المجاز:

بداية من القرن الرابع اتضحت الرؤية الاستدلالية لدى النقاد أكثر بكثير من ذي قبل واستطاعوا بما نهلوا من العلوم الأخرى أن يتحكموا بشكل كبير في آلياتها، وتمكنوا من توظيف هذه الآليات مع ما يتماشى ومقتضيات النقد،كقضية المجاز التي أثيرت بسبب القضية الشائكة التي عرفتها الساحة البيانية في ذلك الوقت وهي قضية خلق القرآن "ولقد كانت الخصوصية بين السلفيين والمعتزلة تدور حول قدم القرآن أو خلقه في الأساس، وتحت هذا الشعار،شعار خلق القرآن جاءت المحنة التي ابتلى بها أحمد بن حنبل وغيره من السلفيين، ولكن جدلا آخر كان يدور حول الإعجاز في الوقت نفسه"[2].

لذا تعتبر كلا المسألتين خلق القرآن، والإعجاز القرآني ذا أثر بالغين في تطوير الخطاب البرهاني الاستدلالي عامة،والاستدلال البياني العربي خاصة، فقد دفعت كلتاهما علماء اللغة والبيان اللجوء إلى المنهج الاستدلالي، والاستقرائي لعلهم يجدون من خلاله أقنع الأدلة وأقطعها ليستدل بها "محاولين إثبات إعجازه البياني بمقارنته بالشعر العربي وخصائص البيان العربي بصفة عامة، واستخدموا في ذلك الوسائل التي استخدمها نقاد الشعر"[3] .

وقد تميزت هذه الفترة بتنوع المصادر التي غرف منها العلماء خاصة وأن العلوم في تلك الفترة في مجملها قد وصلت إلى المستوى المطلوب، وترقت سواء في المناهج أو المضامين "فبمجرد توجه اهتمام علماء القرن الرابع إلى الإعجاز البلاغي وأخلصوا وجهتهم له توجهت أبصارهم إلى ذلك التراث للاستفادة منه، فاستفادوا من اللغويين والمفسرين والمتكلمين والأصوليين في مستوى تفسير الوجوه البلاغية، واستفادوا من البلاغيين في مستوى تفسير الفاعلية البلاغية في عملية يطبعهاالتجاذب و التنابذ (أو التدافع)" [4].

---

[1] - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص:85.

[2] -حسان تمام، الأصول، ص:321.

[3] -د.محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغي حتى القرن الرابع، ص:18 نقلا عن احمد زغلول سلام: أثر القرآن في تطوير النقد العربي، ص:601.

[4] - محمد العمري، البلاغة العربي أصولها وامتداداتها، ص:167.

وعليه فسنحاول أن نقرأ الآليات الاستدلالية في بعض كتب النقد ونتعرف على مدى فاعليتها في إثبات الإعجاز القرآني.

6_قيمة الاستدلال في الإعجاز القرآني:

6_1 _تجلي مصطلح الاستدلال في كتب الإعجاز:

أصبح مصطلح الاستدلال رائجا بين مختلف دراسات الإعجازيين وأدركوا حقيقة مفهوم هذا المصطلح في دراساتهم وأصبح شائعا متداولا في أبحاثهم فقد تطور مفهوم هذا المصطلح وانتقل "من القياس البياني، الاستدلال بالشاهد على الغائب إلى القياس الجامع، قياس أرسطو"[1].

وبالتالي فإنّ المنطق الذي عرفه العرب عن طريق الترجمات وما اعتراه من تحولات داخل المنظومة النقدية العربية أدى إلى تغيير المفاهيم، وتحول الرؤى.

وقد كان البحث في مسألة "الإعجاز القرآني" نفسه له الدور الكبير والدافع الرئيسي لهذا التحول.

وهذا ما نلمسه عند الباقلاني حيث يقول: "فأما نهج القرآن ونظمه، وتأليفه ورصفه، فإن العقول تتيه في جهته، وتحار في بحره، وتصل دون وصفه، ونحن بذكر لك في تفصيل هذا ما تستدل به على الغرض، وتستولي على الأمد، وتصل به إلى المقصد وتتصور إعجازه كما تتصوّر الشمس، وتيقن تناهي بلاغته كما تتيقن الفجر، وأقرّب عليه الغامض وأسهل لك العسر"[2]فهو يقرّ في هذا النص أن منهجه استدلالي الذي يمكنه من تحقيق غرضه وهو إثبات إعجاز القرآن، وهو ما يؤكد في قوله حقيقة ثانية من مفهوم الاستدلال على أن هذا المنهج يمكن أن يتبعه كل واحد في أي زمان ومكان عندما صرح أنّه سيعطي مقاليد هذا المنهج للمخاطب حتى يتمكن من إثبات هذه الحقيقة من خلال ذلك، وهذا هو المفهوم المنطقي للاستدلال البرهاني الذي يؤول إلى الاستدلال الحجاجي حيث يمكن لأيّ ما أن ينطلق من نفس المقدمات ليصل بها إلى نفس النتائج مهما تطاول عليه الزمان، وتباعدت المسافات لان وراء هذا المنطق العقل الذي لا يختلف على أحكامه اثنان.

[1] - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص:443.

[2] - الباقلاني، "إعجاز القرآن"،دار مكتبة الهلال، ط1، 1993م، ص:145.

وفي رسالة "الخطابي" البيان في إعجاز القرآني نجده يذكر مفهوم الاستدلال بألفاظ أخرى كالنظر والشاهد والقياس وكلها ترجع إلى معنى الاستدلال ولا تخرج عن دائرته مثل قوله:" فلمّ النظر وشاهد العبر على أن السبب،له والعلة فيه..." [1] فقول الخطابي شمل على لفظ النظر والشاهد، السبب أن هذه المصطلحات كلها تدور في فلك الاستدلال، وإن كان في أغلب الظن "النظر" هو الاستدلال نفسه،إذ لا فرق جوهري بينهما خاصة عند علماء الأصول،

وإن كان الخطابي لا يصرح تماما بالمنهج الاستدلالي الذي يسعى إلى تحقيقه في مدونته "رسالة في بيان إعجاز القرآني" إلاّ أننا يمكننا أن نستنتج من خلال تتبع خطوات دراسته أنه" ينطلق في رسالته لإظهار الإعجاز وقوته، من زاويتين زاوية اللفظ والمعنى والتكامل القائم بينهما بطريقة منهجية مدروسة، يسوق الموضوع فيعرضه عرضا أوليا ثم يحلله تحليلا أساسيا يراعي فيه كل الجوانب اللغوية، والمعنوية، والنحوية والبيانية والبلاغية، ثم يعطي في النهاية الاستنتاج الذي من أجله بذل الجهد"[2].

وهذه العملية التي يقوم بها الخطابي ما هي إلاّ الطريقة السليمة التي بها يبين الدليل كما سبق أن بيناه في الفصل الأول "بنائية الدليل" "ومن خلال هذه الطريقة المنهجية نستنتج أن الخطابي "وضع النقطة المدروسة في ذهنه أولا ثم راح يبرهن ويستدل عليها"[3].

بينما نجد "الرماني" بدأ رسالته بسؤال عن معنى "الإعجاز القرآني" وهذا السؤال يحل محل الدعوى التي يقيمها الكاتب نفسه في هذا النص ليجيب عليها،وهو منذ البداية يبين المنهج الذي يسير عليه، وهو الحجاج،إذ يقول : "قال الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن عيسى الرماني سألت وفقك الله عن ذكر النكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج"[4] فهو بهذا يقرأنّه لا يسعه أن يجيب عن هذا الإشكال المطروح إلاّ باللجوء إلى الحجاج، ويعني به الاستدلال ؛لأن الحجاج يتضمن الاستدلال لا محالة وقد كانت هذه الألفاظ تدل كلها على الاستدلال فهي تدور في حقل دلالي واحد، وإن كان الحجاج يدل على معنى الإقناع بالإضافة إلى الاستدلال، وهذا ما كان يصبوا إليه كل دارس للإعجاز.

---

[1] - الخطابي، رسالة في بيان إعجاز القرآن. ضمن ثلاثة رسائل في الإعجاز،تح:محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام،دار المعارف،مص:ر، ط3 ،1976م، ص:26.

[2] - د.الطاهر حليس، اتجاهات النقد العربي وقضاياه في القرن الرابع هجري ومدى تأثرها بالقرآن، ص :209.

[3] - .الطاهر حليس، اتجاهات النقد العربي وقضاياه في القرن الرابع هجري ومدى تأثرها بالقرآن،ص:209.

[4] - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاثة رسائل في الإعجاز، ص:75.

6_2_نماذج من الاستدلال عند علماء "الإعجاز"

كل الدراسات التي اشتغلت بقضية الإعجاز القرآني جعلت من المنهج الاستدلالي المنهج الأفضل والأصلح بداية من القرن الرابع هجري لأنه هو الذي يقود إلى الحقيقة العلمية، الموضوعية التي لا يمكن أن تدركها الشبهات أو الأباطيل لذا جاءت كتب "الإعجاز القرآني" حافلة بالنماذج الاستدلالية متنوعة الصور والأساليب.

وعليه سنحاول أن نقف عند بعض الاستدلالات نبين من خلالها التطور الفعلي للاستدلال في المنظومة البيانية باعتبار أن الدراسات الاعجازية في مجملها صبت اهتمامها على المسائل البلاغية أكثر من غيرها في إثبات إعجاز القرآن وهذا ما جزم به علماء الإعجاز، وهذا مثال على سبيل الذكر لا على سبيل الحصر والاستدلالات الواردة في هذه الدراسات لا تعد ولا تحصى لاسيما في كتاب"إعجاز القرآني" للباقلاني حيث كان السؤال المطروح هو ما الذي يجعل النص القرآني معجزا ولا يقدر أن يأتي بمثله بشر "ومن الأكيد أن السؤال التاريخي الفعلي سّير مجرى البحث الإعجازي هو تتويج و تأطير لجهود تطبيقية في هذا المجال، نجد أصداءها عند الباقلاني نفسه حيث عرض منهجيتين في الاتجاه اللغوي البلاغي للإعجاز أحدهما يرد الإعجاز إلى أوجه البلاغة المدعوة بديعا والآخر ينتفي منها عشر صور...الخ"[1] والوجه الأول الذي يهتم بالبلاغة هو ما يهمنا في هذا البحث لانّ له علاقة وطيدة بالنقد العربي القديم وهو القائد للعملية الاستدلالية في الدراسات النقدية.

ففي الغالب الاستدلال الذي يتوخى من خلاله علماء الإعجاز الوصول إلى إثبات حقيقة ما هو إلا استدلال على المعايير البلاغية التي تعتبر من أهم وسائل النقد .

النموذج الأول:

نجد أن الرماني يستعرض من أمر المعاندين من الكفار على الطعن في صحة القرآن إذ يقول:" ثم صار المعاندون له ممن كفر به وأمكره يقولون مرة سعر لما رأوه كلاما منظوما، ومر ّة سحر إذ رأوه معجوزا عنه، غير مقدور عليه"[2]. وبعد هذا العرض يبدأ مباشرة بذكر الأدلة التي تبطل رأيهم، وتثبت إعجاز القرآن وهي كالتالي:

[1] - محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، ص: 161.

[2] - الرماني،النكت في إعجاز القرآن،ضمن ثلاثة رسائل في الإعجاز،ص: 28.

1-كانوا يجيدون له الأثر في نفوسهم ولا طاقة لهم بمجاهدة هذا التأثير إذ يقول: "وقد كانوا يجدون به وقعا في القلوب وقرعا في النفوس"[1]. ويدعم هذا الدليل بشاهد من كلام المعاندين أنفسهم، فهم يعترفون بهذه الحقيقة، وهذا الاستدلال التوثيقي الذي يعتمده من التاريخ الإسلامي، وهو يمثل صورة الاستدلال الاستقرائي وهذا الدليل يتضمن دليل آخر أن القرآن بليغ إلى درجة انه بهر العرب الذين تفننوا في الكلام وتصريفه.

2-يزعمون بأنه كلام القصص والأساطير مع علمهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمي ّ ، وهذا النوع من الاستدلال المنطقي، إنكاري حيث ينكر الكاتب هذا القول بان يقيم الحجة عليهم، ويثبت الأمر بنقيضه وفيه النتيجة مضمرة لأنها من لزوم الاستدلال، فلا داعي إلى ذكرها، وهي أن الرسول صلى الله عليه وسلم من المستحيل أن يكون راوية للقصص والأساطير ؛لأنه ليس له علم بها أصلا.

3-ذهبوا بأن ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم ما هو إلاّ قول بشر وهذا دليل يتضمن النتيجة، وهو أن تجاهلهم وبلوغهم أقصى درجات العناد ويدعم دليله بشاهد من القرآن الكريم الذي يصف فيه شدة عناد الكافر[2] يدل على عدم تفسيرهم الظاهر تفسيرا منطقيا لأنه لو كان قول بشر فلما لم يستطيعوا قول مثله.

هذه هي الأدلة التي استدل بها الرماني يثبت بها صحة دعواه و يفند بها دعوى المعاندين ليخرج في نهاية كل هذه الأدلة بنتيجة واحدة حتمية هو أنه معجز، فيقول :" وكيفما ما كانت الحال ودارت القصة فقد حصل اعترافهم قولا، وانقطاعهم عن معارضة فعلا أنه معجزة، وفي ذلك قيام الحجة وثبوت المعجزة والحمد لله"[3].

النموذج الثاني:

نقف على ما يستدل به الخطابي في رسالته على الفواصل في القرآن وحكمتها ضمن باب الفواصل بهذه الأدلة.

1-ذكر حد الفواصل لتقريب مفهومها لدى المخاطب حتى يكون على بينة من أمره والفرض من هذه الفواصل فهو يقول بشأن ذلك "الفواصل حروف متشابهة في المقاطع توجب حسن الإفهام المعاني،

[1] - المصدر نفسه، ص:28.

[2] - ينظر،الرماني، النكت في إعجاز القرآن،ضمن ثلاثة رسائل في الإعجاز،ص: 28 .

[3] - المصدر نفسه، ص:29

والفواصل بلاغة، والأسجاع عجيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع تابعة لها، وهو قلب ما توجه الحكمة، إنّما الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة، فإذا المشاكلة إليه فهو بلاغة"[1].

2-"وإذا كانت لمشاكلة على أخلاق ذلك فهو عيب، ولكنه تكلف من غير الوجه الذي توجيه الحكمة ومثله من وضع تاجا ثم ألبسه زنجيا ساقطا، أو نظم قلادة در ثم ألبسها كلبا"[2].

بين من خلال هذا الدليل أن حصل خلاف المشاكلة مع قصده إلى الحكمة أي البيان الذي قصد فيه تكلفا لم تحصل عنده بلاغة، والدليل بإثبات النقيض ويدعم دليله بتشبيه يزيد قوة للدليل ويقرب المعنى أكثر، فكما فهمت مقاصد المخاطب كان الإقناع أقرب، وللتأثير أمثل وأطوع، كما أنه يعزز دليله بشاهد يحل محل الدليل، فهو بمثابة دليل آخر، وهو شاهد من أقوال الكهان "والأرض والسماء والغراب الواقفة بنقعاء لقد نفر المجد إلى العثراء"[3].

ويستدل أخيرا بدليل جاهز مما حكي عن "مسيلمة الكذاب" يا ضفدع نقي لم تنقين لا الماء تكدرين ولا النهر تفارقني" [4].

وكل هذه الأدلة التي يسوقها الخطابي من الاستدلالات الإثبات بالنقيض،إذ به تتضح الأمور وهي استدلالات تعزيزيه، والشاهدين الأخيرين هما بمثابة الاستقراء الناقص، حيث تبنى النتيجة العامة من تتابع الجزئيات.

النموذج الثالث:

يستدل الباقلاني في كتاب "إعجاز القرآن" على بطلان دعوى أقامها الطاعنون من أهل عصره إذ نسبها إلى مجهول دلالة على أن هذه الدعوى أصبح لها صدى واسع إذ يقول: "فإن زعم زاعم أنه قد وجد في القرآن شعرا كثيرا"[5] وبعد أن يعرض الباقلاني" الدعوى يبين رأيه في القصة ويتوسل لإثبات هذا الرأي، بأنّ ذلك يحصل في بيت أو أبيات، ويستشهد لذلك بأشعار العرب فيقارن ويستنتج بكل نوع من الدعوى، فهو يطرح الدليل بتفصيل الإدعاء أكثر وشرحه ثم يتم التفنيد بقوله:

[1] - الخطابي، رسالة في بيان إعجاز القرآن.،ضمن ثلاثة رسائل في الإعجاز،ص:97.

[2] - المصدر نفسه، ص: 97.

[3] - الخطابي، رسالة في بيان إعجاز القرآن.،ضمن ثلاثة رسائل في الإعجاز،ص:97.

[4] - المصدر نفسه، ص:98.

[5] - الباقلاني، إعجاز القرآني،ص:79.

1-"أن الفصحاء منهم حين أورد عليهم القرآن، لو كانوا يعتقدونه شعرا ولم يروه خارجا عن أساليب كلامهم: لبادروا إلى معارضته لأنّ الشعر مسخر لهم مسهل عليهم"[1].

2-"علم أن الذي أجاب به العلماء عن هذا السؤال سديد، وهو أنهم قالوا: إن البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعرا وأقل الشعر بيتان فصاعدا وإلى ذلك ذهب أكثر أهل صناعة العربية من أهل الإسلام"[2]. وهو بهذا الدليل حدد عدد الأبيات التي بها يمكن أن يسمى الكلام شعرا.

3-وقالوا أيضا:"إنّ ما كان على وزن بيتين إلا أنه يختلف وزنهما أو قافيتهما فليس بشعر"[3]فهو كذلك بهذا الدليل يبين أن الشعر لا بد أن يكون هناك اتفاق بين أوزان الأبيات وقوافيها فإذا اختلف بيتين على الأقل لم يسم شعرا.

4-"إن الرجز ليس بشعر أصلا لا سيما إذا كان مستورا أو منهوكا"[4].

5-"إن الشعر إنما يطلق من قصد القاصد إليه"[5].فليس كل كلام اتفق فيه وزن أو قافية يسمى شعرا بل الشعر لا بد أن تسبقه نية قول الشعر؛لأن في الكلام كثيرا ما يحصل اتفاق في الأوزان والقوافي،وإذا كان كذلك لسمي جل كلامنا شعرا، ويضرب أمثاله من الكلام العامي والمتداول بين الناس حتى يثبت صحة دعواه ويقوي به دليله.

6-ويأتي في الأخير بدليل منطقي في قوله "لأن ما ليس بشعر فلا يجوز أن يكون شعرا من أحد وما كان شعرا من أحد من الناس كان شعرا من كل أحد."[6]

وهذا الدليل الأخير إنما هو في الحقيقة نتيجة استنبطها من جميع الأدلة السابقة فصاغها في دليل منطقي ليقطع بها دابر كل معاند.

---

[1] - المصدر نفسه، ص:80.

[2] - المصدر نفسه، ص:80.

[3] - الباقلاني، إعجاز القرآني، ص:80.

[4] - المصدر نفسه، ص:81.

[5] - المصدر نفسه، ص:82 .

[6] - المصدر نفسه، ص:55.

وهذه النماذج ما هي إلا أدلة تدّل على ترسخ المنهج الاستدلالي البرهاني عند علماء الإعجاز وهذا يتوافق وغرضهم من التأليف في الإعجاز في إيجاد أفضل وأقطع الأدلة التي يصلون بها إلى حقائق الإعجاز.

أصول المنهج الاستدلالي وعلم الكلام:

ولعل أهم قضية استحكمت فيها أدوات الاستدلال عند علماء الإعجاز هي قضية اللفظ والمعنى بما أثارته من جدل واسع بين مختلف الأوساط العلمية والبيانية في تلك الفترة، وما كان لها الأثر الكبير في إثبات الإعجاز القرآني والوصول إلى حقيقة التأويل، " وكان من نتائج النظر إلى مسألة الإعجاز من الزاويتين معا أن تحول البحث البياني في إشكالية اللفظ والمعنى من مستوى العلاقة العمودية بينهما (الإعراب، الدلالة وقصد المتكلم) إلى مستوى العلاقة الأفقية بين تركيب الكلام وصياغة المعاني بين نظام الخطاب ونظام العقل مما كانت نتيجة الكشف بوضوح عن الطابع الاستدلالي للأساليب البيانية العربية"[1]. فقضية اللفظ والمعنى كان لها الفضل الكبير في تطوير أساليب البحث التي قادت إلى الكشف عن الخصائص الاستدلالية التي تتميز بها الأساليب البيانية البلاغية العربية من استعارة وكناية.

وإن لهذا الانتقال خلفية كلامية علمت على تأسيس وترسيخ مبادئ الاستدلال للظواهر البلاغية، وهذا ما يتجلى عند" الانتقال من التنزيه عن التناقض والنقص إلى البحث في مزية النص القرآني البنائية التي تجعله فارقا للعادة البشرية أي معجزة دالة عن النبوة، بالإضافة إلى ذلك فقد لعب الاختلاف حول طبيعة كلام الله نفسه دورا في توجيه البحث البلاغي خاصة حين اشتد الوعي بهذا السؤال في القرن الخامس[2]، حيث أن المسائل البلاغية أخذت الحيز الأكبر من القضايا التي اشتغل بها علماء الكلام خاصة قضية المجاز" وعموما فإن علم الكلام قد أدى مثل النحو إلى البحث في الخصوصية البلاغية للنص القرآني، فساهم بطريقة غير مباشرة في تطوير السؤال البلاغي، إذ هو على العموم كما نعلم بحث في ذات الله وصفاته واحتجاج للعقيدة بالنظر العقلي"[3]، ومن خلال هذا النص يمكن استخلاص أن الأسس التي اعتمدها أهل الكلام في إثبات مسائل الاعتقاد هي (النص القرآني، الاستدلال، العقل)

---

[1] - محمد عابد الجابري،بنية العقل العربي،ص:75.

[2] - د: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها،ص: 95.

[3] - د: محمد النويري، علم الكلام والنظرية البلاغية،دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، سفاقس تونس،ط1،2001م،ص:209.

وهذه الأسس المعتمد، انبثق عنها سؤال مهم هو ما الذي جعل الكلام بليغا؟ وكلاما آخر أبلغ من كلام آخر؟ وللجواب على هذا السؤال كان لا بد من الرجوع إلى فنون البلاغة ومحاولة تطبيقها على النص القرآني وعلى أساسها تثبت مسائل الاعتقاد عند المتكلمين لذا نجد أن كل بحث في الإعجاز حاول أن يفسر الظاهرة الاعجازية للقرآن حسب معتقداته الكلامية، مثلا عند حديثهم عن دور البلاغة "فرأى الرماني الجانب الايصالي منها وركز عليه؛ لأن الكلام عند المعتزلة هو ذلك اللفظ والصوت اللذان ينقلان المعنى من النفس إلى أذن السامع ورأى الباقلاني جانب الكشف منها وركز عليه لأن الكلام عند الأشاعرة هو ذلك المعنى القائم في النفس، وركز الخطابي من جانبه على مسألة الإحاطة باللغة العربية وأسرارها منطلقا من الإيمان بأن الله وحده هو القادر عن الإحاطة"[1].

ولعل أهم المسائل البلاغية كالمجاز والتشبيه والاستعارة و التي كان الخلاف يدور حولها في نفس الوقت فإن التحكم في المسائل البلاغية هو الذي أعطى لهم دفعا قويا في النهوض بالفكر الإسلامي العقائدي وتأسيس نظرية بلاغية قائمة على أسس استدلالية: "فقد كان في كل مدرسة و في مختلف مراحله تقلبا للحجة انتصارا للمبادئ التي تقوم عليها العقيدة وتخليصا للأصول التي تمثل أسس كيانها"[2].

فالحجج والأدلة التي كان يستند عليها أهل الكلام في الاستدلال لقضايا الكلام، وضعوا لها ضوابط تحكمها تتماشى وطبيعة المعتقد الإسلامي، وكان نتيجة "استنباط وسائل الاستدلال على الرأي، وصبغ البرهنة على بطلان النقيض من العوامل التي جعلت الفكر يتحرك في فضل التجريد والتنظير والاستحداث، ارتقاء بالحوادث العارضة والإشكالات الحادثة في سياقاتها التاريخية، إلى أبعاد نظرية تصبح معها الوقائع والأحداث مسائل في الكلام تصاغ على أساس منها بعض أصول الاعتقاد مسائل تنفذ إلى مجال الإدراك والفهم والاستدلال والاحتجاج حتى تلتئم المقالة التئام بيان ودفاع ونقض"[3].

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن النظرية البلاغية وقواعد الاستدلال ما كان لها أن ترتقي بآلياتها في التراث النقدي العربي وتطور وسائلها وكذا تثمر فاعليتها العقلية الموضوعية إلا في أحضان علم الكلام.

[1] - علي مهدي زيتون، "الإعجاز القرآني وأثره في تطوير النقد الأدبي"،دار المشرق، ط1، 1992م، ص:285. ص:286.

[2] - د محمد النويري،علم الكلام والنظرية البلاغية،ص:96.

[3] - المرجع نفسه، ص:96.

قضية النظم وجذورها الكلامية

رأينا فيما سبق أن قضية اللفظ والمعنى كان لها امتداد بحثي واسع،وكل من درس فيها وبحث فيها حسب اختصاصه ومعتقداته وأهدافه"فطوال الفترة التي عرفت أزهى عصور الثقافة العربية في القرن الثالث إلى الخامس الهجري كانت إشكالية اللفظ والمعنى على رأس القضايا البيانية التي استأثرت باهتمام المتكلمين والبلاغيين فضلا عن النحاة والبلاغيين وعلماء أصول الفقه، وإذا كان تفكير النحاة واللغويين في هذه الإشكالية قد تركز حول الإعراب في ارتباطه بمنطق اللغة العربية، وإذا كان اهتمام الأصوليين من الفقهاء، فالمتكلمون قد تركز داخل الإشكالية نفسها على مسألة الدلالة من جهة ومسألة التأويل من جهة ثانية"[1].

والأمر الذي يمكن أن يجمع بين هذه الإشكاليات ويعمل على حلها في نفس الوقت تمثلت في قضية "النظم" التي ارتسمت حدودها واكتملت صورتها مع عبد القاهر الجرجاني، غير أنها تمثل زبدة ما وصل إليه البحث النقدي البلاغي بداية مع القرن الخامس لاسيما مع علماء الإعجاز.

بحيث نجد أن هذا المصطلح قد تردد عند الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآني"وإن كان يتخذ في بعض الأحيان معان أخرى غير المعنى الاصطلاحي لقضيةالنظم "أمّا القاضي عبد الجبار فقد خلّص المصطلح من الملابسات المعنوية التي حفت به في استعمال الجبائي وبعضاستعمالات الباقلاني وكرّسه للدلالة على طريق التركيب اللغوي وكيفية ضم أفراد الكلمات، وقد اعتبره من أهم مقومات الفصاحة لتأثيره في صفة الكلام واللفظ معا"[2]. إذ يعتبر عبد الجبار من أول الذين تعرضوا لهذا المصطلح "والحق أن تحليلات القاضي عبد الجبار في هذا المجال تخطوا بنا خطوة هائلة وحاسمة نحو نظرية النظم الجرجانية وذلك إلى درجة يصعب معها نسبة شيء آخر للجرجاني غير الشرح"[3].

ولو رجعنا إلى كتب النقد في قضية اللفظ والمعنى نجدّ جلّ النقاد " لميفصلوا بين الشكل والمضمون بل رأوا إليهما أنهما يشكلان نوعا من الوحدة العضوية التي لا يجوز تجزئتها وتفتيتها"[4]، ورغم أنهم اتفقوا منذ بداية النقد على هذه الحقيقة إلا أنه لم يتمكن أحد منهم أن يصوغ هذا الرأي ضمن

[1] - د.محمد النويري،علم الكلام والنظرية البلاغية، ص:97.

[2] - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، ص:493 .

[3] - المرجع نفسه،ص:494.

[4] - سمير أبو حمدان،الإبلاغية في البلاغة العربية،منشورات عويدات الدولية،بيروت،باريس،ط1، 1991م،ص:85.

نظرية كاملة تستوعب كل المفارقات التي يمكنها أن تفصل بين ثنائية "اللفظ والمعنى" وما لم يتوفر لهؤلاء توفر لعبد القاهر الجرجاني الذي استطاع أن يبني طريقة في تحليل الكلام على رسم عقلي مسبق وموقف نظري قائم على أسس معرفية واضحة"[1] ما توفر لعبد القاهر الجرجاني على غرار السابقين هو تحكمه في القواعد الاستدلالية بشكل لم يسبقه إليه أحد "وهكذا يبدوا واضحا أن نظرية "النظم" كما شهدها عبد القاهر الجرجاني ....إنما هي امتداد وتتويج لمناقشات البلاغيين والمتكلمين لمسألة شغلت الفكر البياني عبر العصور مسألة العلاقة بين اللفظ والمعنى"[2].

فنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ما هي إلاّ امتداد لخطوات السابقين في مسألة اللفظ والمعنى، وقد اكتملت هذه الخطوات مع الجرجاني في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز.

[1] - حمادي صمود،التفكير البلاغي عند العرب،ص:489.

[2] - محمد عابد الجابري،بنية العقل العربي، ص:81.

الفصل الثالث

عبد القاهر الجرجاني و مشروع الاستدلال

سنحاول في هذا الفصل أن نبين أنواع الاستدلال وصوره التي تبلورت جليا ببعديها المنطقي والإجرائي في المنظومة النقدية العربية من خلال الوقوف على نماذج تطبيقية في كتابي "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" للناقد البلاغي عبد القاهر الجرجاني،حيث استكمل الاستدلال نضجه،محاولين أن نبين ما توصل إليه في الفصل الأول والثاني عن الاستدلال سواء من حيث التوظيف أو من حيث البناء أو حتى من حيث الهدف والغاية التي يسعى إلى تحقيقها النقاد العرب.

الاستدلال والمرجعية الكلامية عند عبد القاهر الجرجاني:

سبق وأن عرفنا أن نظرية النظم التي وضع أساسها وحدودها عبد القاهر الجرجاني كان لها أصول ومرجعيات كلامية "راح المفكرون وعلى رأسهم عبد القاهر يفكرون في هذا الاتجاه طويلا وأخذوا يبحثون عن تنظيم الكلمات أو الصورة التي جعلت المعاني الإلهية في متناول العقول،هذا التنظيم الذّي يعطي الدليل على وجود الله تعالى أو إعجاز القرآن"[1]، وهذا قاد الجرجاني إلى الكلام عن مسألة "النظم" التي أفرزها هذا الصراع العقائدي "ولكن صاحب دلائل الإعجاز لم يكن بمقدوره لينتبه إلى بعض ما خفي عن معاصريه من أسرار بلاغة الخطاب ويحدس عالم يتراءى لهم لولا ما كان يعتمل في نفسه من تطلع شبه صوفي إلى فرض القول الفصل في مسألة الإعجاز ليس ردا على شبهات الملاحدة و أصحاب الملل الخارجة عن الإسلام أو بعض المتكلمين فحسب، وإنما سعيا بالأساس إلى تقويض مقولات أصحاب اللفظ وفضح شناعاتهم ومداواة من جرى على تقاليدهم من داخل المنظومة الإيمانية"[2]؛ لذا كان شغله الشاغل أن يثبت أن الإعجاز القرآني يتمحور حول مسألة النظم، فراح يرصد الأدلة ليثبت بها صحة رأيه.

لكن الأدلة التي كان يريد عبد القاهر أن يدحض بها مزاعم المشككين في إعجاز القرآني أو الذين رأواأنّ الإعجاز يتمثل في أن الله صرف النّاس والعرب بالتحديد عن أن يأتوا بمثله وهذا ما عرف عندها بمسألة الصرفة التي ذهب إليها عبد الجبار [3] أو أنه تمثل في ما تضمنه القرآن من أخبار

---

[1] - د.مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، بيروت، لبنان،(د.ط)،(د.تا)، ص:28.

[2] - حافظ قويعة، سياق الحجاج في دلائل الإعجاز ضمن عبد القاهر الجرجاني، أعمال ندوة جامعة سفاقس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجمهورية التونسية،(د.ط)، 1998م، ص:253

[3] - ينظر، الأشعري،مقالات الإسلاميين،واختلاف المصليين،تح:هوملوت رويتر، دار الشر فراز شتايز بغسبادن،ط3 ،1980م،ص: 225.

الغيب وقصص الأمم الغابرة[1]،"ما كان لهذه الأدلة أن تخرج اعتقاده الديني الأشعري فعبد القاهر في بحوثه البلاغية كان رجل دين قبل أن يكون باحثبلاغيا، وهو لم يكتب في البلاغة لذاتها، وإنّما كتب ما كتب خدمة لعقيدة دينه ورغبته في أن يفهم الناس الإعجاز القرآني"[2]فالدافع الديني العقيدي هو الذي كان يحرك عبد القاهر لإقامة الدليل، والدليل القوي القاطع الذي لا يكون من ورائه ناقض.

فهو مع كل دليل يستدل به يراعي مبادئ الأشاعرة بل إنّ نظرية النظم أراد بها " تقليص الهوة التي كانت تبدو في مقالة الحسن الأشعري مشعة،عند تفريقه بين "الكلام النفسي" "والكلام اللفظي" وجعلهما وكأنهما منفصلين بعضهما عن بعض، وهو الأمر الذي لم يتقبله المعتزلة في مقالتهم"[3]، فكانت بذلك نظرية النظم دليل قاطع مكنه أن يرد على مزاعم المعتزلة، الذين وجدوا في مقالة الأشعري ثغرة و لجوا من خلالها إلى دحض كلام الأشعري باعتبار أن الكلام النفسي والكلام اللفظي منفصلين لا رابط لهما[4]، و" يرجع المبدأ الكلامي التوفيقي، الذي اعتنقه الجرجاني إلى أيام الجدل الكلامي الذي دار حول "مسألة خلق القرآن" بين الفرق الكلامية في الإسلام "[5].

فعبد القاهر وجد في قضيةللظم الدليل الذي سدّ من خلاله هذه الثغرة، حيث أن هذا ترتيب وتنظيم و نسق يكون محله النفس قبل أن يكون كلاما لفظيا، فإن كان له ذلك حق أن يحكم عليه بالبلاغة وهذا حسب درجة التنسيق والتنظيم والترتيب التي تمت لهذا الكلام في النفس[6]،" وفي هذا النظم وجد عبد القاهر الأمن والطمأنينة لعقيدته وعقله وحاول بكل ما يستطيع من بيان ومنطق أن يقنع من خالفوه بما رآه إذا رأى في الخروج عن الزيغ والضلال" [7].

فمشروع الجرجاني كان يهدف أساسا إلى الوصول إلى حقيقة لابد منها وهي "أن الكلام البليغ عند الجرجاني هو الكلام الذي يكون سبيل الاستدلال بمعنى اللفظ على معنى آخر وما الفرق بين

---

[1] - ينظر الباقلاني،الإعجاز القرآني،ص:147.

[2] - د.درويش الجندي،في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني،مكتبة نهضة مصر،بالفحالة،القاهرة،(د.ط)،1960،ص:08،ص:09.

[3] -مختار جبار المرجعية الكلامية لنظرية النظم عند الجرجاني ضمن مجلة ثقافات العدد 4 خريف 2002م ،كلية الآداب، جامعة البحرين، ص: 43.

[4] - ينظر الأشعري،مقالات الإسلاميين.واختلاف المصليين،ص:194.

[5] - مختار جبار المرجعية الكلام لنظرية النظم عند الجرجاني، ص:37.

[6] -ينظر عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز، مطبعة المدني المؤسسة السعودية، مصر، ط3، 1992، تح: أبو فهر محمود محمد شاكر، ص: 360 وص:56.

[7] - د. درويش الجندي في نظرية النظم عبد القاهر الجرجاني، ص:48.

الظواهر الذي ستسمى بعده معنوية " نسبة إلى علم المعنى أو بيانية" نسبة إلى علم البيان " إلا فرق في المستدل منه والمستدل به والمتنقل منه والمتنقل إليه أو الدليل والمدلول، وهذا ما اقتضى عند الجرجاني وحده الجهاز المفسر لمختلف الظواهر البلاغية"[1]، فالاستدلال أصبح لدى الجرجاني شرط من شروط البلاغة سواء كان هذا الاستدلال بأدوات معنوية أو بيانية، فلا فرق بينهما في الاستدلال فالاختلاف يكمن في الوسيلة لا غير، والاستدلال هو غاية كل منهما، الذي يراد منه حسن الكلام أي " أنه أبرز من خلال تحليله لمعنى " النظام " الطابع الاستدلالي للأساليب البيانية العربية من تشبيه ومجاز واستعارة وكناية وتمثيل وهذا الطابع الاستدلالي الذي يجعل الذهن ينتقل من خلال الأساليب البلاغية تلك من المعنى إلى معنى المعنى هو ما عناه مؤلفنا بينما فسر "النظم" على أنه تناسق دلالات الألفاظ وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل "[2].

فقضية "النظم" التي أسهب الجرجاني في الاستدلال لها ما هي إلى عملية استدلالية للأساليب البلاغية المتعارف عليها عند البلاغيين وهذا الذي يجعل منها عملية عقلية، حيث لا يمكن للبيان أن يكتمل إلا إذا كانتهناك علاقة بين الفكر واللفظ إذ يقول عبد القاهر " أنّا نعلم ضرورة أنه لا يتأتى لنا أن ننظم كلاما من غير روية وفكر"[3]. وهذه العملية القائمة بين الفكر واللفظ هي العملية الاستدلالية، ويمكن أن نستخلص هذا من خلال مفهوم النظم فهو" لفظ يعني الانتظام والنسق والترتيب وارتباط الأشياء متفرقة متميزة ومجموعة مترابطة، والعقل هو السبيل إلى إدراك كل أولئك"[4]، فالعقل هو أهم عنصر يعمل على تحقيق عملية النظم، فمهمته التنظيم والتنسيق، والعقل من أهم المقومات التي ترتكز عليه الاستدلال وهو من أهم الشروط التي لابد أن يلتزم بها المستدل عند أهل الكلام حيث " لا يعاقل المتكلم إلا إذا التزم طرق الاستدلال الذي يطالب غيره الالتزام بها" [5]، من خلال النصين الأخيرين يمكن أن ندرك أن هناك ارتباط وثيق بين النظم والاستدلال إذ كلاهما يعتمدان على العقل وعلى النص، فالعقل والنقل يمتثلان الحجة من حيث اعتبارهما مصدر للأدلة وأداة في الاستدلال ومرجعا

[1] - شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي ص: 78.

[2] - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص: 88.

[3] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 360.

[4] - د، مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، ص: 83.

[5] - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 156.

لـه"[1] حيـث لا يمكـن للاسـتدلال أن يصـل إلى درجـة الإقنـاع إن لم يحـتكم إلى العقـل، "بـل نـرى أن الأشاعرة أنفسهم يضعون شروطا صارمة لطرح النصوص تحت نظرة العقل"[2]، ففي رأيهم ليس كل نص قابل للمناقشة والجدل.

فهم بذلك أعطوا عناية فائقة للنص وما يحمله من إيحاءات أي المعاني المتعددة التي قد يحتملها النص الواحد "وبناء على ذلك فإن قصد الجرجاني من الانتقال من (المعنى) إلى (معنى المعنى) في العملية المجازية هو الاستدلال العقلي، وربما يأتي ذلك من معتقد الجرجاني الأشعري الذي يرتكز على الجانب العقلي في الاستدلال من دون إهمال الجانب النقلي"[3].فمسألة "معنى المعنى" التي تحدث عنها الجرجاني وحاول تفسير جوانبها في كتابيه ما هي إلا صدى واضح لما يريد أن يبرهن عليه من معتقد عقائدي أشعري ويجعل العقل في خدمة النقل[4].

ولا يقتصر بيان الجوانب الكلامية في النظرية النقدية البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني في هذه الحدود العقلية بل قد نلمس ذلك في جميع ما يريد إثباته بين مختلف المسائل البلاغية التي عالجها بين دفتي كتابيه، يبدو ذلك جليا في " ما شغل عبد القاهر من معنى ذو طابع ديني، ففي الجو الديني وجد له يكون الاتهام والشك معقولا إلى حد ما، وإذا أردنا أن نمضي في تصور المعنى إلى أبعد من ذلك كان لابد لنا أن نتوسع في مقصدنا من الإشارة إلى هذا الجو الديني، وهنا نستطيع أن نلاحظ حديث عبد القاهر عن استمرار الزمن " الفعل المضارع " والثبات المتميز من الزمن " الجملة الاسمية" والإمكان الواسع الذي يتحقق في ضروب عديدة ثرية " التنكير " والتحقيق الكامل "التعريف" والبحث عن العلة الواحدة "القصر وتمام المناسبة وتمام المغايرة" العطف وترك العطف"[5]، فكل هذه المباحث في المعاني كان لها خلفية كلامية.بالإضافة إلى ذلك يمكن أن تتمثل المرجعية الكلامية لعبد القاهر في "الربط بين المواضعة

[1] - د. محمد النويري، علم الكلام والنظرية البلاغية عند العرب، ص: 142.

[2] - العروي، مفهوم العقل،ص:77.

[3] - د. محمد سالم سعد الله، مملكة النص: التحليل السميائي للنقد البلاغين الجرجاني أنموذجا، ص: 46.

[4] - ينظر، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 445.

[5] - د. مصطفى ناصف نظرية المعنى في النقد العربي، ص: 34، ص: 35.

في الألفاظ، وبين قصد المتكلم أو المعنى النفسي في التركيب قد صاغا المفاهيم الأساسية التي تبلورت على أساسها مفاهيم المجاز وأقسامه عن المتأخرين"[1].

وكذلك أهم ما يبين بوضوح هذه المرجعية الكلامية قضية الحقيقة والمجاز إذ " تعد الحقيقة في نظر عبد القاهر هي الأصل، ويعد المجاز بذلك إلى عملية قياس منطقي ينتقل فيها الذهن من الواضح الجلي إلى الغامض الخفي"[2]. وهذا الانتقال بين الحقيقة والمجاز ما هو إلى استدلال عقلي يكون من خلاله " منفذ الخلاص من المأزق العقيدي الذي ترشح به ظواهر الآيات المتشابهة لا يمكن أن يتحقق إلا على أساس التأويل المجازي الذي يفترض أصلا حقيقيا في الكلمة يأتي المجاز لإحداث الخصوصية فيه"[3]، وهكذا يكون الاستدلال في المجاز العقلي أو اللغوي على حد السواء، هو مطلب عقيدي يفرض على المؤمن أن يتحراه حتى لا يقع في الخطأ أو الوقوع في الشبهة ونجد حتى "التعليل الذي طرحه عبد القاهر للتفرقة بين المجاز اللغوي والمجاز العقلي تعليل فلسفي يرتد إلى تصور المتكلمين للمعرفة، وتصورهم للدلالة اللغوية باعتبارها فرعا على الدلالة العقلية فمن أدلة العقل الوجودية دلالة الفعل على الفاعل القادر"[4].

ويمكن القول أن البحث عن المعنى والدلالات التي يتضمنها المعنى الواحد وارتباط هذا البحث بما يشغل عبد القاهر من قضايا كلامية اعتقادية جعله يستثمر خلال بحثه كل ما اعتاد المتكلمون خلال مناظرتهم توظيفه، ولعل أهم ذلك هو" الجهاز الحجاجي للمناظرة، وهو جهاز مفهومي متأصل في المجال التداولي الإسلامي العربي، فقد عمد الجرجاني إلى اقتباس عناصر مختلفة منه في تكوين تصور للاستعارة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر " الادعاء " أو "الدعوى" والإثبات والتقرير والسؤال والاعتراض والمعارضة والدليل والشاهد والاستدلال والقياس، كما جعل من مفهوم الادعاء أدلة إجرائية الأساسية في وصف آليات الاستعارة، ونقله إلى هذا المجال البلاغي بكل أوصافه المشهورة التي تعود إلى ثلاثة أصلية هي التقرير أو الخبر والتحقيق والتدليل كما رأينا "[5]، وكل هذه المسائل التي استثمرها عبد القاهر سنتتبعها من خلال دراستنا التطبيقية حول الكتابيين.

[1] - د.نصر حامد أبو زيد، إشكالات القراءة وآليات التأويل، ص: 138.

[2] - المرجع نفسه، ص: 141.

[3] - د.محمد النويري، علم الكلام والنظرية البلاغية عند العرب، ص: 252.

[4] - د.نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص: 144.

[5] - طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، ص: 309.

وما يهمنا في هذا المقام أن عبد القاهر لما استثمر في مشروعه النقدي البلاغي كل عناصر المناظر، لم يكن من مجرد الصدفة بل كان هدفه الأساسي هو الوصول إلى حقيقة الإعجاز وفكالنزاع بين مختلف الفرق الإسلامية،"كان يستوجب عليه أن يوظف هذا الجهاز بكل ما أوتي من معارف واستراتيجيات للتحكم في وسائل الإقناع، عسى ولعل أن يظفر بإقناع أطراف النزاع، ويحملهم على اعتناق رأيه في أن الإعجاز يكمن في "النظم"،[1]ولعل أهم هذه الاستراتيجيات التي توفرها المناظرة هي الطريقة المثلى في توظيف الاستدلال "ومن خلال ذلك يظهر إعجاز القرآن الكريم الذي لا يستطيع متكلم أن يصل إلى مستواه من النظم الذي هو غاية في أداء المعنى، وتمام الدلالة، مع حسن الصورة وبهاء العبارة وقوّة تأثيرها، وهذا ما يريده الجرجاني من عنوان كتابه "دلائل الإعجاز في علم المعاني"[2]

فمن خلال عنوان الكتاب يتضح لنا أن "كتاب دلائل الإعجاز في منطلقاته ومقاصده يعالج قضية كلامية في سياق سجالي عنيف وقد وظف فيه صاحبه كل ما يملك من حجج لدحض نظرية أصحاب اللفظ واستبدالها بنظرية النظم التي يعتبرها القول الفصل وحجة لإسكات القصوى على إعجاز النص القرآني"[3].

عبد القاهر عرض نظريته بصورة لم يسبقه إليها أحد من معاصريه،خاصة الذين مهدوا إلى هذه النظرية،يرجع الفضل في ذلك إلى الخلفية الكلامية التي وفرت له القدرة على توظيف أساليب الحجاج لاسيما الاستدلال، فمن أجل "توضيح فكرة النظم، كان مشغول البال بقياس الشاهد على الغائب تارة وقياس الغائب على الشاهد تارة أخرى، وفي كلا الحالتين فإن الباطن في انتظامه هو الذي يتحكم في انتظام الظاهر ويسوسه"[4].

وهذا يقودنا إلىالكلام النفسي والكلام اللفظي الذي سبق وأن أشرنا إلى أنّه من أهم الخلفيات الكلامية التي بني على أساسها عبد القاهر الجرجاني قاعدته النظرية البلاغية وهي "النظم" وإن كان"كثيرا ما ينزع إلى إخفاء دوافعه العقيدية بل يصل به الأمر أحيانا إلى أن لا يتمثل بالنصوص القرآنية المتشابهة

[1] - مختار حبار، المرجعية الكلامية لنظرية النظم عند الجرجاني،ص:48

[2] - أحمد شامية، خصائص: العربية والإعجاز القرآني (في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د.ط)، 1995م، ص:147.

[3] - حافظ قويعة، سياق الحجاج في دلائل الإعجاز، ص:257.

[4] - مختار جبار، المرجعية الكلامية لنظرية النظم عند الجرجاني، ص:48.

التي ترجح أنهّا المقصودة"[1] وربما كان يلجأ إلى مثل هذا الفعل "التخفي والتستر" حتى تكون أدلته عامية فهو يعطي لها الطابع التداولي المشهور،فلا يكون لها خلفية مذهبية أو عقائدية، بل تكتسي الصفة العقلانية التي يتفق على مصداقيتها جميع الناس على اختلاف معتقداتهم والتزاماتهم، فتتسع دائرة الاحتضان فتكون بذلك أكثر إقناعاوتأثيرا، ولو أنّه صرح بدوافعه الاعتقادية "الأشعرية" لضيق مجال الإقناع ولوجه العقول منذ البداية إلى ما يريد الوصول إليه، فأغلق أمامه أبواب العقول المحللة، المتدبرة التي تحلل الكلام لتستوعب أدلته لعلها تلقى فيه ما تطمئن إليه، فتمحو ما ترسخ لديها سابقا.

"والذي يقوم بعملية التنظيم والتنسيق والربط بين الباطن والظاهر في عملية "النظم" هو المتكلم، وهو بذلك يعطي للمتكلم دور مهم في العملية الاستدلالية وهذا الدور الذي يمنحه عبد القاهر للمتكلم فيما اتصل بالنظم يؤكد وعي عبد القاهر بخصوصية الأداء اللغوي وعلينا أن لا ننسى أن منطلقات عبد القاهر النظرية لا تختلف كثيرا عن منطلقات القاضي عبد الجبار، ولذلك فحرصه على دور المتكلم لا يقل على حرص القاضي خاصة وان مدخله في دراساته كلها هو البحث عن علة "الإعجاز القرآني" ومحاولته الدائبة في دراساته كلها هو البحث عن علّة "الإعجاز القرآني" ومحاولته الدائبة لربط الإعجاز بمفارقة المتكلم لكلام الله عز وجل مفارقة."[2].هذه الخصوصية هي التي تؤهل الكلام أن يكون متفاوتا فيما بينه حتى يصل إلى حد الإعجاز الذي يستند أساسا على حسن الاستدلال الذي يبنى عليه حسن الكلام."فالقوانين البلاغية عند الجرجاني تستند إلى الاعتبار الكلامي مجرّد استناد، إذ هي أصبحت في ذاتها قوانين كلامية تستدرك على المتكلمين ما فاتهم وتوفر لهم الوسائل النظرية التي تيسر منعة الاعتقاد، وتضمن انتظامه نسقا (...)ومن هذه الناحية يمكن القول إن بعض أبواب النظرية البلاغية ما كان لها أن تجد محلّها منها لولا الهاجس العقيدي الذي اقتضاها اقتضاء ودفع إليها دفعا، إماطة لأسباب الحيرة ودفعا للشبهات التي يمكن أن يرشح بها الخطاب من ذلك ما نحن بصدده من مجاز عقلي."[3].

ويمكن أن نخلص إلى أن القضايا الكلامية كان لها الحافز الكبير في تنمية القدرة الاستدلالية لعبد القاهر الجرجاني، والنظرية البلاغية التي أرسى دعائمها كان لها الأثر البالغ في توظيفها كدليل قاطع يستدل به على الإعجاز القرآني،وعلى المسائل البلاغية من بعده.

[1] - د.محمد النويري علم الكلام والنظرية البلاغية عند العرب، ص:284.

[2] - د.نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص:94.

[3] - د.محمد النويري، علم الكلام والنظرية البلاغية عند العرب، ص:316، ص:317.

المنهج الاستدلالي عند عبد القاهر الجرجاني:

استفتح عبد القاهر الجرجاني كتابه "دلائل الإعجاز" بالحديث عن العلم وعن البيان في كتابه "أسرار البلاغة" وهو يقر منذ البداية أنّه ينتهج المنهج الاستدلالي للوصول إلى حقيقة الإعجاز القرآني، وتبيان من خلال هذه الحقيقة الأسس والمفاهيم التي تبنى عليها البلاغة العربية.

لذا نجد مصطلح "الاستدلال" يتردد في كتابيه، وكذا مرادفاته وخاصة لفظة "النظر" ولا شك أن استخدام هذا المصطلح أو مرادفه نظريا وتطبيقيا يقودنا إلى رسم أبعاد المنهج النقدي البلاغي الذي أسس دعائمه عبد القاهر الجرجاني.

وقد نلمس ذلك كلما خطونا خطوة في كتاب "دلائل الإعجاز" إذ يقول عبد القاهر:" لا يزال البرهان منه لائحا معرضا لكل من أراد العلم به، وطلب الوصول إليه، والحجة فيه، وبه ظاهرة لمن أرادها، والعلم بها ممكن لمن إلتمسه؟"[1].وفي هذا النص وحده يبين عبد القاهر الجرجاني أنّ الوصول إلى حقيقة الإعجاز لا تتأتى إلاّبالعلم فلا يكون برهانّ ولا حجة إلاّ به، وإن كانت الحجة والبرهان في نظره ماثلين للعيان لكن لا يمكن الوصول إليهما إلاّ لمن أراد ذلك، والإرادة يلزمها النظر الواعي الذي يدعوا إليه عبد القاهر في كتابيه "فإن هاهنا استدلالا لطيفا تكثر بسببه الفائدة"[2] وكذلك قوله في أسرار البلاغة"قد كتبت هذا الفصل على وجهه، والمقصود منهنعه أن تطلق الاستعارة على "الصوغ" و "الحوك" وقد جعلا فعلا "للربيع، واستدلاله على ذلك بامتناع أن يقال "كأنه صائغ وكأنه حائك"،وكذلك قوله:"اعلم أن هذا الاستدلال كأحسن ما يكون إلاّ أن الفائدة تتم بان تبين جهته ومن أين كان كذلك؟"[3].

بينما لفظة النظر نسجل حضورها في نص عبد القاهر الجرجاني بشكل مكثف جدا وربما يرجع ذلك لتداول هذه اللفظة بدل لفظ الاستدلال عند الفقهاء أكثر من غيرها ؛ولأن علماء النقد عامة تأثروا بعلوم أصول الفقه، ولعل أول مظهر من مظاهر هذا التأثر هو اقتباس مصطلحاته، وهذا ما أشار إليه ابن رشد في قوله :"فالواجب أن نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي،وبين أن هذا النحو من

[1] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:10.

[2] - المصدر نفسه، ص:371.

[3] - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغية، ص:381.

النظم الذي دعا إليه الشرع وحث عليه، هو أتم أنواع النظر بأتم أنواع القياس وهو المسمى "برهانا"[1] منه يمكن أن نستنتج أن مصطلح النظر يصب معناه في مفهوم الاستدلال، فنجد عبد القاهر الجرجاني يقول مثلا : وانظروا في الذي اعترفتم بصحة وبالحاجة إليه"[2]. ويقول في موضع آخر" ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء"[3] ويقول كذلك في موضع آخر من نفس الكتاب:" وإذا نظرتم إلى قولنا"[4] ويقول كذلك " وإذا نظرت إلى "الفصاحة" هذا النظر"[5]. وهذه بعض الأمثلة دعا فيها عبد القاهر الجرجاني إلى ضرورة اتخاذ الاستدلال "النظر" وسيلة للوصول إلى الحقائق وغيرهذه الأمثال كثير لا يمكن أن يحصى.

وكذلك في "أسرار البلاغية" لا ينفك عن الإصرار على النظر فتجده يقول في ذلك مثلا: "لأن العلم المستفاد من هذا النظر والفكر في القو ّ ة والاستحكام، وبلوغ الثقة في غاية التمام، كما قالوا ليس الخبر كالمعاينة ولا الظن كاليقين"[6]. ففي هذا النص الأخير يجزم عبد القاهر أن العلم الذي يحقق عن طريق الاستدلال والبرهان أعلى مستوى وأشد رسوخا وأكمل يقينا من العلم الذي يكتسب عن طريق الحواس ويقصد به "العلم الضروري" أي ما سميناها في الفصل الأول بالمسلمات أو المكتسبات القبلية، فهو بذلك يرسم الطريق القويم الذي يجب أن يسلكها كل عالم للوصول إلى الحقائق حتى لا تتنازع فيها العقول، ويقول في موضع آخر" واعلم أنّ ا إذا أمعنا النظر، وجدنا المنقول..." [7]؟ وأمثلة من هذا النوع كثيرة تدل كلها على ضرورة انتهاج المنهج الاستدلالي سواء للوصول إلى دلائل الإعجاز أو إلى حقيقة أسرار البلاغة وهذا ما كان يبتغي عبد القاهر تحقيقه من خلال كتابيه، فإنّ كلاهما يكمل الآخر .

"والنظر" الذي ما فتئ عبد القاهر يحرص على ضرورة الالتزام به،هو النظر الذي يكون عن وعي، أي الذي احترم فيه قواعد العقل، ألا وهي مبادئ المنطق السليم الذي يرتكز عليها الاستدلال الصحيح.

---

[1] - ابن رشد، فصل المقال، ص:20.

[2] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:30

[3] - المصدر نفسه، ص:34

[4] - المصدر نفسه، ص:31.

[5] - المصدر نفسه، ص:37

[6] - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،ص:121.

[7] - عبد القاهر الجرجاني، أسرارا البلاغة، ص:402.

وقد ورد معنى الاستدلال بمرادفاته في كتابيه منها :" نرى، نعلم، القياس، نذكر بعض النماذج على سبيل المثال مثل قوله فيدلائل الإعجاز "إلاّ أنّك لن ترى على ذلك نوعا من العلم..." [1]. ومثل قوله كذلك : "واعلم أن كل ما ذكرنا باطل، وأن لم تتصور إلاّ الثاني، فلا تخدعن نفسك بالأضاليل، ودع النظر إلى ظواهر الأمور، وأعلم أن ما ترى أنّه لا بد منه من ترتيب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص ليس هو الذي طلبته بالفكر"[2] نلاحظ أن هذا النص حافل بالمفردات التي تدل على الاستدلال "اعلم النظر، ترى، الفكر" ويمكن أن نصل من خلال هذه النصوص وغيرها التي يزخر بها كتابي عبد القاهر الجرجاني، والتي تحمل في طياتها ما يرمي إليه عبد القاهر الجرجاني من دلالة قوية على أنّه كان على قدر كبير من الوعي والعلم الراسخ بالمنهج الذي يجب أن يسلكه حتى يحقق به إثبات الإعجاز القرآني من خلال نظرية النظم، فهو يذكر في كل وجه من وجوه الإعجاز، بأنّ الاستدلال سواء البرهاني أو الحجاجي هو الخيار الوحيد والأمثل الذي به يتم إثبات أن الإعجاز القرآني يتلخص في نظرية النظموبه كذلك يمكن أن يثبت الأسس التي يبنى عليها النظم وفي نفس الوقت يدحض كل كلام معاند أو طاعن أو مدع.

ولا ينحصر الخطاب البرهاني الاستدلالي عند عبد القاهر بذكر الألفاظ التي تدل عل الاستدلال، كذلك يمكن أن نلمس ذلك من الطريقة التي يطرح بها عبد القادر نظريته وأدلته.

فهو يسهبفي الكلام عن "فضل العلم" إذ يقول مثلا" فإنّا لم نر فعلا زان فاعله وأوجب الفضل له، حتى يكون عن العلم صدره، وحتى يتبين ميسمه عليه وأثره، ولم نر قدرة قط كسبت صاحبها مجدا وأفادته حمدا، دون أن يكون العلم رائدها فيما تطلب، وقائدها حيث يؤم ويذهب، ويكون المصرف لعناتها، والمقلب لها في ميدانها، فهي إذن مفتقرة في أن تكون فضيلة إليه، وعيال في استحقاق هذا الاسم عليه، وإذا هي خلت من العلم أو أبت أن تمتثل أمره وتقتفي أثره ورسمه"[3].

فعبد القاهر على بينه من أن أهم مقومات الاستدلال هو التسلح بالمعرفة التي تبنى على الحقيقة العليمة، وإلاّ فإن أي استدلال لا يرتكز على الحقائق العلمية مجرد أغاليط، وجدل عقيم لا تقوم له

[1] - عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص:06. .

[2] - المصدر نفسه، ص:52.

[3] - عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص:04.

قائمة، وهو دليل مآله السقوط لا محالة، ولعل أهم علم يراه عبد القاهر الواجب أن يتعلمه كل من أراد الخوض في أمر الأعجاز ولا بد له من أن يلم بأسراره هو علم البيان "إذ يقول :"ثم إنّك لا ترى علما هو أرسخ أصلا، وأسبق فرعا، وأحلى جنى وأعذب وردا،وأكرم نتاجا وأنور سراجا من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا...." [1]. وهذا ما يؤكد عليه كذلك في فاتحة كتابه "أسرار البلاغية" مثل قوله "اعلم أن الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها ويبين مراتبها ويكشف عن صورها ويجني صنوف ثمرها..." [2].وهو كلما أكد على فضل العلم ربطه بينه وبين العقل، إذ لا يمكن أن نفصل العلم عن العقل، وإلا كان علما زائفا يتنافى والطبيعة البشرية، وقوانين المنطق السليم إذ يقول:" فهذا في فضل العلم لا تجد عاقلا يخالفك فيه"[3] وكذلك يقول في موضع آخر:" لا يعلم أن ها هنا دقائق وأسرار طريق العلم بها الرؤية والفكر، ولطائف مستقاها العقل"[4]. ويصل إلى هذه النتيجة بعد أن يخوض طورا في تبيين دلائل الإعجازالتي يرتكز عليها الإعجاز في كتابه "دلائل الإعجاز" عند قوله:"قد بان الآن واتضح لمن نظر نظر المثبت الحصيف الراغب في اقتداح زناد العقل، والازدياد من الفضل ومن شأنه التوق إلى أن يعرف الأشياء على حقائقها، ويتغلغل إلى دقائقها، ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلد الذي يجري مع الظاهر، ولا يعدو الذي يقع في أول الخاطر"[5].

ويتبين من كلام عبد القاهر الجرجاني أنّه كان على علم بين أنّ النّص القرآني يحمل في طياته مضامين تدل على حقيقة الإعجاز، لذا حدد الوسائل والآليات التي لا بد أن يحسن استخدامها ويحكم توظيفها حتى يتسنى له أن يصل إلى حقيقة الإعجاز، ولعل العلم يعتبر أهم وسيلة تقود إليها ولاسيما علم البيان الذي تحدث عنه طويلا في كتابه "أسرار البلاغة" وحدد بعدها الآليات التي تبنى عليها العلوم ألاّ وهي نّحة النظر الذي كما سبق وان أشرنا يقصد به "الاستدلال" والنظر الصحيح لا يدرك إلاّ بالعقل الذي يتبع قواعد المنطق السليم.

[1] - المصدر نفسه، ص:05، ص:06.
[2] - عبد القاهر الجرجاني، أسرارا البلاغة،ص:02.
[3] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:05.
[4] - المصدر نفسه، ص:07
[5] - المصدر نفسه، ص:171.

وعبد القاهر لم يكتف بذكر لفظ "الاستدلال" في كتابيه صراحة أو بمرادفاته، إنّما كان كل مرّة يشير إلى أنواع الاستدلال التي كان يستعين بها لتدليل على أرائه والاحتجاج لها، فنجده يذكر لفظة البرهان في قوله :" أتعرف له معنى غير أن لا يزال البرهان منه لائحا معرضا لكل من أراد العلم به"[1]. وأنّه يذكر الاستدلال الحجاجي في قوله "من غير أن يتبع ذلك بيانا، ويقيم عليه برهانا ويذكر له علة، ويروى فيه حجة، وأن أنزل لك القول في ذلك وأدرجه شيئا فشيئا"[2].

كما أنه كان يذكر كل مرة في كتابيه صور الاستدلال التي كان يقرّ بمدى فعاليتها عن استخلاص النتائج التي بها قد يصل إلى المقاصد التي يرجوها من وراء توظيفها فنجده يذكر لفظ القياس كثيرا في كتابيه مثل قوله:" وإذا كان هذا هكذا علمت أنّه لا يكفي في علم "الفصاحة" ان تنصب لها قياسا ما"[3].

بل إنه يذهب إلى تبيين مفهوم القياس التمثيلي في كتابه دلائل الإعجاز والتدليل له في قوله "وهكذا قياس "التمثيل" نرى المزّية أبدا في ذلك نقع في طريق إثبات المعنى دون المعنى نفسه"[4].

كما أنه يحدد ويفرق بين أنواع القياس "القياس التخييلي" و"القياس العقلي" في كتابه أسرار البلاغة" إذ يقول عن القياس التخييلي، "ومعلوم أنّه قياس تخييل وإيهام تحصير وإحكام"[5]. ويقول عن القياس العقلي "فالذي هو "العقلي" على أنواع وألها عقلي صحيح مجراه في الشعر والكتابة والبيان والخطابة مجرى الأدلة التي استنبطها العقلاء، والفوائد تثيرها الحكماء"[6].

وكذلك من صور الاستدلال الاستقرائي التي يذكرها عبد القاهر ويؤكد على ضرورة استخدامه كلما استدعت الضرورة لذلك فهو يقول " وصح أن لا غنى بالعاقل عن معرفة هذه الأمور والوقوف

[1] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص:10

[2] - المصدر نفسه، ص:65.

[3] - المصدر نفسه ، ص:37.

[4] - المصدر نفسه، ص:،71.

[5] عبد القاهر الجرجاني،، أسرارا البلاغة، ص:267.

[6] - عبد القاهر الجرجاني، أسرارا البلاغة، ص:263

عليها والإحاطة بها وأن الجهة التي منها يقف والسبب الذي به يعرف، استقراء كلام العرب وتتبع أشعارهم والنظر فيها"[1].

كما أنه لا يتحرج كل مرة و باستمرار من أن يذكر الألفاظ التي تدور في الحقل الدلالي الاستدلالي نذكر منها "الدليل، الشاهد، الحجة، اليقين وغير ها،كثير مثلا يقول "ويستقصي النظر في جمعه، ويتبعه شيئا فشيئا، ويستقصيه بابا فبابا حتى يعرف كلاّ منه بشاهده ودليله، ويعلمه بتفسيره وتأويله"[2] ومثل قوله كذلك "ومن تعلق بهذا وشبهه واعترضه الشك فيه، بعد الذي مضى من الحجج"[3].

ومن صور الاستدلال التي يذكر عبد القاهر الجرجاني كثيرا هو الاستنباط إذ يقول مثلا "كأنكم قد أوتيتم أن تستنبطوا من المسألة الواحدة من كل باب مسائلة كلها"[4] ومن ذلك يمكننا أن نستخلص بأنه بدأت تتضح بوضوح الرؤية الاستدلالية وأهميتها الوظيفية في الممارسة النقدية وقد شكلت مختلف الأسس التي دعى إلى إتباعها من طرق استدلال وكذا صوره نظرية عامة ودعامة لقواعد قام على أساسها النقد العربي القديم بعده.

آليات الاستدلال عند عبد القاهر الجرجاني:

سنقف عند بعض النماذج في كتابي عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" و"أسرا ر البلاغة" وسنحاول أن نبين صور الاستدلالات التي وظفها،لعلنا يمكننا إثبات ما أرد تحقيقه عبد القاهر من خلال انتهاجه الخطاب البرهاني الحجاجي، ليصل من خلاله إلى الحقيقة التي بها كان الإعجاز القرآني، وبها تحدى الله العرب.

وإن كان عبد القاهر لم يطبق هذا النوع من الخطاب تطبيقا منطقيا صارما، بل قد حاول تطويع قوانين المنطق وتكيفهم مع ما يتناسب وطبيعة دراسته النقدية البلاغية التي تستدعي ان يستعمل اللغة

[1] - المصدر نفسه، ص:41.
[2] - المصدر نفسه ، ص:40.
[3] - المصدر نفسه، ص:64.
[4] -المصدر نفسه، ص:32.

الطبيعية المتداولة بين الناس والقابلة للتطويع ويمكن إخضاعها بكل سهولة لمقتضيات حال المخاطب والمخاطب.

وربما هذا السبب الأخير هو الذي جعل من خطاب الجرجاني النقدي أن يتنوع فيه آليات استدلالية شتى من الاستدلالات المباشرة إلى غيرها غير المباشرة كما تنوعت فيه الشواهد فهو حشد لإثبات رأيه دلائل مختلفة، فتميز خطابه بالخصائص الموضوعية المنطقية، حيث شكلت السمة الغالبة على هذا الخطاب التراثي، وبذلك أعطته ميزة خاصة رفعته عن مستوى الخطاب النقدي السائد في تلك الفترة حيث امتاز بالتحليل والوقوف على العلل والأسباب واستعراض الآراء السابقة، ومحاولة كشف ما فسد منها لاستنباط الأحكام، بغية الإقناع والتأثير وكذلك ما ميز هذا الخطاب أنّه كان بعيدا عن نمط السرد وعرض الأحداث والأفكار دون الاشتغال بالتحليل وذكر الأسباب، بينما كان خطابا يلزم المتلقي التفكير والرؤية بالمقارنة والتحليل ومشاركته باستنتاج الأحكام.

فالنماذج التي سنقوم بدراستها وتحليلها ستمكننا من توضيح مدى اشتغال عبد القاهر الجرجاني بالمنهج الاستدلالي ومما تركبت أدلته.

1-الاستدلالات المنطقية:

المتعارف عليه هو أن الاستدلال يظهر عادة في صورة مقدمة أو مقدمتي نستخلص منه نتيجة لازمة غير أن الاستدلالقد يظهر في صورة "تسلسل عدة أقوال، وليس هذا التسلسل لا صادقا ولا كاذبا، بل هو فقط سليم (صحيح) أو فاسد(غير صحيح)"[1]وعليه فإن الاستدلال قد يتألف من عدة قضايا تتحد فيما بينها لتصل إلاّ نتيجة حتمية.

1_1_الاستدلال المباشر: وهذا النوع من الاستدلال المنطقي لا يحتاج إلى واسطة أي "الحد الأوسط" وهو الذي يطلق استنتاج قضية من قضية"[2]. سواء كانت هذه الواسطة ظاهرة او مضمرة وفي هذا النوع من الاستدلال يمكن استنتاج صدق أو كذب قضية من قضية واحدة فقط مثل قولنا: كل الكتب مفيدة← كتاب التاريخ مفيد

[1] - جوزيف دوب،مبادئ المنطق الصوري (القديم و الحديث)،ت د محمود اليعقوبي،دار الكتاب الحديث "ط1،القاهرة2013م،ص:15.

[2] - محمد شطوطي، النظرية المنطقية،ص:202.

قضية واحدة ← النتيجة.

أ-التقابل:

هذا النوع من الاستدلال المباشر يمكن للفكر أن يستنتجه مباشرة حكم قضية من قضية أخرى مخالفة لها في الكم والكيف "وقد أحصى المناطقة وجوه التقابل في القضايا وهي:

التناقض، التضاد، الدخول تحت التضاد، التداخل"[1].

أ-1-التناقض: يكون بين قضيتين إن صدق إحدى القضيتين ينقض احتمال صدق الأخرى، ويجعلها كاذبة حتما، وإن كذب إحداهما ينقض احتمال كذب الآخر، ويجعلها صادقة حتما، فهما لا يصدقان معا بحال من الأحوال"[2].

مثل قولنا:

الأرض كروية الشكل يقابلها الأرض ليست كروية الشكل

القضية مقابلها

هاتان القضيتان متقابلتان تقابل تناقض ولما كانت الأولى صادقة لزم أن تكون الثانية كاذبة.

النموذج التالي: يمثل هذا النوع من التقابل بالتناقض.

المثال الأول: من دلائل الإعجاز "يقولون أقوالا ولا يعلمونها، ولو قيل: هاتوا حققوا، لم يحققوا"[3].

القضية مقابلها

هاتوا حققوا تقابلها لم يحققوا

[1] - حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص:155.

[2] - المصدر نفسه، ص:156.

[3] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:40.

وفي القضيتين نجد المحمول والموضوع متحدثان حيث أن الموضوع هو "التحقيق والموضوع هو مطالبتهم بذلك المحمول، والاختلاف يكمن في الكيف أي بين السلب والإيجاب: حققوا ← لم يحققوا، وكلمة " لم" في القضية الثانية جواب تكذيب للقضية الأولى واثبات نقيضها، وعليه فإن القضيتين متناقضتين، وإحداهما كاذبة ودليل على ذلك ما سبق هذه القضية حيث يقول عبد القاهر الجرجاني يقولون أقوالا لا يعلمونها وإذا طلب منهم أن يأتوا بدليل على ذلك لم يفعلوا والقضية الثانية صادقة حتما.

ونجد هذا النوع من التقابل بالتناقض كثيرا ما يلجأ إليه عبد القاهر ليستدل به مباشرة.

المثال الثاني: من أسرار البلاغة "أعني جهلهم الرجل إذا بقى له ذكر جميل وثناء حسن بعد موته، كأنه لم يمت، وجعل الذكر حياة له"[1].

بعد موته تقابلها كأنه لم يمت.

القضية مقابلها

ويكون كذلك بين قضيتين تكون الأولى كلية موجبة والثانية جزئية سالبة والنموذج التالي من دلائل الإعجاز يوضح هذا النوع من التقابل بالتناقض.

"كل لفظ نقل عن موضعه فهو مجازا"[2]. ← ليس بعض اللفظ الذي نقل عن موضوعه فهو مجاز .

ك م ⇐ صادقة نستنتج ج س⇐ كاذبة

ومن هذه القضية التي ذكرها عبد القاهر الجرجاني يمكن أن نستنتج القضية التي تقابلها بالتناقض مباشرة وإذ لم يصرح بها عبد القاهر الجرجاني.

المثال الثاني: من دلائل الإعجاز يستنتج منه مباشرة النتيجة بتقابل القضايا بالتناقض في قوله:" وحتى كأن المشكل على الجميع غير مشكل عندكم"[3].

[1] - عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة، ص:134.

[2] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:66

[3] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص:32.

وحتى كأن المشكل على الجميع تقابلها غير مشكل عندكم

ك م ⇐ صادقة ج س ⇐ كاذبة

حيث يستدل عبد القاهر في القول على أن المشكل إذا كان عند الجميع فهو من المستحيل أن لا يشكل مشكلا عند البعض.

أ-2-التضاد: هو كذلك وجه آخر من وجوه التقابل ويكونا الاستنتاج منه كذلك بشكل مباشر حيث يتم التقابل بين قضيتين "مختلفتين كيفا ومتفقتين كما [1] أي بين قضية تكون كلية موجبة ك م وبين قضية تكون كلية سالبة "ك س" وإن كانت ك س صادقة كانت ك م كاذبة، بينما إذا كذبت إحدى القضيتين فلا استنتاج مثل قولنا.

كل إنسان عالم ← لا أحد من الإنسان عالم

ك م = صادقة ك س ⇐ كاذبة

أو نحو قولنا: لا أحد من الناس بزاحف ← كل الناس زواحف

ك س= صادقة ك م ⇐ كاذبة

النموذج التالي: يوضح هذا النوع من التقابل بالتضاد:

[1] - ينظر،حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص:157.

المثال الأول: من دلائل الإعجاز:

"فكل واحد من هذين جزء من الجملة" [1] نستنتج لا أحد من هذين جزء من الجملة

ك م ← صادقة ك س ⇐ كاذبة

المثال الثاني: من أسرار البلاغة كذلك يمكن أن نستنتج منه مباشرة القضية التي تقابلها القضية الأولى بالتضاد إذ يقول عبد القاهر:

"ليس كل من دنا من أبواب الملوك فتحت له"[2] ← كل من دنا من أبواب الملوك فتحت له

ك س ⇐ صادقة ك م ⇐ كاذبة

أ-3-الدخول تحت التضاد: ويقصد به " أن كذب إحدى القضيتين المتقابلتين يقضي صدق الأخرى حتما لكن صدق إحدى القضيتين لا يقضي كذب الأخرى لاحتمال أن يصدقان معا"[3] مثل قولنا:

بعض الإنسان ملاك ← ليس بعض الإنسان ملاك

ج م ⇐ كاذبة ج س ⇐صادقة

النموذج التالي: يمثيل هذا النوع من التقابل بالدخول تحت التضاد:

المثال الأول: من أسرار البلاغة

"فإنك حينئذ تعلم السبب في سرعة بعضه إلى الفكر وإباء بعضه أن يكون له ذلك الإسراع"[4]

والمخطط المنطقي التالي يمثل هذا المثال:

[1] - ينظرحنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص:157.

[2] - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص:141.

[3] - حنبكة الميداني،ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص:171.

[4] _ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص:160.

فإنك حينئذ تعلم السبب سرعة بعضه ←وإباء بعضه أن يكون له ذلك الإسراع"[1]

ج م ⇐ كاذبة تقابلها ج س ⇐صادقة

فنلاحظ من خلال هذا المثال كيف أن صدق القضية الأولى لم يلزم عنه كذب الثانية فقد صدقت الثانية كذلك.

أ-4 -التداخل: والتقابل بتداخل القضايا يكون بين الكلية الموجبة وبين الجزئية الموجبة أو بين الكلية السالبة وبين الجزئية السالبة، وعليه إن صدقت الكليات صدقت الجزئيات بينما إذا كذبت الكليات لا يلزم صدق أو كذب الجزئية وبالتالي لا يمكننا الاستنتاج من ذلك"[2]

مثل قولنا: كل إنسان عالم ← بعض الإنسان عالم

ك م = كاذبة ج م = صادقة

او مثل قولنا: كل إنسان فان ← أحمد فان

ك م = صادقة ج م= صادقة

النموذج التالي :من دلائل الإعجاز يمكن أن يتطابق مع هذا النوع من التقابل "التداخل" والنموذج التالي من دلائل الإعجاز يوضح ذلك:

"وهكذا التقدير والتفسير أبدا في كل ما جاء فيه لفظا قال هذا المجيء، وقد يكون الأمر في بعض ذلك أشد وضوحا"[3].

ويمكن تمثيل هذا التقابل بالتداخل بمخطط التالي:

التقدير والتغيير أبدا في كل ما جاء فيه لفظ"قال"← وقد يكون الأمر في بعض ذلك أشد وضوحا

ك م ⇐ صادقة ج م = صادقة

[1] - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص:160

[2] - جوزيف دوب، مبادئ المنطق الصوري (القديم و الحديث)،ص:354 ص:99.

[3] - عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص:241.

ب- العكس: وهو نوع من الاستدلال المباشر [1]"والعكس عملية اشتقاق عقلي تشبه التي أجريناها في التقابل بين القضايا"[2] ويكون بتغيير وضع المحمول بالنسبة للموضوع أو العكس في القضية المستنتجة.

أي يوضع التالي بدل المقدم والمقدم بدل التالي وهذا بالنسبة للقضايا الشرطية .

عكسها

مثل قولنا: كل مجتهد ناجح ⟵ بعض الناجح مجتهد.

ك م ج م

ومثل قولنا في القضايا الشرطية العكسية:

عكسها

إذا كان التلميذ مجتهد فهو ناجح ⟵ إذا نجح التلميذ فهو مجتهد.

المقدم التالي المقدم التالي

النموذج التالي:

المثال الأول:مأخوذ من أسرار البلاغة يوضح هذا النوع من الاستدلال المباشر" العكس "

"فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلا"[3].

والمخطط التالي يمثل هذا النموذج تمثيلا منطقيا

عكسها

فكل تمثيل تشبيه ⟵ وليس كل تشبيه تمثيلا

ك م ك س

المثال الثاني:مأخوذ من دلائل الإعجاز يوضح كذلك هذا النوع من الاستدلال المباشر بالعكس إذ يقول عبد القاهر الجرجاني: "وهو أن يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى، وذلك محال لأن الذي يعرفه العقلاء عكس ذلك، وهو أن يصعب مرام المعنى بسبب اللفظ"[4].

[1] - ينظر ألكسندر ا غيتاتوفا،علم المنطق، ص:184.

[2] - حنبكة الميداني،ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص:177.

[3] - عبد القاهر الجرجاني، أسرارا البلاغة، ص:95.

[4] - عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ص:61.

والمخطط التالي يمكن أن يمثل هذا النموذج تمثيلا منطقيا

عكسها

لا يصعب مرام الفظ بسبب المعنى ⟵ يصعب مرام المعنى بسبب اللفظ

ك س ك م

1_2_ **الاستدلال غير المباشر**: وهو ما تركب من عدد من المقدمات أي من مقدمتين فأكثر ترتبط بعضها البعض. ويأتي الاستدلال غير المباشر على الصورة التالية: القياس، الاستقراء، التمثيل.

أ-القياس:

وهو ما تركب من مقدمتين تشتركان في حد واحد وهو ما يعرف بالحد الأوسط، ويلزم عن هذا الارتباط نتيجة يقينية، إذا كانت المقدمتان تقومان على اليقين وإذا كان القياس كذلك فقد قام على قواعد منطقية، وإن حاد عنها فإنّ نتائجه لن تكون منطقية بل تقوم على الاحتمال، وهذا ما نجده في الاستدلال الحجاجي الذي كثيرا ما يلجأ إليه عبد القاهر الجرجاني قصد الإقناع.

ولأن هذا النوع من الاستدلالات غير المباشرة "القياس" شائع الاستعمال في التراث العربي الإسلامي لاسيما عند الفقهاء واللغويين والمتكلمين حين "اهتدوا قبل أن يترجم المسند الأرسطي إلى نوع من الاستدلال نعتوه بالقياس والأصل فيه بديهي وهو أن حكم الشيء حكم اشتباه"[1].

ويأتي القياس بأشكال متنوعة أهمها:

أ_1-**القياس الاقتراني**: وينقسم بدوره إلى قسمين، حملي، شرطي، ويمتاز القياس الاقتراني "بأنّ عناصره فيها اقتران، وبأن نتيجته موجودة في مقدمتيه بالقوة لا بالفعل، أي بالمادة لا بالصورة والهيئة"[2].

أ-1_1 القياس الاقتراني الحملي: وهو القياس الذي تقترن فيه القضايا الحملية أي أنه "مؤلف من الحماليات الصرف، وليس فيه من الشرطيات شيء"[3].

[1] - العروي عبد الله، مفهوم العقل، ص:44.

[2] - حنبكة الميداني،ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة،ص:228.

[3] - المرجع نفسه، ص:229.

مثل قولنا: كل شهيد مأواه الجنة ⟵ القضية الحملية الأولى (المقدمة الكبرى)

محمد شهيد ⟵ القضية الحملية الثانية (المقدمة الصغرى)

إذن: محمد مأواه الجنّة ⟵ النتيجة

أي أننا نستنتج النتيجة من خلال الارتباط الذي يتم بين المقدمتين والذي عقد هذا الارتباط هو الحد الأوسط.

النموذج الأول: المقدمة الأولى + المقدمة الثانية + نتيجة

المثال الأول: مأخوذ من دلائل الإعجاز

وفي هذا المثال يبين عبد القاهر الجرجاني أن الله جعل معجزة كل نبي فيما غلب على قومه وتفوّقوا فيه لكي يثبت أن العرب قد برعوا في ألوان البيان .والبلاغة حتى بعث فيهم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم يتحداهم فيما برعوا فيه والتحدي والإعجاز لا يكون إلاّ كذلك في قوله:

"ولما كروا معجزات الأنبياء عليهم السلام، وقالوا: إن الله تعالى قد جعل معجزة كل نبي فيما كان أغلب على الذي بعث فيهم، وفيما كانوا يتباهون به، وكانت عوامهم تعظم بهم خواصهم، قالوا لمإنّه ما كان السحر الغالب على قوم فرعون، ولم يكن قد استحكم في زمان استحكامه في زمانه، جعل تعالى معجزة موسى عليه السلام في إبطاله وتوهينه"[1].

ويمكن أن نمثل هذا النموذج بهذا المخطط المنطقي التالي:

المقدمة الأولى	إنّ الله يجعل معجزة كل نبي فيما كان أغلب على الذين بعث فيهم ...
المقدمة الثانية	لما كان السحر الغالب على قوم فرعون...
النتيجة	جعل تعالى معجزة موسى عليه السلام السحر.

[1] - عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز، ص:475.

وفي هذا النص يخلص عبد القاهر الجرجاني إلى نتيجة لازمة من مقدمتين اشتركتا في حد أوسط واحد وهولما كان الأمر قد غلب على القوم الذي بعث فيهم الرسول وهو الذي مثل الربط الاقتراني بين هذين المقدمتين.

المثال الثاني: مأخوذ من أسرار البلاغة

وفي هذا المثال يثبت عبد القاهر الجرجاني أن الاسم في اللغة وضع لمعنى معين في الأصل ثم بعد تداوله أخذ معنى آخر عن طريق التأول أو اللزوم فهو يقول :" وذلك أن في هذا كله تأولا، وهو الذي أفضى بالاسم إلى ما ليس بأصل فيه، فالعين لما كانت المقصودة في كون الرجل ربيئة صارت كأنها الشخص كله"[1].

والمخطط التالي يمكن أن يمثل هذا المثال تمثيلا منطقيا.

المقدمة الأولى	هذا كله تأول، وهو الذي أفضى بالاسم إلى ما ليس بأصل فيه
المقدمة الثانية	فالعين لما كانت المقصودة في كون الرجل ربيئة صارت كأنها الشخص كله
النتيجة	إذن صارت العين الشخص كله من جهة التأويل

ومن خلال هذا المثال يتضح أن عبد القاهر يثبت أن التأول هو معنى ثان اكتسبه الاسم لم يكن يدل عليه في أصل وضعه وعليه فالعين بما أنها تدل على ربيئة الرجل اكتسبت معنى آخر لم توضع له في أول أمرها إلا بعد أن تأول الاسم وهذه النتيجة التي لم يصرح بها عبد القاهر يمكن استخلاصها عند الجمع بين المقدمتين الحمليتين بقوة الفعل.

النموذج الثاني: المقدمة الأولى + المقدمة الثانية + المقدمة الثالثة + نتيجة

يمكن أن يتوافق هذا النموذج مع

المثال الأول: المأخوذ من أسرار البلاغة.

[1] - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص:397.

حيث بين عبد القاهر الجرجاني بأنّ الصفة قد لا تذم لذاتها بل لأمر يتعلق بها في قوله عن صفة الشيب "لما كانت العادة جارية بأنّ في زوال رؤية الإنسان للشيب، زواله عن الدنيا وخروجه منها، وكان العيش فيها محببا إلى النفوس، صارت محبة لما لا يبق له حتى يبقى الشيب"[1].

والمخطط التالي يمثل هذا المثال تمثيلا منطقيا على النحو التالي:

المقدمة الأولى	لما كانت العادة جارية بأن زوال رؤية الإنسان للشيب
المقدمة الثانية	زواله عن الدنيا وخروجه منها
المقدمة الثالثة	وكان العيش فيها محببا إلى النفوس
النتيجة	حبب رؤية الشيب حبا في البقاء

المثال الثاني: يمكن كذلك أن نمثل هذا النموذج بهذا المثال المأخوذ من دلائل الإعجاز

عندما بين كيف لحقت الشبهة مسألة اللفظ والمعنى في قوله "لما كانت المعاني إنما تتبين بالألفاظ، وكان لا سبيل للمرتب لها والجامع شملها، إلى أن يعلمك ما صنع في ترتيبها بفكره، إلاّ بترتيب الألفاظ في نطقه، تجوزوا فكنوا عن ترتيب المعاني بترتيب الألفاظ"[2].

ويمكن تمثيل هذا المثال بالمخطط التالي:

المقدمة الأولى	لما كانتالمعاني إنمّا تتبين بالألفاظ
المقدمة الثانية	وكان لا سبيل للمرتب لها والجامع شملها، إلى أن يعلمك ما صنع في ترتبها بفكره
المقدمة الثالثة	إلاّ بترتيب الألفاظ في نطقه
النتيجة	تتبين المعاني بترتيبها في الفكر قبل ترتيب الألفاظ في النطق

[1] - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،ص:268.

[2] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:64.

النموذج الثالث: المقدمة الأولى + المقدمة الثانية + المقدمة الثالثة + المقدمة الرابعة + نتيجة

المثال الأول: مأخوذ من أسرار البلاغة

يمكن أن يمثل هذا النموذج من القياس الحملي الاقتراني، حين يتكلم عبد القاهر الجرجاني على قضية اللفظ والمعنى التي احتدم الصراع حولها، وإلى أيهما يرجع الفضل والمزية ويوضح ذلك بمثال عن فضالسواد إذ يقول:"لما كانت الأوقات التي تحدث فيها المكاره توصف بالسواد فيقال اسو ّ د النّهار في عيني، وأظلمت الدنيا علي، جعل يوم النوى كأنّه أعرف وأشهر بالسواد من الظلام، فشبه به، ثم عطفه عليه فؤاد من لم يعشق،تطرفا، وإتماما للصنعة، وذلك أن الغزل يدّ عي القسوة على من لا يعرف العشق، والقلب القاسي يوصف بشدة السواد"[1].

والمخطط التالي يمثل هذا المثال من هذا النموذج:

المقدمة الأولى	لما كانت الأوقات التي تحدث فيها المكاره توصف بالسواد فيقال أسود..
المقدمة الثانية	جعل يوم النوى كأنه أعرف وأشهر بالسواد من الظلام
المقدمة الثالثة	تم شبهه،ثم عطف عليه فؤاد لم يعشق،تظرفا وإتماما ..وذلك أن الغزل..
المقدمة الرابعة	والقلب القاسي يوصف بشدة السواد
النتيجة.	فأصبح قلب من لم يعشق أسود من ظلمة الليل وأصلا في الكدرة

المثال الثاني: مأخوذ من أسرار البلاغة .

يثبت به عبد القاهر الجرجاني كيف أن التعليل قد يبتعد عن ما تعوده الناس فيكون أغرب وأبعد عم ألفه الناس وهو يستدل لذلك من خلالتفسير لبيت من الشعر في قوله:"و المعنى رحل عني ّ العزاء بارتحالي عنكم،أي:عنده ومعه وبه وبسببه،فكان لما كان محل الصبر الصدر،وكانت الأنفاس تتصعد منه أيضا،صار العزاء،وتنفس الصعداء كأنها نزيلان ورفيقان،فلما رحل لذلك كان حق هذا أن يشيّ عه قضاء لحق الصحبة."[2]

والمخطط التالي يمثل هذا المثال:

[1] - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص:22 7، ص:228.

[2] - المصدر نفسه، ص:299.

المقدمة الأولى	فكان لما كان محل الصبر الصدر
المقدمة الثانية	وكانت الأنفاس تتصعد منه أيضا
المقدمة الثالثة	صار العزاء وتنفس الصعداء كأنهما نزيلان ورفيقان
المقدمة الرابعة	فلما رحل ذاك، كان حق هذا أن يشيعه قضاء لحق الصحبة
النتيجة	اجتماع العزاء وتنفس الصعداء وتصاحبهما ليس من المعاني المألوفة.

أ_1_2-**القياس الاقتراني الشرطي:**هو نوع من الاستدلال الغير المباشر،وهو"ما لم يتألف من قضايا حمليه صرفة،و إنما تألف من شرطيتين،أو من حمليه وشرطية،و الشرطية قد تكون متصلة و قد تكون منفصلة"[1]وتربط بين المقدمتين أدوات الشرط والمقدمة الكبرى في القياس الاقتراني تسمى"مقدم"والمقدمة الصغرى تسمى"التالي"وهذا النوع من القياس يستخدمه عبد القاهر الجرجاني كثيرا في كتابيه.

2_ 1_الاقتراني الشرطي المتصل:

مثل قولنا: كلما نزل المطر← اخضرت الأرض.

المقدم التالي.

والرابط بينهما هو كلمة"كلّما"

النموذج التالي:ويمثل هذا النوع من القياس الاقتراني الشرطي المتصل

المثال الأول: مأخوذ من دلائل الإعجاز:

يمثل قول عبد القاهر الجرجاني في إشادته بالشعر والشعراء ويثبت بأن الوزن ليس فيه ما يعاب حتى ذهب من ادعى استكراه الشعر إذ يقول:"وذاك أنّه لو كان منع تنزيها وكراهة،لكان ينبغي أن يكره له سماع الكلام موزونا،وأن ينزه سمعه عنه كما نزه لسانه "[2]

والمخطط الآتي يوضح هذا النوع من الاستدلال بطريقة منطقية:

[1]- حنبكة الميداني،ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص:231.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص:26.

الرابط الشرطي	المقدم	التالي
لو كان	منع تنزيها وكراهة	لكان ينبغي أن يكره له سماع الكلام موزونا، وأن ينزه سمعه عنه كما نزه لسانه
النتيجة	لو أن الوزن منع كراهة لنزه منه سماع الرسول-صلى الله عليه وسلم-	

المثال الثاني:مأخوذ من أسرار البلاغة وهذا مثال من أسرار البلاغة يستدل به عبد القاهر عن أفضل التشبيهات وأشدها ويعلو بالنفس في قوله:"وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد، كانت إلى النفس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب".[1]

ويمكن تمثيل هذا النص في المخطط المنطقي التالي:

الرابط الشرطي	المقدم	التالي
كلما كأن	التباعد بين الشيئين أشد	كانت إلى النفوس أعجب،وكانت النفوس لها أطرب

أ-النتيجة: كلما كان التباعد بين الشيئين المتشابهين أشد كان أفضل وأحسن.

2-2 - الاقتران الشرطي المنفصل:

مثل قولنا: كلما بكى الرضيع فهو إما جائع أو مريض.

النموذج الأول:يستدل عبد القاهر الجرجاني في هذا النص من دلائل الإعجاز على أن الفصاحة لا تقصر على الألفاظ إذ يقول:"لزمنا أن نخرج"الفصاحة" من "البلاغة"، ومن أن تكون نظيرة لها،وإذا فعلنا ذلك، لم نخل من أحد الأمرين: إما أن نجعله العمدة في المفاضلة بين العبارتين ولا نخرج على غيره، وإما أن نجعله أحد ما نفاضل به، ووجها من الوجه التي تقتضي تقديم كلام على كلام"[2].

[1] - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص:130

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص:58

والمخطط التالي نمثل فيه النص تمثيلا منطقيا:

الرابط الشرطي	المقدم	التالي
وإذا	فعلنا ذلك	لم نخل من أحد الأمرين "إما أن نجعله العمدة" "وإما أن نجعله أحد ما تفاضل به"

النموذج التالي:

وكذلك يمثل هذا النوع من القياس قول عبد القاهر الجرجاني من أسرار البلاغة عندما يستدل على أن الاستعارة عادة تقع في التشبيه الذي اتفق الناس على أن المستعار اختص بتلك الصفة في قوله ويضرب لذلك مثلا لصفة الشجاعة عند الأسد في قوله "فإن قال زيد كالأسد، كان قد أثبت خطأ ظاهرا في الشجاعة، ولم يخرج عن الاقتصاد، وإذا قال هو الأسد، تناهى في الدعوى، إما قريبا من الحق لفرط بسالة الرجل، وإما متجاوزا في القول، فجعله بحيث لا تنقص شجاعته عن شجاعة الأسد ولا يعدم منها شيئا"[1]

[1]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص:251

والمخطط التالي يمثل هذا النموذج تمثيلا منطقيا.

الرابط الشرطي	المقدم	التالي
إذا	قال هو الأسد،	تناهى في الدعوة ـــإما قريبا من المحق لفرط بسالة الرجل، ـــ وإما متجوز في القول فجعله بحيث لا تنقص شجاعته عن شجاعة الأسد ولا يعدم منها شيئا

أ_2_ القياس الاستثنائي: هذا النوع من القياس تكون فيه النتيجة مذكورة ومصرح بها على غرار القياس العلي الذي لا يصرح فيه بالنتيجة "فالنتيجة قي القياس الاستثنائي مذكورة بالفعل ،أي بصورتها "[1]

فالقياس الاستثنائي هو عملية فكرية ينطبق عليها التعريف العام للقياس،"إلا أنه قائم على مقدمة شرطية توضع، ثم تؤخذ قضية عملية من أحد طرفيها، أو يؤخذ نقيضها، وتوضع في القياس مقرونة بلفظة(لكن) أو نحوها، وتكون هذه مقدمة ثانية، ثم تشتق منها النتيجة"[2]

وينقسم بدوره إلى قسمين رئيسيين.

أ_2_1 الاستثنائي الشرطي المتصل: تتكون هذا النوع من الأقيسة من مقدمتين حيث يتكون من "مقدمة كبرى شرطية تفيد اللزوم، ومن مقدمة صغرى حملية استثنائية تثبت أو تنفي أحد طرفي المقدمة الكبرى، و النتيجة قد تثبت أو تنفي الطرف الباقي"[3] مثل قولنا:

[1]- محمد الشطوطي،النظرية المنطقية عند الشيخ الرئيس، ابن سينا، دار صقيلية، دار قرطبة، ط1، 2007،ص:91

[2]- حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص:269

[3] المرجع نفسه، ص:147

إن كان المطر يسقط فالأرض مبتلة.

لكنه يسقط.

إذن الأرض مبتلة.

ونلاحظ من خلال المثال أن الجزء الأول من القضية الشرطية" المقدمة الكبرى" يعرف "بالمقدم"، أما الجزء الثاني"المقدمة الصغرى" يسمى" التالي" والعلاقة بينهما وصل التي عقدته أدوات الشرط: إذ،إن...

المثال الأول: يمكن أن نمثل هذا النوع من القياس الشرطي الاستثنائي المتصل بهذا القول لعبد القاهر الجرجاني من دلائل الإعجاز حين يعلل عن السبب الذي تأتي على أساسه الواو بمعنى مع في قوله:"وكذلك سبيل الواو الكائنة بمعنى مع في قولنا لو تركت الناقة وفيصلها لوضعها بمنزلة حرف الجر في التوسط بين الفعل والاسم وإيصاله إليه، إلا أن الفرق أنها لا تعمل بنفسها شيئا، لكنها تعني الفعل على عمله النصب"[1]

يمكن تمثيل هذا المثال في المخطط تمثيلا منطقيا.

الرابط الشرطي	المقدم	التالي
لو	تركت الناقة وفيصلها لوضعها بمنزلة حرف الجر في التوسط.....	لكنها تعين الفعل على عمله النصب

المثال الثاني: مأخوذ من أسرار البلاغة

وفي هذا المثال يستدل عبد القاهر للمقارنة بين الحقيقة والمجاز ويضرب مثلا عن تشبيه العلا بالآمال في قوله "وهي إذا وصفت بالسعة كان مجازا بلا شبهة، ولكن لما كان يقال "آمال طوال" و"آمال لا

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،من المقدمة، ص:06.

نهاية لها"و"اتسعت آماله" وأشباه ذلك،صارت هذه الأوصاف كأنها موجودة فيها عن طريق الحس والعيان"[1]

المخطط التالي يوضح هذا المثال.

الرابط الشرطي	المقدم	التالي
إذا	وصفت بالسعة كان مجازا بلا شبهة	ولكن لما كان يقال،آمال طوال.....صارت هذه الأوصاف كأنها موجودة فيها عن طريق الحس والعيان.

أ_2_2 الاستثنائي الشرطي المنفصل:

ويمكن أن يمثل هذا النوع من القياس هذا النموذج

المثال لأول: من دلائل الإعجاز

فعبد القاهر الجرجاني يعلل السبب الذي دعى بعض الناس ليعيب الشعر أو يعيب به، فيستدل لذلك بقوله" فلو كنت ممن ينصف كان في بعض ذلك ما يغير هذا الرأي منك وما يحدوك على رواية الشعر وطلبه، ويمنعك أتعيبه أو تعيب به، ولكنك أبيت إلا ظنا سبق إليه، وإلا بادي رأي عن ذلك فأقفلت عليه قلبك"[2]

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرارا البلاغة، ص:231.

[2]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز،من المقدمة،ص:16.

ويمكن تمثيل هذا المثال في المخطط التالي:

الربط الشرطي	المقدم	التالي
لو	كنت ممن ينصف كان في بعض ذلك ما يغير هذا الرأي منك، وما يحدوك على زاوية الشعر وطلبه...	ولكنك أبيت إلا ظنا سبق إليه، وإلا بادي رأي ذلك فأقفلت عليه قلبك.

حين يفصل فيما لا يكون الشبه في قوله:"وإذا قلت في الرجل القليل المعاني:"هو معدوم"أو قلت:"هو والعدم سواء "فلست تأخذ له شبه من شيء، ولكنك تنفيه أوتبطل وجوده"[1]

والمخطط التالي يمثل هذا المثال:

الرابط الشرطي	المقدم	التالي
إذا	قلت في الرجل القليل المعاني "هو معدوم"أو قلت "هو والعدم سواء" فلست تأخذ له شبها من شيء	ولكنك تنفيه أوتبطل وجوده.

ب -التمثيل:

تنوعت تسميات هذا النوع من الاستدلال كما سبق وأن رأينا في الفصل الأول نظرا لاتساع مجالات استخدامه لما له من قوة تأثيرية هائلة في الإقناع،سواء من الناحية العقلية،الموضوعية التي يقوم عليها هذا الدليل،أومن حيث الأسلوب المعتمد في إبراز الأدلة .لذا فقد شكل"التمثيل "الموضوع الأبرز في كل الدراسات البلاغية،النقدية في التراث البلاغي.

[1] - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص:87

وعبد القاهر الجرجاني قد كان له دور فعال في المنظومة البلاغية العربية سواء من حيث التنظير أو من حيث التطبيق ويبدو ذلك جليا كلما تصفحنا كتابيه "الدلائل و أسرار البلاغة"فقط ضبط المفاهيم المتعلق بهذا النوع من القياس واستطاع أن يرفع الشبهات التي التبست به دائما متبعا المنهج القويم لذلك وهو "المنهج الاستدلالي "فقد بين الجرجاني في باب التمثيل أن من بين أبرز صور الاستدلال هو الذي يقوم على الاستدلال حيث يقول":واعلم مما اتفق العقلاء عليه،أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني،أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورتها كساها أبهة، وكساها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وفسّر الطباع على أن تعطيها محبّة وشغفا".[1]

يمكن أن ندرك من خلال هذا النص أن عبد القاهر الجرجاني كان يسعى إلى إظهار حقيقة مهمة وانّ من أبرز ما يضفي على المعنى نوعا من السحر والجلال الذي يجذب النفوس ويبهر العقول هو هذا النوع من القياس.الذي بقي لدى الكثير لغزا وسرّ اكثرت الأقاويل رغم أنّه واسع الانتشار.

وهو يستدل لرأيه هذا بعدة أدلة منطقية جاهزة يؤكد و يقوى بها دليله.

ويذهب حتّى إلى البحث عن السبب الذي يجعل هذا النوع من القياس "التمثيل"له هذه الطاقة الكبيرة في الإقناع ويعقد بابا خاصا لذلك فيقول:"فأول ذلك وأظهره،أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من الخفي إلى الجليّ ،وتأثيرها بصريح بعد مكنّى،وأن تردّها في الشيء تعلمها إيّاه إلى شيء آخر هي بشأنه اعلم،وثقتها به في المعرفة أحكم،نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع."[2]

فبهذا شرح عبد القاهر الجرجاني الطريقة التي يعمل بها هذا النوع من القياس حتّى يتمكن من أن يتغلغل إلى النفوس فيعمل على إثارتها والانقياد لغاية المتكلم بكل سهولة .

والطرق التي ذكرها الجرجاني في هذا النص والتي تعمل على التفاعل معها ما هي إلا الأساليب البلاغية،التي تفنن العرب في تخريجها غير أن القرآن تفوق عليهم فيها وهي:التشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية "وهو بذلك جعل من هذه الأنواع البلاغية أصولا تتفرع جل محاسن الكلام عنها وتدور أقطاب

[1] - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص:115.

[2] - المصدر نفسه، ص:121.

المعاني وأقطارها،وصنيعه هذا القائم أساسا على الذوق المرهف الإحساس العميق والاعتماد على العقل،والاستفادة من جهود سابقيه وبلورتها كي تصبح أصيلة جعلته متفردا في عمله،إذ لم يتفق أحد مثله عند التشبيه والاستعارة والتمثيل ككل،يدرسها معا،ويربطها ربطا واضحا،يحاول فيه أن يوجد أوجده الاختلاف والتشابه بينهما بالقياس إلى درجة الإثبات والمشابهة"[1]

وكل هذه الأساليب التي اهتم بها الجرجاني تعتبر:" اهتمام مفيد في بيان تصور الجرجاني للآلية الاستدلالية التي يقصدها والتي تمكن من الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني"[2]، فالأساليب البلاغية كما شرحها عبد القاهر الجرجاني تعمل بدورها بالطرق الاستدلالية بحيث أنّها تعتمد على معارف سابقة لنتقل عن طريق عملية عقلية"استدلالية" لتصل إلى معارف جديدة.

فنجده يقول عن الاستعارة مثلا:"فهي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول"[3] وهذا ما لاحظه شكري المبخوت

في حديثه للطرق الاستدلالية عند الجرجاني إذ يقول:"إنّ دلالة الكناية مثلا على المكنى ّ تكون بالاستدلال بمعاني الألفاظ الوضعية على غرض المتكلم وإلا انعدام الفرق بين المكني بدلالته الوضعية وخصائص التعبير في الكناية"[4]كما أن الجرجاني يقر ّ ذلك بنفسه

في كتابه حيث يقول:"فإن التمثيل....فهو يفيد أمرا آخر يجري مجراه،وذلك أن الوصف كما يحتاج إلى إقامة الحجة على صحة وجوده في نفسه،وزيادة التثبيت والتقرير في ذاته وأصله،فقد يحتاج إلى بيان المقدار فيهووضع قياس من غيره يكشف عن حد ّه في القوة والضعف و الزيادة والنقصان"[5]، فالعملية الاستدلالية التي تقوم عليها الأساليب البلاغية بمثابة الميزان الذي يعمل على تحديد الكلام وترجيح دلالته،إذا كان يقع الكلام ضمن البليغ أو أبلغ من البليغ أو المعجز أو عكس ذلك تماما،أي الكلام المبتذل لذا لا مناص لهذه الأساليب البيانية من أن تخرج عن قواعد الاستدلال.

[1] -د:أحمد علي الدهان،الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، ص:283.

[2] -شكري المبخوت،الاستدلال البلاغي ،ص:42.

[3] - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ،ص:20.

[4] -شكري المبخوت،الاستدلال البلاغي، ص:46.

[5] - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص:125.

فكتابا الجرجاني حافلان بهذا النوع من القياس ؛لأن الجرجاني في مقام الإقناع وهذا القياس من أهم الاستدلالات التي تفي له بالغرض ؛لأنه يرتكز على مقومات الاستدلال الحجاجي أهمها اللغة الطبيعية التي توفر لصاحبها كل التقنيات المساعدة في الإقناع.

سنحاول أن نلتمس هذا النوع من الاستدلال في كتاب"دلائل الإعجاز"حين يستدل لمن يتشدد لآرائه حول مسألة "اللفظ"وإعطائه كل الميزة له.

إذ يقول:"وذلك لأن الاعتقاد الأول قد نشب فيقلوبهم،وتأشّب فيها،ودخل بعروقه في نواحيها،وصار كالنبات السّوء الذي كلما قلعته عاد فنبت "[1].

ويمكن تمثيل أركان التمثيل على النحو التالي:

- **الركن الأول**:الممثل ويسمى المقيس:إن الاعتقاد الأول قد نشب في قلوبهم، وتأشب فيها ..
- **الركن الثاني**:الممثل به ويسمى المقيس عليه:النبات السوء الذي كلما اقتلعته عاد فنبت.
- **الركن الثالث**:العلة الجامعة وهي سبب التمثيل:التشدد والتشبث بالشيء.
- **الركن الرابع**:الحكم الذي في الأصل:تكرار نمو النبات لتثبت بالأرض.

ويستدل بنفس الطريقة الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة"لكي يبين كيف أن الإكثار من ألوان البديع قد تشوه المعنى وتدخل إليه القبيح من حيث أريد له التحسين والتنسيق.

فهو يقول في ذلك:"وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وأفسده، كمن تقل العروس بأصناف الحلي حتّى لا ينالها من ذلك مكروه في نفسها"[2]،فالجرجاني بهذا التمثيل أراد أن يستدل على حقيقة ألزمها التكلف في التكلف في الكلام فربط بين هذه الظاهرة والعروس التي يراد أن تزين بأنواع من الحلي والوشي فيصيبها مكروه من كثرة ما تحمل جسمها من ثقل فهو بهذا التمثيل أعطى للمعنى قوّة وجاذبية لم تكن لوأنّه ذكر رأيه ولم يعقد له مثالا يقرب للمخاطب الصورة أكثر.فيجعل بذلك المتلقي مشاركا للمخاطب في أعمال الفكر واستخراج الأحكام وبذلك يكون الدليل أقوى وأثبت في النفس.

[1] - عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز ،ص:365.

[2] -عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ،ص:09.

ويقوم هذا التمثيل على الأركان التالية:

-**الركن الأول**:الممثل(المقيس):طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وأفسده.

-**الركن الثاني**:الممثل به(المقيس عليه):من ثقل العروس بأصناف الحلي حتى ّ ينالها من ذلك مكروه في نفسها.

-**الركن الثالث**:العلة الجامعة:الزيادة عن الحد المعقول تضر صاحبها.

-**الركن الرابع**:الحكم الذي في الأصل:إصابة العروس بالمكروه لما أفرطوا في تزيينها وكثيرا ما يكون هذا النوع من الاستدلال "ناقصا"حيث تكون فيه بعض الأركان محذوفة أو مضمرة ويمكن للمتلقي أن يقدرها استدلالابأدلة ظاهرة وقد انتشر هذا النوع من القياس الناقص بشكل مكثف لأنّه يستغل في إطار اللغة الطبيعية.

النموذج التالي: من أسرار البلاغة يوضح هذا النوع من التمثيل عندما يبين الجرجاني الفائدة من التجنيس في قوله":فبهذه السريرة صار"التجنيس" وخصوصا المستوفى منه المتفق في الصورة من حلي الشعر"[1]

ومن خلال هذا النموذج يمكن أن يتوضح الركن الناقص من خلال تحليله إلى أركان القياس التمثيلي:

-**الركن الأول**:الممثل(المقيس):التجنيس في الشعر.

-**الركن الثاني**:الممثل به(المقيس عليه):محذوف وهو العروس.

-**الركن الثالث**:العلة الجامعة:التزيين.

والقرينة التي تدل على المحذوف هي"الحلي"التي تزين العروس فهي لازمة من لوازمها أو من لوازم المرأة عامة إذا ما أخذت زينتها.

لذا لابد أن نبين علاقة اللزوم وأثرها في الاستدلال البلاغي وكذا علاقتها بالتضمين.

[1]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ،ص:08.

الاستدلال البلاغي وعلاقته باللزوم والتضمين:

لقد كانت لهذه العلاقة حضور مهم في محور الدراسة النقدية البلاغية التي خاض فيها عبد القاهر في كتابيه:"دلائل الإعجاز"و"أسرار البلاغة""ولما كان الاستدلال عند الجرجاني طلبا للدليل على ما تفيد الصيغة الصرفية،باتخاذ المعنى الأول المفهوم من اللفظ دليلا على ما المعنى الثاني فإنّ الاستدلال علاقة بين معنيين متلازمين أحدهما مقول،منطوق والآخر مستلزم منه بوجه من الوجوه"[1]،فهذه العلاقة الإستلزامية بين المعنى الأول والثاني هي التي لها الدور الفعّال في بناء الدليل لاسيما الدليل البلاغي غير أن "مبدأ اللزوم سواء كان صوريا أو ماديا،فهو في الأساس انتقال من شيء إلى شيء لازم عنه،وهو من أدوات المنطقي الضرورية في كل تركيب وفي كل حكم"[2].

لأنّ هذه الدلالة اللزومية هي دلالة عقلية وهي نفسها دلالة "معنى المعنى"الذي استند عليها عبد القاهر الجرجاني في تفسير مختلف الأساليب البلاغية تفسيرا استدلاليا.التي تقوم إمّا على اللزوم أو التضمين أو الحذف وهذه الطرق التي تعمل بها الأساليب البلاغية لا تعمل إلاّ في ظل الدليل .

بحيث أنّ دلالة الالتزام "تحتاج إلى أمر خارجي لعقد الصلة التي تكون بين اللفظ ومعناه وبين "الدال والمدلول"[3]، وهذه الصلة التي تكون بين اللفظ ومعناه هو ما يعرف في البلاغة العربية بالقرينة التي لولاها لما اتضح مفهوم المعنى،"فهي إذن ترتبط بين المعنى الحقيقي أي الوضعي وبين المعنى المجازي في الأساليب البلاغية لا تختلف في وظيفتها عن العلة "[4].

وعليه فإنّ الاستدلال مرتبط دائما بقرينة بإضافة إلى ذلك هناك علاقة أخرى يقوم عليها الاستدلال وهي دلالة التضمين: عندما يكون المعنى جزء من المعنى الذي أداه اللفظ الحقيقي،"فبلاغة الكناية والمجاز التي تحدث عنها الجرجاني تعود إلى كثرة المعاني التي يؤديها القول بإيجاز في أخصر لفظ يجمع دلالة صريحة غير مقصودة في ذاتها بدلالة ضمنية تمثل المراد من الكلام."[5]ويتضح ذلك من خلال

[1] - شكري المبخوت،الاستدلال البلاغي، ص:60.

[2] - محمد شطوطي النظرية المنطقية عند الشيخ الرئيس ابن سينا ص:212،213.

[3] - إدريس بن خويا "البحث الدلالي عند الأصوليين قراءة في مقصديه الخطاب الشرعي عند الشوكاني، مطبعة بن سالم، الأغواط،ط1،ص:51.

[4] - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص:70.

[5] -شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، ص:44.

تحليلات الجرجاني للشواهد الشعرية أو الأمثلة المتداولة في التراث العربي التي قدمها حول كل الأساليب البلاغية .

كما أنه خص بابا كاملا حول الحذف أو ما سمي بالإضمار وهو يرى أنه:"باب دقيق المسلك،لطيف المأخذ،عجيب الأمر،شبيه بالسحر،فإنّك ترى به ترك الذكر،أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة،وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[1] فإن للحذف في البلاغة العربية معاني بلاغية جالية تجعل المعنى أقوى وأدل من أنّه نطق به،ويضرب لذلك عبد القاهر الجرجاني أمثلة كثيرة يؤكد بها على صحة دعواه،ويبين من خلالها المعاني الذي يضفيها الحذف على الكلام من جمال وقوى وأثر لا مثيل له على النفس. وقد أطال فيه الشرح حول ما يجب فيه الحذف وما لا يجب والإضمار عادة ما يكون فيه "المدلول مضمرا أي محذوفا من الكلام ويكون تقديره ضروريا يتوقف عليه صدق المتكلم، إذ يستحيل فهم الكلام إلاّ بتقدير المحذوف"[2]،والمعنى المحذوف لا يمكن الوصول إليه إلا في ظل السياق النصي والمقامي وهذا ما ترسم الاستعارة أبعاده"ففي طرفي الاستعارة تكون أمام معنى جديد،نابع من التفاعل الحي من الدلالات القديمة لكل طرفي من طرفيها داخل السياق الجديد الذي وضعت فيه"[3] وعليه نستنتج من خلال ذلك أن الدليل الذي يوصلنا إلى المعنى المراد من الأساليب البلاغية يكون منبعه نص الكلام أو المقام الذي قيل بشأنه هذا الكلام .

وحوصلة الكلام هو أن هذه الطرق التي أكّد الجرجاني على أنها تشكل علاقات تقوم عليها الأساليب البلاغية العربية،ما هي إلا علاقات استدلالية نستدل من خلالها على معانيها البيانية التي تحرك القلوب،بتثبيت العقول من خلال نتائج موضوعية.

ج-الاستقراءإنّ هذا النوع من الاستدلال الذي كثيرا ما نادى عبد القاهر الجرجاني باتباعه كما رأينا سابقافقهواستثمر بقوّة في كتابيه "دلائل الإعجاز"وأسرار البلاغة"بل حتىّ أنّه لا يمكنه أن يحيد عنه في حال من الأحوال،سواء عند الشرح أو التحديد أو التعليل "فهو يقيم دراسته على استقراء ذوقي

[1] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:146.

[2] - الآمدي، الأحكام في أصول الأحكام،ج3،ص:22.

[3] - د:أحمد علي الدهمان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني،ص:248.

وشامل،وعلى تحليل عميق"[1]إذ أنّ عبد القاهر الجرجاني لم ينف ما توصل إليه الذين سبقوه،بينما أنّه كان يبقي أدلته على قواعدهم فهو لم يخرج على إطار ما كان سائدا في تلك الفترة.

ولعل عبد القاهر الجرجاني كان في مدار دراسته يخضع آراءه لمبدأ التعليل والبحث عن المسببات،وما ينتج عنها، هادفا إلى بلوغ الموضوعية النقدية والتي تعطى المصداقية الكاملة لدراسته"ومن المسلم به أن تكون هذه السمات مستمدة من طبيعة النصوص التي أمامه عن طريق الاستقراء الذوقي للصورة الجمالية،والاستقصاء في بيان خصائصها،وعناصر تكوينها،وتحليلها إلى أجزائها المكونة لها"[2]،ويمكن أن تتضح هذه الطرق التي سطر من خلالها دراسته النقدية البلاغية فيما سنحاول أن نقف على الطرق التي وظفها عبد القاهر الجرجاني في الاستقراء.

ج-1-**طريقة السببية والعلة**وهذه الطريقة في الاستقراء شائعة الاستعمال بل إنّ تقريبا جميع الطرق الأخرى للاستقراء وحتى ّ الاستدلال بالقياس تقوم على مبدأ السببية،التي على أساسه يبين الحكم، وإننا نجد "عبد القاهر "نفسه يدعو في كتابه إلى الضرورة التعليل،فهو يقول:"واعلم أنّه ليس إذا لم يمكن معرفة الكل وجب ترك النظر في الكل،وأن تعرف العلة والسبب فيما يمكنك معرفة ذلك فيه،وإن قل ّ فتجعله شاهدا فيما لا تعرف أخرى من أن تسد باب المعرفة على نفسك،وتأخذ عن الفهم والتفهم،وتعودها الكسل والهوينى"[3] ففي النص الأخير يؤكد الجرجاني على تحري المعرفة،والمعرفة مجملا لا تكون إلا بمعرفة الأسباب التي عليها تبنى الأحكام النقدية،فهو"انتهى في منهجه إلى تأسيس نظرية النظم على المرتكزات موضوعية في دراسته العلمية التي اعتمدت على المنطق اللغوي من ألفاظ وحروف ومعان على الاستدلالات الحسية في ربط الأسباب بالمسببات عن طريق التطبيق لمختلف النصوص الأدبية واللغوية بالتحليل لعناصر الشعر والنثر والتفسير للآيات القرآنية"[4].

وهذا نموذج من دلائل الإعجاز يوضح الكيفية التي كان يتعامل بها عبد القاهر الجرجاني في الانطلاق من الأسباب للوصول إلى النتائج إذ يقول:"إنّه رأى المعاني في النفس،وجرت العادة بأن تكون المعاملة مع الألفاظ فيقال:"قد نظم ألفاظا فأحسن نظامها،وألّف كلما فأجاد تأليفها،جعل الألفاظ الأصل في النظم

[1] - المرجع نفسه ،ص:401.

[2] - د:أحمد علي الدهمان،الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، ص:401.

[3] - المرجع نفسه، ص:292

[4] -د:محمد عباس،الإبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني ص:65.

وجعله يتوخى فيها أنفسها وترك أن يفكر في الذي بيناه.."[1] ويمكن أن نوضح هذه الطريقة في الاستقراء التي تقوم على الأسباب .

العلل:

1-إنّه لما رأى المعاني لا تتجلى للسامع إلا من الألفاظ .

2-وكان لا يوافق على الأمور التي بتوخيها يكون"النظم"إلا بأن ينظر إلى الألفاظ...

3-وجرت العادة بأن تكون المعاملة مع الألفاظ فيقال:قد نظم ألفاظا فأحسن

النتائج:

1-جعل الألفاظ الأصل في "النظم"

2- وجعل يتوخى فيها أنفسها .

3-وترك أن يفكر في الذي بناه.

فهو بهذه الطريقة الاستقرائية وقف على الأسباب التي من اجلها دخلت الشبهة في تفضيل اللفظ عن المعنى ليستنتج من خلال هذه الأسباب نتائج حتمية لابد أن تلازم هذه الأسباب.

ولأخذ نموذج آخر من أسرار البلاغة يستدل فيه عبد القاهر بنفس الطريقة حيث يقول:"واعلم أن إذا أمعنا النظر، وجدنا المنقول من أجل التشبيه على المبالغة، أحقّ أن يوصف بالاستعارة من طريق المعنى بيان ذلك أنا لا نعلم لا يزول عن المستعار، واستحقاقه إيّاه لا يرتفع، فالعارية إنّما كانت عارية لأن يد المستعير يد عليها"[2].

ويمكن توضيح هذه الطريقة الاستقرائية بهذا المخطط.

الأسباب أو العلل :

1-أن ملك المعير لا يزول عن المستعار.

[1] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص:360.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص:402،ص:403.

2-واستحقاقه إيّاه لا يرتفع.

3-فالعارية إنما كانت عارية، لأنّ يد المستعير عليها.

النتائج: المنقول من أجل التشبيه على المبالغة، أحق بأن يوصف بالاستعارة من طريق المعنى.

فهو في النموذج الأخير يقف على الأسباب التي من أجلها استحق التشبيه على المبالغة بأن يسمي الاستعارة.

ج- 2-طريقة السببية والاطراد: من بين أهم طرق الاستقراء حيث "أنّ الأسباب والعلل المتشابهة نتج عنها مسببات ومعلومات متشابهة"[1] أي أن نفس الأسباب تؤدي حتما إلى نفس النتائج مثل قولنا: كلما رمي شيء في النارفإنّ النار ستحرقه لا محالة ضمن قوانين"السببية والإطرا د"

وهذا القانون كثيرا ما يلجأ إليه عبد القاهر للاستدلال على آرائه،نأخذ

هذا النموذج من دلائل الإعجاز:

يتوافق مع هذا القانون:عندما يستدل"الجرجاني"على أن المزية والفضل ترجع إلى المعنى في كل كلام دخل ضمن ما يسمى بالفصاحة أو البلاغة أو البيان أو البراعة فهو يقول:"ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجرها، مما يفرد اللفظ بالنعت والصفة،وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى،غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة،ثم تبرجها في صورة .."[2]

الإطراد←هذه العبارات وسائر ما يجرى مجراها.

النتيجة←لا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديبه.

كما تظهر هذه الطريقة من الاستقراء في:

النموذج التالي: المأخوذ من أسرار البلاغة :

[1] - حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص:196،ص:197.

[2] - عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز ،ص:43.

عندما يستدل على أن التجنيس ليس من أولويات البلاغة وسبب يرجع في نظره إلى المعان التي لها حق المزية.

بينما الألفاظ تابعة لها.وهذا السبب الذي جعل المتقدمون لا يأبهون كثيرا للتجنيس

في قوله:"وذلك أن المعاني والصرفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة سياستها المستحقة طاعتها فمن نصر الألفاظ على المعنى كان كمن أزال الشيء...ولهذه الحالة كان كلام المتقدمين الذين تركوا أفضل العناية بالسجع "[1]

والمخطط التالي يبين لنا ما بني عليه هذا الاستدلال:

1-**العلة أو السبب**:الألفاظ هدم المعاني والمصرفة في حكمها وكانت المعاني هي..

2-**الإطراء**:لهذه الحالة كان كلام المتقدمين الذين تركوا أفضل العناية بالسجع.

3-**النتيجة**:المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه.

وهناك طرق أخرى للاستقراء لكنها تعتمد على قانون السببية .

ج-4-**النظر في الاتفاق**:وهذه الطريقة من أنواع الاستقراء المباشر وهو "التلازم في الوقوع "إذا وجد وجد"[2].

المثال الأول: مأخوذ من دلائل الإعجاز

يمثل هذه الطريقة في الاستقراء عندما يبين أحكام التشبيه

في قوله:وإظهر ّحت بالتشبيه فقلت :"رأيت رجلا كالأسد"قد أثبتها إثبات الشيء يترجح بين أن يكون وبين أن لا يكون "[3].

فقد تلازم في هذا الاستدلال أن تتفق أسباب التصريح بالتشبيه مع إثبات الترجيح.

كما يمكن أن نوضح هذا الطريقة بـ:

[1]- عبد القاهر الجرجاني،، أسرار البلاغة ،ص:08.

[2]- حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص:211.

[3]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز ، ص:72ص:73.

المثال الثاني:مأخوذ من أسرار البلاغة

عندما يستدل على تنزيل الموجود منزلة العدم إذ يقول:"وإذا ثبت هذا في نفس الوجود والعدم،ثبتفي كل ما كان على طريق تنزيل الصفة الموجودة كأنّها غير موجودة"[1]

ج-5-**النظر في الاختلاف**:هذه الطريقة كذلك نوع من أنواع الاستقراء المباشر وهو التلازم في التخلف في الوقوع .

ويمكن أن يوضح لنا هذا النموذج من دلائل الإعجازهذه الطريقة بوضوح إذ يقول الجرجاني "ولو أنّه لم يكن فهم الشمول من لفظ "لقوم"ولا كان هو من موجبه، لم يكن "كل"تأكيدا"[2] فقد بين عبد القاهر في هذا المثال انه تلازم التخلق بين أن يفهم من القوم الشمول مع عدم أن توضع "كل"للتأكيد.

وكذلك يمكن أن نوضح طريق الاختلاف بهذا النموذج من أسرار البلاغة عندما يستدل عبد القاهر الجرجاني عن التعبير عن نقص الصفة بوجود ضدها حيث يقول:"عبر عن نقصها باسم ضدها،فجعلت الحياة العارية من فضيلة العلم والقدرة"موتا"والبصر والسمع إذا لم ينتفع صاحبها بما يسمع ويبصر فلم يفهم معنى المسموع ولم يعتبر بالبصر"[3] حيث تلازم التخلف الذي لم ينتفع بما يسمع ويبصر مع من لم يفهم المعنى مع من لاسمع و لابصر .

ج-6- طريقة النظر في الاتفاق والاختلاف: وتكون هذه الطريقة في "التلازم بين الوقوع والتخلف(إذا وجد وجد وإذا لم يوجد لم يوجد)"[4].

ويمكن أن نمثل هذه الطريقة في النظر بهذا.

المثل الأول: مأخوذ من دلائل الإعجاز

عندما يستدل عبد القاهر على أن "الذي"تأتي بعدها أيضا جملة غير معلومة للسامع في قوله.

[1] _ عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،87.

[2] - المصدر نفسه،ص:230

[3] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص:78.

[4] - حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص:211.

"فإن قلت:قد يؤتى بعد "الذي" بالجملة غير المعلومة للسامع، وذلك حيث يكون"الذي"خبرا كقولك:"هذا الذي كان عندك بالأمس وهذا الذي قدم رسولا من الحضرة أنت في هذا وشبه تعلم المخاطب أمرا لم يسبق له به علم،وتفيده في المشار إليه شيئا لم يكن عنده، ولو لم يكن كذلك، لم يكن "الذي"خبرا"[1]ففي النموذج نجد أنه تلازم الاتفاق قبل أنه يأتي بعد الذي جملة غير المعلومة للسامع إذا كان "الذي"خبرا وفي نفس الوقت يكون أن يلازم الاختلاف بين أن لا تقول أن ما لا يأتي بعد الذي ليس معلوما للسامع إذا لم يكن الذي خبرا.

كما يمكننا أن يوضح هذه الطريقة

المثال الثاني :مأخوذ من أسرار البلاغة

عندما يستدل الجرجاني لاستعارة الفعل في قوله:"فقال لي :كأنك لم تفهم ما قلت،إني لأعرف في عيني الرجل إذا عرف وأعرف فيما إذا أنكر،و أعرف إذا لم يعرف ولم ينكر"[2]

ففي هذا النموذج يتضح لنا أنه تلازم الاتفاق بين أن يعرف الرجل هذا من عين صاحبه إذا عرف ويعرف إذا أنكر كما يتلازم عنده أن يعرف منه إذا لم يعرف ولم ينكر.

ج_7_طريقة التغيير النسبي: ويقصد بها "المقارنة بين حالات متعددة بالقرار الكافي يعرض فيها الطرق المعروفة بدرجات متنوعة،ويجب أن تعرض هذه الأحوال ظرفا آخر يتغير تغيرا كميا وتكون تغيراته متناسبة مع تغيرات الحالة الأولى" [3] .

المثل الأول: مأخوذ من أسرار البلاغة

يوضح لنا هذه الطريقة أحسن توضيح إذ يقول الجرجاني:"وذلك أن الغراب وكل طائر إذا كان واقعا هادئا في مكان،فأزعج وأخيف وأطير منه،أو كان قد حبس في يد أو قفص فأرسل،كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه وأعجل وأمد له وأبعد لأمده...وليس كذلك إذا طار عن اختيار،لأنه يجوز حينئذ أن يصير

[1] -عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص:200.

[2] - عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،ص:52.

[3] - جوزيف دوب، جوزيف دوب،مبادئ المنطق الصوري (القديم و الحديث)، ص:352.

إلى مكـان قريـب مـن مكانـه الأول،وأن يسـرع في طيرانـه،بل يمضـي علـى يمينـه،ويتحرك حركـة غـير المستعجل"[1].

ويمكن أن نوضح هذا النموذج بهذا المخطط المنطقي .

كلما أزعج الطائر وأخيف ← كان أسرع في طيرانه وأعجل وأمد وأبعد .

السبب النتيجة.

و كلما طار اختيار منه ← كان أقل سرعة وصار إلى مكان قريب ويتحرك يبطئ.

السبب النتيجة.

المثال الثاني : مأخوذ من دلائل الإعجاز

وبنفس الطريقة يستدل عبد القاهر في دلائل الإعجاز عن بيان استعمال اللفظ والمراد به دلالة المعنى في قوله:"وجملة الأمر أنّـه إنمّـا يتصور أن يكون المعنى أسرع فهما منه لمعنى آخر،إذا كان ذلك مما يدرك بالفكر،وإذا كان مما يتجدد له العلم به عند سمعه للكلام.وذلك محال في دلالات الألفاظ اللغوية،لأن طريقة معرفتهما التوقف والتقدم بالتعريف"[2].

والمخطط التالي يمثل هذا النموذج:

إذا كان المعنى يدرك بالفكر ويتجدد بالعلم ← كان المعنى أسرع على الفهم.

السبب النتيجة.

إذا كان المعنى يدرك بالتوفيق والتقدم بالتعريف ← كان في الدلالات اللغوية أبطئ.

السبب النتيجة.

ج_8_ النظر في البواقي : ويقصد بها أن" تستخدم هذه الطريقة إذا كانت الظاهرة مجزأة إلى عدة أجزاء،وكانت هذه الأجزاء أسباب بعدها،وعرف الباحث علاقة بعض الأجزاء الظاهرة بأسبابها،فإذا

[1] - عبد القاهر، أسرار البلاغة ،ص:178.

[2] - عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،ص:267.

اعلق كل جزء بسببه المعروف لديه ولم يبق أخيرا إلا جزء واحد فأنه يستطيع أن يعلقه بالسبب الباقي"[1] بمعنى أن يربط الباحث كل علة بمعلولها وإذا بقي سبب واحد ربطه بالنتيجة الباقية،فهي تعرض حالة متقدمة من العلم فعندما تسمح القوانين المعروفة بالتنبؤ بواقعة ولاسيما بحسابها"[2]

النموذج التالي :مأخوذ من دلائل الإعجاز

عندما يستدل عبد القاهر عن أن زهد بعض الناس عن معرفة قواعد النحو واحتقارهم لها ما هو إلا عناد منهم في قوله:"وهكذا ينبغي أن تعرض عليهم الأبواب كلها..ليس إلا أحد أمرين:إما أن تقتحموا التي لا يرضاها العاقل،فتنكروا أن يكون بكم حاجة في كتاب الله تعالى، وفي خبر رسول الله -ρ -وفي معرفة الكلام جملة إلى شيء من ذلك،وتزعموا أنكم إذا عرفتم مثلا أن الفاعل رفع، لم يبق عليكم في باب الفاعل شيء تحتاجون معرفته،وإذا نظرتم إلى قولنا:"زيد منطلق" لم تحتاجوا من بعده إلى شيء تعلمون في الابتداء والخبر،وحتى تزعموا مثلا أنكم لا تحتاجون في أن تعرفوا وجه الرفع في "الصائبون" من صورة "المائدة"إلى ما قاله العلماء فيه،وإلى استشهادهم فيه بقول الشاعر:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم.:بغاة ما بقينا في شقاق

كأنكم قد أوتيتم أن تستنبطوا من المسألة الواحدة من كل باب مسائله كلّها فتخرجوا إلى فن من التجاهل لا يبقى معه كلام.وإمّا أن تعلموا أنّكم أخطأتم حين أصغرتم أمر هذا العلم وظننتم"[3].

والمخطط التالي يوضح هذا النوع من الاستقراء:

تنكروا أن يكون بكم حاجة في كتاب الله تعالى... ← تقتحموا التي يرضاها العاقل

العلة المعلول

تزعموا أنكم إذا عرفتم مثلا أن الفاعل رفع.... .. ← لم يبق عليكم في باب الفاعل شيء ...

العلة. المعلول.

[1] - حنبكة الميداني،ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص:223.

[2] -جوزيف دوب،مبادئ المنطق الصوري القديم والحديث،ص:354.

[3] - عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص:32.

وإذا نظرتم إلى قولنا "زيد منطلق"و الخبر← لم تحتاجوا من بعده شيء تعلمونه في الابتداء

العلة. المعلول.

وقيت علة أخرى لديهم ليس لها من معلول إلا ما استنتجه عبد القاهر وهو أنّه لا يعنيكم ذلك لأمر ولا يمثل مشكلا لديكم.

وحتى تزعمون مثلا أنكم لا تحتاجون... وحتى أن المشكل على الجميع غير مشكل عندكم ...

العلة. المعلول.

ج_9_دوران العلة على المعلول:

حيث يصبح في هذه الطريقة"المقدم "هو شرط كاف لحصول التالي"[1] أي إذا كان أ يلزم ب فإن ب تلزم أ.

النموذج التالي : مأخوذ من دلائل الإعجاز

يمثل هذه الطريقة عندما يستدل عبد القاهر على عواقب من يعجبه رأيه مع أنّه مخطأ فيقول عندها عبد القاهر بلسانهم"زدّ وا عليك مثله وقالوا:"لا بل قرائحنا اصح ونظرنا أصدق،وحسبنا أذكى،وإنمّا الآفة فيكم لأنّكم خيلتم إلى أنفسكم أمورا لا حاصل لها،وأوهمكم الهوى والميل أن توجبوا لأحد النظامين المتساويين فضلا على الآخر."[2]

أ يلزم ب	ب يلزم أ
رأينا صحيح يلزم لأن قرائحنا أصح ونظرنا أصدق.	الآفة فيكم يلزم خيلتم إلى أنفسكم أمورا لا حاصل لها.

النموذج التالي:مأخوذ من أسرار البلاغة .

[1] -طه عبد الرحمان،التكوثر العقلي ،ص:396.

[2] - عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،ص:550.

يوضح هذه الطريقة في الاستقراء عندما يستدل على اختلاف الكلام وبيان كيف أن المعاني تختلف وتتفق في قوله"وإنّ الكلام ما هو...كالمصنوعات العجيبة من مواد غير شريفة فلها ما دامت الصورة محفوظة عليها لم تنقض،واثر الصنعة باقيا معها لم يبطل قيمة تعلو ومنزلة تعلو، وللرغبات أليها انصباب،وللنفوس بها إعجاب، حتى إذا طالت الأيام فيها أصحابها،وضاعت المحادثات أو بابها،وحيث فيما لما يسلبها حسنها المكتسب بالصنعة وجمالها المستفاد من طريق العرض،فلم يبق إلا عادة المادة العارية من التصوير"[1].

ويمكن أن نمثل هذا الاستقراء بالمخطط التالي:

أ يلزم ب	ب يلزم أ
الموضوعات العجيبة من مواد غير شريفة←الصورة محفوظة عليها لم تنتقض.	إذا فجئتم فيها بما يسلب حسنها المكتسب بالصنعة← لم يبق إلا المادة من التصوير.

ج-10_طريقة السبر والتقسيم: لقد شاع استعمال هذا النوع من الاستقراء لدى علماء الأصول وكذا علماء الكلام"وهي تمثل في أن يضع المرء عدة فروض،اثنين فصاعدا ثم يعمد إلى بيان فسادهما جميعا ليبطل الأساس الذي قامت عليه،أو على فسادها ما عاد واحد منها ليثبت أنه الغرض الوحيد المقبول"[2].

النموذج التالي :مأخوذ من دلائل الإعجاز

يوضح هذه الطريقة عندما يرد عبد القاهر على الذين يدعون أن الفصاحة تختص باللفظ وتلاؤم الحروف حين يقول:

"والذي يبطل هذه الشبهة،إن ذهب إليها ذاهب،أنّا عن قصرنا صفة "الفصاحة"على كون اللفظ كذلك ..لم نحل من أحد الأمرين:إمّا أن نجعله العمدة في المفاضلة بين العبارتين ولا نعرج على غيره،و أن نجعله أحد ما نفاضل به..فإن أخذنا بالأول،لزمنا أن نقصر الفضيلة عليه حتى لا يكون للمعاني التي ذكر وما

[1] - المصدر نفسه،ص:26.

[2] - حسن محمود الشافعي،المدخل إلى دراسة علم الكلام،ص:181.

في حدود البلاغة ..وإن أخذنا بالثاني،وهو أن يكون تلاؤم الحروف وفيها من وجود الفضيلة ... لم يكن لهذا الخلاف ضرر علينا لأنه ليس بأكثر من أن نعمد على "الفصاحة"فنخرجها من حيز "البلاغة"[1].

والمخطط التالي يمكن أن يوضح هذه الطريقة أحسن توضيح:

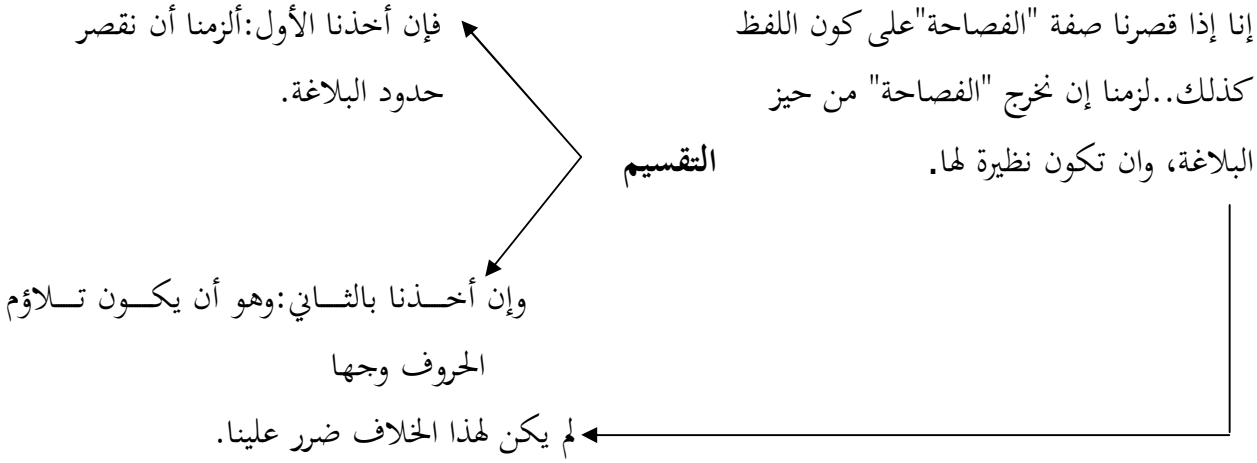

السبر

في هذا النموذج يقسم عبد القاهر "الفصاحة"التي تنحصر في اللفظ إلى أن تقتصر البلاغة عليها وهذا مردودا لأن المعاني تتميز كذلك بالبلاغة وإمّا أن تخرجها من دائرة البلاغة هذا اعتبر عبد القاهر قد يكون مقبولا إذا وفق الحكم على ذلك ويستدل بهذه الطريقة في النموذج المأخوذ من أسرار البلاغة،حين يستدل على أن للوصف الطبيعي مستفاد من الممدوح إذ يقول:"ولهم فيها عبارات منها قولهم:"إنّ الشمس تستعير منه النور وتستفيد،أو تتعلم منه الإشراق وتكتسب منه الإضاءة" وألطف ذلك أن يقال:"تسرق"و"أن نورها مسروق من الممدوح"[2].

ويمكن أن نوضح هذا النموذج بهذا المخطط:

[1] -الدلائل عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز ،ص:58،ص:59.

[2] - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص:277.

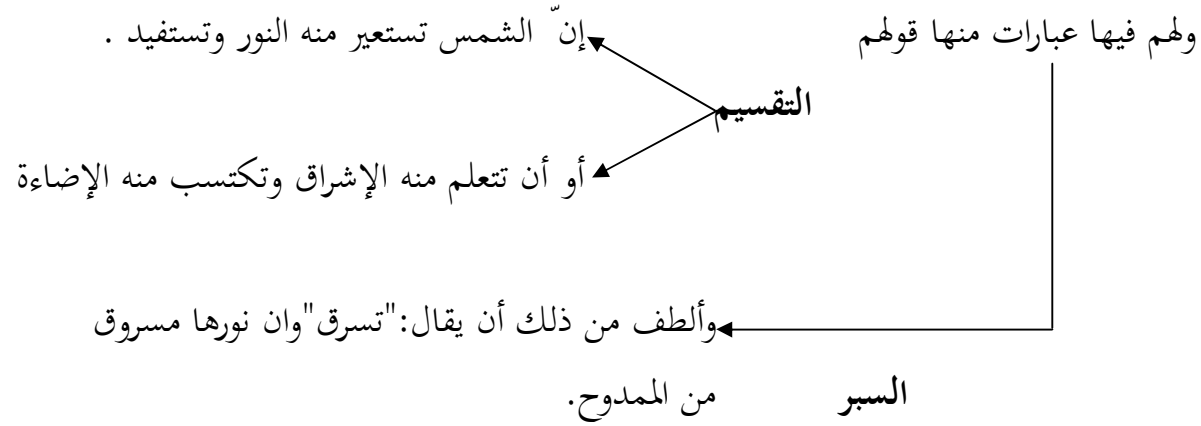

2_الاستدلال الشبه منطقي:

ونجد أن عبد القاهر كثيرا ما يلجأ إلى بعض الاستدلالات الحجاجية كلما لزم الأمر إلى ذلك .

2-1-طريقة التسلسل والتتابع :

هذا النوع من الاستدلال الاستقرائي يعتبر من أهم الاستدلالات الحجاجية لما يفرضه على المخاطب من تسلسل في النتائج فهو" يعتمد على مبدأ التراكم،ويظهر حين تعد المقدمات التي تترابط في عدد غير محدود"[1] هذا الترابط يكون في نسق "المتوالية الاستدلالية الأصلية قد تشتمل متواليات استدلالية فرعية بحيث تكون إحدى المقدمات الأصلية موضع استنتاج من مقدمة أو مقدمات فرعية"[2] وفيه تتوالد المقدمات من النتائج "والأصل في هذا القانون الحجاجي هو قاعدة تخاطبية مقتضاها أن المتكلم يخبر المخاطب بأقصى ما يمكن من الفائدة"[3].

وتكون هذه العلاقة بين هذه النتائج و المقدمات علاقة تلازمية تتابعية .

النموذج التالي: من دلائل الإعجاز يوضح هذه الطريقة عندما يستدل عبد القاهر عن المواضع الذي يجب فيها التقديم والتأخير في الاستفهام والخبر حيثيقول:"واعلم أنّ معك دستورا لك فيه،إن تأملت،غنى عن كل سواه،وهو أنّه لا يجوز أن يكون لنظم الكلام وترتيب أجزائه في "الاستفهام "معنى

[1] -محمد طروس،النظرية الحجاجية،ص:24.

[2] - طه عبد الرحمان، التكوثر العقلي،ص:388.

[3] - المرجع نفسه ،ص:397.

لا يكون له ذلك المعنى في "الخبر"وذاك "الاستفهام"استخبار والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك،فإن كان كذلك،كان محالا أن يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام "[1].

ويمكن أن نكتب هذه المتوالية الاستدلالية على الشكل الهندسي التالي حتى نوضح عملية التوالد والتتابع.

لا يجوز أن يكون

لنظم الكلام معني

معنى الاستفهام ← لا يكون له ذلك المعنى في الخبر

معنى الخبر ← وذلك أن الاستفهام استخبار

والاستخبار ← هو طلب من المخاطب إن يخبرك.

فإن كان كذلك ← كان محالا أن يفترق الحال .....

2-2-تقديم النتائج على المقدمات :قد سبق وأن عرفنا أن القاعدة في الاستدلال تحكم أن تتقدم المقدمات وتستنتج من خلالها النتائج أي أننا نقوم بتجزئة عناصر الموضوع وتحليله حتى نصل إلى الأسباب التي حصلت من أجلها هذه النتائج "فهو إذن عملية فكرية تجريدية يقوم بها الباحث للوصول إلى أجزاء المعنى المركب من عدّة معان"[2].

وقد لجأ عبد القاهر الجرجاني كثيرا إلى هذا النوع من الاستدلال الحجاجي إذ ينطلق من النتيجة ليستنتج منها المقدمات والملابسات التي فرضت هذه النتيجة مثل قوله:"فإذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك،ووجدت لها اهتزازا في نفسك،فعد فانظر في السبب واستقص في النظر،فإنك تعلم ضرورة أن ليس

[1] - عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز ،ص:140.

[2]- حنبكة الميداني،ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص:140.

إلا أنّ قدم وأخّر ونكّر،وحذف وأضمر،وأعاد وكرّر وتوخّى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها"علم النحو"فأصاب في ذلك كله،ثم لطّف موضع صوابه،وأتى مأتى يوجب الفضيلة"[1].

ويمكن أن نمثل هذا النموذج بهذا المخطط:

النتيجة: إذا رأيتها راقتك وكثرت عندك ووجدت لها اهتزازا.

المقدمات :

1-أنه قدّم وأخّر.

2-عرّف ونكّر.

3-حذف واضمر.

4-أعاد وكرر.

5-توخى على الجملة وجها من وجوه التي يقتضيها"علم النحو".

6-ثم لطف موضع صوابه، وأتى مأتى يوجب الفضيلة.

ومن المفروض في الاستدلال المنطقي أن ننطلق من المقدمات للوصول إلى النتيجة،ولعل عبد القاهر استثمر هذا النوع من الاستدلال في خطابه حتى يمكن المخاطب من ترسيخ الحكم لديه وبيان أهميته عندما بدأ وحتّى يجعل المخاطب يشاركه في التحليل والوقوف على الأسباب.

ونجد "عبد القاهر" يستدل بنفس الطريقة في موضع آخر من أسرار البلاغة، حين يستدل على أن التجنيس لا يستحسن إلاّ مع المعنى إذ يقول " أماّ "التجنيس" فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلاّ إذا كان موقع معنييها من العقل موقعا حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا "[2]

ويمثل هذا النموذج بهذا المخطط حتى يتوضّح أكثر :

[1] - عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز ،ص:25.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،ص:07.

النتيجة : أما "التجنيس" فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين.

↓

المقدّمات:

1- إذا كان موقع معنييها من العقل موقعا حميدا

2- ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا.

2-3-الآليات الاستدلالية الاعتراضية إنّ مشروع الجرجاني كان يهدف في الأساس الدفاع على مبادئ ومعتقدات دينية كان يؤمن بها، حيث كان يحتل موقع الهجوم والدفاع في نفس الوقت، فعمله موجه إلى من ألبسوا الدين معتقدات خاطئة، قد تهدم العقيدة الإسلامية بأكملها في تصوره بينما دفاعه كان حول ما ترسخ في نظره وتوصل إليه بدراسته، لذا فإننا كثيرا ما يتراءى لنا أن عبد القاهر وكأنه داخل مناظرة يجادل فيها خصما، مستثمرا كل قواعد المناظرة من نقض واستعراض الحجج الفاسدة، وتقديم اعتراضات الخصم والتهويل والتشنيع بآراء خصومه[1]

أ- النقض: أو ما يسمى بالتفنيد، "وهي عملية منطقية، تهدف إلى نسف البرهان عن طريق إثبات الأطروحة المعنية أو كونها غير مبرهنة "[2]

وهذا النوع من الاستدلالات الاعتراضية نجد بشكل كبير جدا في كتابي الجرجاني، نذكر على سبيل الاستدلال

النموذج التالي :مأخوذ من دلائل الإعجاز

عندما يرد الجرجاني عن من ذم الشعر. حيث يقول " أماّ من زعم أن ذمة له من أجل ما يجد فيه من هزل وسخف....فينبغي أن يذم الكلام كله، وأن يفصل الخرس على النطق، والذي زعم أنه ذم الشعر من أجله وعاداه بسببه فيه أكثر ؛ لأن الشعراء في كل عصر وزمان معدودون والعامة ومن لا يقول الشعر من الخاصة عديد الرمل، ونحن نعلم أن لو كان منثور الكلام كما يجمع المنظوم، ثم عمد عامد فجمع ما قيل من جنس الهزل والسخف نثرا في عصر واحد لأربى على جميع ما قاله الشعراء نظما

[1] - ينظر،حنبكة الميداني،ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص:427.

[2]- ألكسندرا غيتاتوفا،علم المنطق، ص: 286

في الأزمان الكثيرة، ولغمره حتى لا يظهر فيه"[1]

ومن خلال هذا التفصيل يتبين هذا الاستدلال أكثر.

حجج الخصم	الحجج المفندة = الناقضة
1-أن ذمة له من أجل ما يجد فيه من هزل وسخف وكذب وباطل	1- فينبغي أن يذم الكلام كله، وأن يفصل الخرس على النطق
2-ذم الشعر من أجله (السخف والهزل) وعاد بسببه فيه أكثر	2-الشعراء في كل عصر وزمان معدودون. -العامة ومن لا يقول الشعر من الخاصة عديد الرمل. -إذا كان المنتور يجمع كما يجمع المنظوم وعمد أحدهم يريد جمع ما في النثر من سخف وهزل لأربى على كل ما قاله الشعراء، ولغمره حتى لا يظهر فيه.

ب- **تقدير اعتراضات الخصم** : عبد القاهر الجرجاني يعتبر مشروعه كأنه يؤلف في الجدل المناظرة حيث "يتصور مناظرة بينه وبين خصم، يكون فيها هو المتكلم الوحيد، يعرض من حجج الخصم ما يلائمه ويساعده على تدعيم حججه وإبراز قوتها "[2]، فهو يطرح حججه بعد أن يقيم دعوى يدعيها هو على لسان خصومه، ويمكن أن نلاحظ هذه الاستدلالات كلما وجدنا خطابا يتضمن العبارات الجدلية التالية إذ قالوا...قلنا، وإذ زعم أحدهم .....كان ردنا عليه كذلك ونحو ذلك مماّ يكثر في خطاب الجرجاني نذكر بعض الأمثلة على سبيل الذكر لا على سبيل الحصر قوله في دلائل الإعجاز :

[1]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز ،ص:11، ص: 12.

[2]- د : حسن الصديق المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص : 213، ص: 214 .

" فقيل لنا: قد سمعنا ما قلتم، فاخبرونا عنهم "[1] وكذلك قوله "فإن قلتم عن الألفاظ...." فقلنا: "أعجزتم مزايا ظهرت" [2]، وكذلك قوله" وتزعمون أنكم إذا عرفتم مثلا أن الفاعل....وإذا نظرتم إلى قولنا "زيد منطلق" لم تحتاجوا من بعده إلى شيء..."[3]

وكذلك نجدها كثير في كتابه " أسرار البلاغة" مثلا قوله:"إن قال قائل:إن تنزيل الوجود منزلة العدم.... لم يكن ذلك تشبيها "[4]، وكذلك قوله" ومن هذا الباب قولهم.....وكذلك قولهم"[5]، وكذلك قوله "فإن قلت : المجاز على أقسام، و الزيادة من أحدهما. قيل:هذا إذا حددت المجاز بحد تدخل الزيادة فيه"[6]

ج-الشواهد والأدلة الجاهزة:

عبد القاهر الجرجاني لا يكد يخطو خطوة في مشروعه الذي يظم كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" إلاّ ويأتي بدليل أو شاهد يقوي به دليله العقلي وهو يتبع كثيرا ما يتبع نظام التدرج في ذكر الشواهد حيث يبدأ بذكر الشاهد من القرآن الكريم أو أكثر ثم يتبعه بالشاهد من الحديث النبوي، إذ يعتبر هذا النوع من أقوى الشواهد الجاهزة التي لا تجد لها معارضا إلاّ جاحدا،كما أنه كثيرا ما يعمد إلى الشواهد الشعرية، كما أنه غلب عليه الاستشهاد بما ورد في كتب البيان والبلاغة أو كتب النحو العربي، بل أنه يتخذ كذلك من المثل و المأثور من كلام العرب خاصة كانوا أو عامة ليستدل بهم على رأيه،فهو بذلك استجمع كل ما يمكّنه من أن يصل إلى بغيته في تحقيق الدليل على الإعجاز القرآني، لذا جاءت شواهد متنوعة.

ج-1-الشاهد بالقرآن:

يأخذ الشاهد القرآني سواء في دلائل الإعجاز أو في أسرار البلاغة السلطة الأقوى في إفحام الخصم وتقرير الحكم، وفصل للخطاب، وهذا الشاهد يعطي للنص الجرجاني المصداقية التي يتطلبها

[1]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز ص:39.
[2]- المصدر نفسه، ص: 39
[3]- المصدر نفسه ص:31.
[4]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،ص:87.
[5]- المصدر نفسه، ص:106.
[6]- المصدر نفسه، ص:418.

البرهان. فنجده تارة يستدل به دون تعليق وتارة أخرى يستدل به ويقوم بتحليل النص القرآني والتفسير والوقوف على دلائله، كما يعمد كثيرا إلى مقارنة قرآنية بآية أخرى حتى يصل إلى الحكم النهائي.

مثال ذلك مع قوله تعالى" الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون"[1] وبين قوله:"إنما نحن مستهزئون"[2]

فيما يستدل في كتابه دلائل الإعجاز على الجملة التي يظهر فيها وجوب العطف ثم يترك ذلك العارض[3]، كما أنه قد نجده يضرب الأمثلة من القرآن واحدا تلوى الآخر حتى يكون دليله أقوى وأثبت مثل ذلك ما ورد في أسرار البلاغة عن الاستدلال للمجاز العقلي في القرآن [4].

ج-2-الشاهد بالحديث: فهذا النوع من الشواهد كثيرا ما يرجع إليها عبد القادر لأنّه يعتبر من بين أهم دلائل الإعجاز النصية التي لها سلطة على المسلم و يعتبر ما استدل به الجرجاني في مسألة فضل الشعر في معرفة حقيقة الإعجاز من أحاديث الرسول(صلى الله عليه وسلم) من أقوى الأدلة على الإطلاق ردا على الذين نفوا الشعر ونبذوه بحجة أن الرسول ذمه وحذر من روايته إذ يقول: "وكيف رويت" لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا فيروي به، خير له من أن يمتلئ شعرا ولهجت به، وتركت قوله" صلى الله عليه وسلم " إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا وكيف نسيت أمره صلى الله عليه وسلم يقول الشعر ووعده عليه الجنة، وقوله لحسان "قل وروح القدس معك " وسماعه له...." [5]

فهو في هذا النص يرد حديث احتج به خصومه ويرد عليهم بحديثين للرسول (صلى الله عليه وسلم) فهو بذلك يرد بدليل من نفس جنس ما احتج به خصومه ويزيد عليهم في العدد حتى تكون حجته أقوى، ذات سلطة دينية وعقلية في نفس الوقت.

---

[1]- الآية 15 سورة البقرة.

[2]- الآية 14 سورة البقرة.

[3] - ينظر،عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز،ص:131.

[4] - ينظر،المصدر نفسه، ص: 286.

[5]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص: 16، ص: 17.

ج- 3-الشاهد بالشعر:

لقد كان عبد القادر الجرجاني يعي أن الشعر العربي يشكل المادة الخام التي ترتكز عليها كل العلوم العربية، فقد "كان فيه الحق والصدق والحكمة وفصل الخطاب، وأن كان مجني ثمر العقول والألباب، ومجتمع فرق الآداب، والذي قيّد على النّاس المعاني الشريفة، وأفادهم الفوائد الجليلة، وترسل بين الماضي والغابر، ينقل مكارم الأخلاق إلى الولد عن الوالد...وترى كل من رام الأدب، وابتغى الشرف، وطلب محاسن القول والفعل منارا مرفوع، وعلما منصوبا، وهاديا مرشدا...."[1].

والشاهد الشعري لدى الجرجاني اتخذ أشكالا متنوعة ووظائف مختلفة.

فهو يورده تارة كدليل يستدل به على مسائل بلاغية على شكل مقدمات يقوم بتحليلها وشرحها واستنباط الأحكام منها أو على شكل ذكر الأمثلة يقوي بها أدلة عقلية أو أدلة لغوية.

ولعل أهم شاهد شعري قام الجرجاني بتحليله والوقوف على جزئيات دلالاته موظفا فيه كل معارفه السابقة: أبيات امرؤ القيس التي سبق وأن بينا. كيف أن "ابن قتيبة" استهجنها و رأى أن الشاعر لم يأت فيها بمعنى جديد ولم يفصل في هذا النقد كثيرا ولاحظنا أن "العسكري" استجادها لكنه لم يذكر سببا واحدا لذلك فعبد القاهر يرد أبيات امرئ القيس ليستدل أن الاستعارة التي أثنوا عليها من جهة اللفظ خطأ جسيم[1]ويذهب عندها إلى تحليل الأبيات شطرا شطرا يستخرج منها كل استعارة وتشبيه ويشرح كل واحدة على حدة، يتوقف عند كل دلالة ويبين مكان الحسن فيها، وأثر ذلك على نفس المتلقي مثل قوله في ذلك :" ثم قال "بأعناق المطي" ولم يقل "بالمطي" ؛لأن السرعة والبطء يظهران غالبا في أعناقها، ويبين أمرهما من هواديها وصدورها، وسائر أجزائها تستند إليها في الحركة وتتبعها في الثقل والخفة..."[2]

فهو بذلك يبني بينه وبينه العربي طريقا إلى الإقناع لما يحتله الشعر من مكانة مرجعية سلطوية في نفس المتلقي والذي ترسخ في ذهنه أن القرآن لم يخرج عن الأساليب العربية في شيء، لذا يمكن أن يتبين على أي أساس بنى عبد القاهر مشروعه النقدي البلاغي.

---

[1]– ينظر،عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص: 15،ص: 16.

[2]– المصدر نفسه، ص:21 إلى ص: 23.

ج-4-الشاهد باللغة:

تعتبر الشواهد اللغوية التي اعتمد عليها الجرجاني من أقوى الشواهد التي تثبت "نظرية النظم" ؛لأن على أساس ترتيب معاني النحو تترتب المعاني في النفس، وهذا ما جعله يعتمد على الشواهد النحوية والمعجمية على حد السواء ولا يمكنه أن يستغني عن ذلك. فهذا النوع من الشاهد يعتبر عند الجرجاني من الضروريات وإلا بطلت نظريته، فهدفه كله إثبات نظرية النظم، وهذا ما جعل هذا الشاهد نقطة أساسية يرتكز عليها خطابه البرهاني الذي لا يقوم إلاّ على مقدمات يقينية،تتناهى في الدقة وهذا ما تجسده القاعدة النحوية.

ونذكر على سبيل المثال قوله:"القول على فروق في الخبرلو ّ ل ما ينبغي أن يعلم منه أنه ينقسم إلى خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة من دونه وخبر ليس بجزء من الجملة، ولكنه زيادة في خبر آخر سابق له فالأول خبر المبتدأ كمنطلق في قولك "زيد منطلق" والفعل كقولك: "خرج زيد...."[1]

ومثل قوله كذلك في الاستدلال للاستعارة التي لا تكون مفيدة:" وموضع هذا الذي لا يفيد نقله، حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق أريد به التوسع في أوضاع اللغة، والتّ نوق في مراعاة دقائق في الفروق في المعاني المدلول عليها، كوضعهم للعضو الواحد أسامي كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان،نحو وضع "الشفة"للإنسان والمشفرة للبعير....."[2]

ج-5-الشاهد بالسند:

ويدخل في هذا السياق كل من الشواهد ذات الطابع المرجعي من تاريخ وعلم وإسناد" وذلك أن المتوقعات أكثر ذلك يشبهن الماضيات، فقد ينبغي أن نستعمل البرهانات في التثبيت إذا لم يكن الكلام موضع تفكير، فإنه بهذه يكون التصديق "[3]إذ أنّ الأمور التي نتوقع حدوثها غالبا ما قد تقع وفق استناد على أمور سبق أن حدثت بحيث كانت لها نفس الأسباب، لذا الاستشهاد بما مضى والقياس عليه يعتبر من أقوى الأدلة التي يمكن أن يحتج بها حتى أنها يمكنها أن تؤول إلى البرهان فهي تعتبر وثائق مثبتة متفق على يقينية صحتها.

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز ص: 173.

[2]- عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة، ص:30

[3]- أرسطو طاليس الخطابة الترجمة العربية القديمة ص:131.

وهذا ما نلمسه عند الجرجاني أنه كثيرا ما كان يوظف هذه الشواهد وتكون بذلك أدلة تقوي أدلة أخرى يوثق بها معلوماته وأدلته فمثلا نذكر بعض الشواهد التي دعم بها عبد القاهر أدلة منها قوله في الاستدلال على عدم استكراه الدين الشعر " وقد حكى الله تعالى كلام الكفّار.... وقد استشهد العلماء لغريب القرآن، وإعرابه بأبيات فيها الفحش.....وكان الحسن البصري لرحمه الله يتمثل في مواعظه بالأبيات من الشعر"[1] وكذلك استشهاده في الاستدلال لوقائع حيث ذكر المناظرة التي دارت بين الكندي وأبي العباس إذ يقول : "روي عن ابن الأنباري أنّه قال : ركب الكندي المفلسف وأبي العباس وقال له:إنيّ لأجد في كلام العرب حشوا فقال له أبو العباس: في أي موضع وجدت...قال فأحار المتفلسف جوابا"[2]

ومثل قوله في الاستشهاد لحكم الزيادة والحذف حينما يقول " ولذلك يقول الشيخ أبو علي (أبو علي الفارسي) في الكلمة إذا كانت تزول عن أصلها من وجه ولا تزول من آخر...وفي حكم المقحمة الزائدة"[3]، ونذكر كذلك ما استدل به من كلام الجاحظ يستشهد به على خطأ المتأخرين في حرصهم على ألوان البديع "فانظر إلى خطب الجاحظ في أوائل كتبه، هذا والخطب من شأنها أن يعتمد فيها الأوزان والأسجاع....قال في أول كتابه الحيوان"[4] ويذكر بعدها قول الجاحظ كما جاء في الحيوان تم بين المواقع التي جاءت فيها ألوان البديع من كلام الجاحظ وبين السبب من ذلك وقد استشهد بالجاحظ عدة مرات ونذكر، مثلا آخر حين يستدل عبد القاهر للفرق بين أقسام الاستعارة ويستشهد بقول الجمحي فيقول"ألا ترى إلى حديث الجمحي؟ حكي عن بعضهم أنه قال : أتيت الجمحي أستشيره في امرأة أردت التزوج بها....أي هي قصيرة النسب تعرق بأبيها أو جدها "[5] أو مثل الاستشهاد يقول الآمدي، إذ يقول: "وقال الآمدي نفسه "ثم قد يأتي من الشعر ثلاثة أنواع أخرى، يكتسي المعنى العام بهاء وحسنا...وهي الاستعارة والطباق والتجنيس "[6].

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:12،ص:13.

[2]- المصدر نفسه، ص:315.

[3]- عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة ص: 419

[4]- المصدر نفسه، ص:09،ص:10.

[5]- المصدر نفسه، ص:52.

[6]- المصدر نفسه، ص:402.

وهذا النوع من الشواهد التوثيقية قد تأخذ شكل آخر بما يعرف بالاستطراد " وهو قوس متحرك، يتموضع غالبا بعد الإثبات، ويلعب فيه الخطيب على وتر العاطفة، بالتسلية أو بإثارة السخط أو الشفقة وتتم العملية بواسطة حكاية أو وصف ينفصلان من الموضوع، بالمعنى الصارم للكلمة"[1].

وغالبا ما تكون هذه الشواهد موثقة بأسانيد، تعمل على إعطاء الشفافية لدليله فيكون أكثر مصداقية بالتالي أبين حجة على السامع وبالتالي أشد وقعا في النفس "وذلك أن السند، وإن أتى على صورة الدليل، فإما أنه لا يقصد به الدليل كما هو الحال في التقوية، وإما أنّه يقصد به إقامة الدليل على دليل سابق، فينزل منزلة دليل الدليل "كما هو الحال في التأسيس"[2] ويقصد به :" جملة الرجال أو الرواة الذي نقل عنهم هذا المتن "[3] والمتن هو النص المنقول

نذكر على سبيل المثال قوله في الإسناد:" ومن ذلك ما روي عن البحتري، روي أنّ عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر مسألة مسلم أبي نواس: أيهما أشعر؟ فقال أبو نواس:"إن أبا العباس ثعلبا...."[4] وكذلك قوله طوعن الشعبي رضي الله عنه، عن مسروق،عن عبد الله قال: لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القتلى يوم بدر مصرّ عين فقال صلى الله غليه وسلم أبي بكر رضي الله عنه...."[5] وكذلك قوله: "قال الشيخ أبو الحسن وهذا فول النسّابة البكري لرؤبة بن العجاج كما أتاه، فقال لرؤبة: قصرت وعرفت "[6]

وكذلك قوله في إسناد الشاهد:" وما هو حسن جميل من هذا الباب، قول الصاحب كتب به إن القاضي أبي الحسن: روي عن القاضي انه قال: انصرفت عن دار الصاحب قيل العيد...."[7].

ج-6-الشاهد بالمأثور: أي الاستشهاد بما أثر عن السلف من أمثال وحكم تدخل كلها ضمن الذاكرة الجماعية،" وكل ما له أثر ثقافي في ضمير السامعين، يؤثر فيهم بشكل غير واع لأنهم من غير أن

---

[1]- محمد طروس، النظرية الحجاجية،ص:21.

[2]- طه عبد الرحمن، الكوثر العقلي، ص:135.

[3]- المرجع نفسه، ص:134

[4]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز، ص:252.

[5]-المصدر نفسه، ص: 18.

[6]- عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة، ص:52.

[7]- المصدر نفسه، ص:233.

يفكروا فيه، يقبلون مضمونه على أنه حقيقة بديهية لا تقبل المناقشة[1]سواء تكون هذه الأقوال ضمن "الآراء الشائعة والأقوال غير المنسوبة لأحد إضافة إلى الأمثال والحكم، فئة الأشخاص: كالعلماء والفلاسفة، ورجال الدين والأنبياء والقديسين"[2]

وعبد القاهر كثيرا ما يدمج أدلته بهذا النوع من الشواهد، بغية تقوية الدليل وإعطاء نصه الصبغة البرهانية مثل قوله" وأجاز أبو الحسن فيها وجها آخر.."ويقصد هنا "أبو الحسن" الأخفش، النحوي المعروف، وكذلك استشهاد[3] بقول القاضي الجرجاني صاحب كتاب الوساطة في قوله "وقال القاضي أبو الحسن: " الاستعارة ما اكتفى فيه بالاسم المستعار عن الأصلي، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها "[4] وهو في ذلك يتخذ شكلين من الاستشهاد فقد يستشهد لقوي ويدعم رأيه،أوقد يستشهد ليعرضه كدعوى لخصومه يبني على أساسها دليله، أو يستشهد لشرح وتفسير بيتا من الشع .

أمّا ما استشهد به من أمثال وحكم غير منسوبة إلى شخص بعينه قوله مثلا:" وقول الناس:"قتل البعض إحياء للجميع"[5] وقوله كذلك الاستشهاد لما قصده من حديثه أن أساليب البلاغة "وقوله السفر ميزان القوم"[6] وقوله يستشهد بقول أعرابي "حلئت ركابي، و شققت ثيابي، وضربت صحابي"[7].

[1]- د:حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص:267.

[2]- المرجع نفسه، ص:268.

[3]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز ص:317.

[4] - المصدر نفسه، ص:434.

[5]- المصدر نفسه، ص:221.

[6]- عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة، ص:28.

[7]- المصدر نفسه، ص:13.

خـــاتمة

حاولنا في هذا البحث أن نقف على مفهوم الاستدلال ونحدد أهم صوره ومقوماته، وقادنا التتبع لمفهوم هذا المصطلح تبيين وظيفته التي تختلف من الخطاب البرهاني إلى الخطاب الحجاجي، وهذا ما يجعل الاستدلال يتخذ أشكالا متباينة حسب نوع الخطاب وماهيته كما لاحظنا تأرجح وظيفة الاستدلال بين (الحجاج ،البرهان) أهما و هذه الخاصية التي اختص بها الاستدلال استثمرها النقد ؛لأنها تتناسب وطبيعته النسبية.

أما خلال تتبعنا له لدى نقاد العرب قديمالاحظنا أنه شهد تطورا كبير بداية مع العصر الجاهلي و وصولا إلى القرن الخامس الهجري خاصة في نقد عبد القاهر الجرجاني سواء من حيث البناء أو من حيث التوظيف، ويعتبر القرآن الكريم أهم مصدر استلهم منه النقاد العرب فعالية الاستدلال وقدرته على دحض آراء الخصوم .

و قد تردد في المدونات النقدية بمصطلحات مختلفة تدور كلها في حقل دلالي واحد. كلها تصبوا إلى إعطاء النقد الصبغة البرهانية التي يتحقق بها الإقناع، فلم نجد أنها رست على لفظ واحد ويرجع ذلك إلى مختلف العلوم التي اقتبس منها هذا المنهج .

ولعل أهم العوامل التي ساعدت النقاد العرب على حسن استغلال هذا المنهج و تكييفه ومتطلبات الحاجات النقدية في التراث النقدي العربي ،هو البحث في قضية الإعجاز القرآني وكذا استغلال أدوات الجهاز الحجاجي الذي ساد عند المتكلمين،إذ كان له قوة فعالة في التحكم في آلية الاستدلال وكان للمنطق الأرسطي دور مهم في تأسيس مبادئ الاستدلال البرهاني و اندماجه ضمن المنظومة النقدية العربية.

ويمكن أن نستنتج من خلال الدراسة لمختلف العوامل التي وجهت النقد هذه الوجهة البرهانية:

أولا:إن التحول الذي شهدته المنظومة النقدية العربية من الارتجال إلى البرهان كان تحولا لابد منه، إذ فرضه تغيير الأوضاع الدينيةو الاجتماعية وكذا السياسية في تلك الفترة، غير أننا عند بحثنا وجدنا أن هناك بوادر الاستدلال في التراث النقدي العربي القديم قبل الامتزاج بالمنطق الصوري الأرسطي، ولعل هذه البوادر نابعة من الطبيعية البشرية التي تسعى دائما إلى التماس الحقيقة وحب الجنس البشري إلى فرض سلطته الفكرية ولا يتأتى له ذلك إلا عن طريق الاستدلال، لكنها ظلت مبعثرة في الكتب النقدية وغيرها من الكتب البعيدة عن النقد ككتب التفسير أو حتى عن طريق الرواية الشفوية .

ثانيا: بعد تصفح كتب النقد العربي القديم يظهر تشكل الاستدلال شيئا فشيئا كلما انفتحت المعالم واستجدّت الرؤى، ويتجلى ذلك بصورة أوضح مع كل قضية نقدية وكيفية استدلال كل ناقد لرأيه حولها.

ثالثا: يبدو واضحا بعد البحث والتحليل وكذا المقارنة الموضوعية أنه يوجد اختلاف بين مكونات الآلية الاستدلالية في النقد العربي القديم عن غيرها من الآليات الاستدلالية المنطقية التي اختصت بها اللغة الصناعية أي العلمية. فالنظرية النقدية تتكون في أغلب الأحيان من قضايا حملية بعيدة عن الصرامة المنطقية حتى تتماشى و اللغة الطبيعية.لكن ذلك لا ينفي أنها لا تتخذ بنية الاستدلال البرهاني وسيلة، فهي تلجأ إليه لكي تصل إلى درجة اليقين التي لا يوفرها إلاّ هذا النوع من الخطاب.

رابعا: لم يختص النقاد العرب بنوع خاص من الاستدلالات ،فقد استغلوا جميع ما أتيح لهم من استدلالات منطقية أو شبه منطقية خاصة القياس التمثيلي الذي كان له الحظ الأوفر في ذلك لما يتسم به من مرونة وقابلية في ترويج آراء المتكلم ، لذا تم تأسيس له قواعد تتوافق والقياس المنطقي ،غير أنه بقي هناك بعض الاستدلالات التي استخدمت أكثر من غيرها وبنسب متفاوتة؛ لأنها تتشابه إلىحد كبير مع استدلالات كل من علماء الأصول والمتكلمين لما تمّ بينهم من امتزاج واقتران وتلاقح.

خامسا: حضر الاستدلال في النقد العربي القديم من الناحية الإجرائية التطبيقية بجميع أشكاله وصوره، لكن من الناحية التنظيرية فإنه لم تفرد له دراسة خاصة، شاملة، كاملة،إلاّ ما نلمسه في بعض أبواب الكتب النقدية ككتاب" البرهان في وجوه البيان" أو ما نلمسه كذلك في كتابي عبد القاهر الجرجاني" دلائل الإعجاز"و"أسرار البلاغة"،على الأقل إلى زمن عبد القاهر الجرجاني.

سادسا: أخذت آلية الاستدلال في مشروع عبد القاهر الجرجاني شكلها النهائي حيث استغلها في الغالب بمختلف صورها وبشكل كبير في جميع القضايا النقدية التي طرحها ،وهو يحاول من خلالها تثبيت قضية النظم،وما نلمسه أثناء الدراسة قدرته الفائقة في التحكم في هذه الآلية التي لم يسبقه إليها ناقد قبله من حيث الإجادة ،وربما قد استفاد من الذين سبقوه وعلى أساسهم بنى مشروعه النقدي.

سابعا: الدافع الأساسي الذي جعل عبد القاهر الجرجاني يستثمر آلية الاستدلال هو إثبات الإعجاز القرآني، وقد شكلت أهم القضايا التي أسالت الكثير من الأقلام ،فكان عليه أن يجد أقوم المناهج التي تفحم الآراء وتخرص الألسنة، وتعتبر آلية الاستدلال أفضلها على الإطلاق لما تختص به من مصداقية وعقلانية تتفق عليها جميع العقول مهما اختلفت توجهاتها.

ثامنا: الاستدلال البرهاني الذي يؤول إلى الاستدلال الحجاجي هو أهم استدلال استغله عبد القاهر الجرجاني ليصل به إلى إثبات قضية الإعجاز القرآني ،لما يوفره له من مادة يقينية التي تسعى إلى تحقيق الإقناع.

و من خلال آلية الاستدلال البرهانية استطاع النقد أن يرقى إلى مستوى الموضوعية العلمية ويؤسس نظرية نقدية قائمة بذاتها.

ويبقى البحث مفتوحا حيث لا يمكن الجزم بأن آلية الاستدلال كان لها الخطاب النقدي الجرجاني الشحنة التي أفرغت فيها كل القدرات البرهانية وكذا الحجاجية،إذ يستحيل أن يلم أي خطاب بجميع الصور الاستدلالية والأساليب الإقناعية في الوقت نفسه.

قائمة المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين، تح: هولموت رويتر، دار النشر فراز شتايز بغيسبادن،، ط03، 1980م.

- الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر يحي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تح: أحمد صقر،، دار المعارف، ط 04، سنة2009م.

- الآمدي، أبو علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مجلد 3،4، (د.ط)و(د.تا).

- أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، نهضة مص:ر للطباعة والنشر والتوزيع، ط7،سنة 2009م.

- أحمد علي الدهان،الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، "منهجا وتطبيقا" وزارة الثقافة، دمشق،ط2 ،سنة 2000م.

- أحمد شامية، خصائص: العربية والإعجاز القرآني (في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د.ط)، 1995م.

- إدريس بن خويا "البحث الدلالي عند الأصوليين قراءة في مقصديه الخطاب الشرعي عند الشوكاني، مطبعة بن سالم، الأغواط، ط1،(د.تا).

- أرسطو، كتاب النفس، تح: د. أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، ط1 ،سنة 1949م.

-أرسطو،الخطابة، الترجمة العربية القديمة، وكالة المطبوعات، دار القلم الكويت، بيروت ،لبنان، سنة 1979م.

- أبو إسحاق إبراهيم الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب،المكتبة العصرية صيدا بيروت،ج 1،ط1،سنة 2001 م.

- إميل بديع يعقوب، مشيل عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار الملايين، بيروت، ط01،سنة 1987م.

- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، "إعجاز القرآن"،دار مكتبة الهلال، ط1،سنة1993م.

- باتريك شارودو،ت: أحمد الوردني الحجاج بين النظرية والأسلوب الكتاب الجديد،ط1، 2009م.

البعزاتي بّ ناصر، الاستدلال والبناء، بحث في الخصائص: العقلية العلمية، دار الآمار المركز الثقافي العربي، الرباط، ط1، سنة1999م.

- أبو البقاء الحسيني الكفوي، الكليات، طبعة خاصة، دار عالم الكتب، الرياض،سنة 2003م.

- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع،ط1،سنة2006م.

- التهانوي، كشاف إصلاح الفنون والعلوم، مكتبة لبنان الناشرون ج1، ط1، سنة 1999م.

- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة ج 1،ط7،سنة 1998م.

- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، الحيوان،تح عبد السلام محمد هارون، ج1،ط2، سنة1965م.

- الجرجاني علي بن محمد الشريف، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة ،سنة1985م.

- جورج طرابيشي، نظرية العقل نقد العقل العربي، دار الساقي، ط03، 2008م.

- جوزيف دوب،مبادئ المنطق الصوري (القديم و الحديث)،ت د محمود اليعقوبي،دار الكتاب الحديث ط1،القاهرة،سنة2001م.

- حافظ قويعة، سياق الحجاج في دلائل الإعجاز ضمن عبد القاهر الجرجاني، أعمال ندوة جامعة سفاقس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجمهورية التونسية،(د.ط)،سنة 1998م.

- حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة لأدباء وعلماء جامعة أم القري، (د.ط)،1996م.

- حسان الباهي، اللغة والمنطق، بحث في المفارقات، المركز الثقافي العربي، دار الأمان للنشر، ط01، 2000م.

- حسان تمام، الأصول الإبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة،(د.ط)، 2009م.

- حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط03، سنة1998م.

- حسن الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لنجمان، القاهرة،(د.ط)،سنة 2000م.

- حسن محمود الشافعي المدخل إلى دراسة علم الكلام، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي بكستان، ط2، سنة2001م.

- حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس،منشورات الجامعة التونسية،(د.ط)،سنة1981م.

- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، كلية الآداب، منوبة،(د.ط)و(د.تا).

- حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، ط4، سنة1993م.

– أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية صيدا، بيروت،ج 1،ط1،سنة2003م.

- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، سنة2002م.

- الخطابي، رسالة في بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تح: محمد خلف الله ود.محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط03،سنة 1976م.

- درويش الجندي، في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني،مكتبة نهضة مصر، بالفجالة، القاهرة،(د.ط)،سنة 1960م.

- الرافعي مصطفى صادق،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية المكتبة العصرية، ص:يدا بيروت، ط3،سنة 2001 م.

- ابن رشد ، فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من اتصال، مجموعة سرار للنشر، تونس، المطابع الموحّدة،(د.ط)،سنة 1994م.

- روبير بلانشي، الاستقراء العلمي والقواعد الطبيعية، ت: محمود اليعقوبي، دار الكتاب الحديث،(د.ط)، 2003م.

- روبير بلانشي، المنطق وتاريخية من أرسطو حتى راسل، تح: خليل أحمد خليل، مطبوعات الجامعية، الجزائر، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، لبنان،(د.ط)و(د.تا).

- رشيد الراضي، الحجاج والبرهان ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ج01، ضمن الحجاج حدود وتعريفات، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،(د.ط)، 2010م.

- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاثة رسائل في الإعجاز، تح: محمد خلف الله ود.محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط03،سنة 1976م.

- زينب عفيفي، فلسفة اللغة عند الفارابي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،(د.ط)سنة 1997م

- زكريا بشير أساليب الحجاج في القرآن الكريم نماذج من الحجة الاستنباطية مطبوعات الحركة الإسلامية الطلابية،(د.ط)،سنة 1995م.

- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني بنيته وأساليبه عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي،ج1، ط1،سنة 2002م.

- السعيد الخوري الشرقوني اللبناني،أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد،منشورات مكتبية آيات الله العظمى المرعشي النجفي،إيران،سنة1403هـ.

- سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية، بيروت، باريس، ط1،سنة 1991م.

- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، بمطبعة بريل،لندن ،(د.ط)،سنة1913،ضمن طبقات الشعراء إعداد لجنة علمية،دار البهجة العربية للطباعة والنشر، بيروت،لبنان.

- ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، تح: د. سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، القسم الأول، ط3، سنة 1983م.

- شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنشر، كلية الآداب والفنون الإنسانية بجامعة منوبة، تونس، ط1، سنة2006م.

- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط9،(د.تا).

- الشهيد مرتضى المطهري، المنطق، دار الولاء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، تح: الشيخ حسين، ط02، سنة 1432هـ.

- الطاهر حليس "اتجاهات النقد العربي وقضاياه في القرن الرابع هجري ومدى تأثرها بالقرآن، مركز منشورات جامعة باتنة،(د.ط)، سنة1996م.

- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، ط2.

- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب،ط2،سنة 2002م.

- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 ،سنة2005م.

- عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في البلاغة والنقد العربيين،المملكة المغربية،جامعة محمد الخامس منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،(د.ط)سنة1999م.

- أبو عبيدة التميمي، مجاز القرآن، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج1،(د.ط)و(د.تا).
- علي حرب، نقد النص (النص والحقيقة I)، المركز الثقافي العربي، ط2، 1995م.
- علي سلوم، بلاغة العرب، نشأتها تطورها، علومها دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع، ط2،سنة 2004م.
- علي مهدي زيتون، "إعجاز القرآني وأثر ها في تطوير النقد الأدبي"، دار المشرق، ط1،سنة 1992م.
- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: أبو الفهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ط01، 1991م.
- عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز، مطبعة المدني المؤسسة السعودية، تح: أبو فهر محمود محمد، شاكر،مصر، ط3، 1992م.
- عبد الجليل منقور، النص والتأويل، دراسة دلالية في فكر المعرفي التراثي، دار الكتاب الحديث،(د.ط)، سنة2011م.
- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائص:ه الأسلوبية ضمن المقدمة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1،سنة2001م.
- عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطاب النبوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1،سنة 2012م.
- عبد الفتاح محمد العيساوي، عبد الرحمن محمد العيساوي، مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، دار الراتب الجامعية،(د.ط)، سنة1996م .
- عبد الهادي ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، سنة2010م.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، الكتاب الجديد، ط01،سنة 2004م.
- العروي عبد الله، مفهوم العقل،المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط3،2001م.
- الفارابي، إحصاء العلوم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط 1996م.
- ابن قتيبة ،عبد الله بن مسلم الدينوري، الشعر والشعراء، دار المعارف القاهرة، ج،(د.ط)و(د.تا).

- قدور عمران، البعد التداولي الحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن،ط 1، سنة2012م.

- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،(د.ط)و(د.تا).

- قصي الحسن، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، دار ومكتبة الهلال، بيروت،(د.ط)، 2008م.

- القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، سنة2006م.

- الكسندرا غيتاتوفا، علم المنطق، تح: التعديلات، دار التقدم ،(د.ط)،1999م،الاتحاد السوفياتي.

- ابن المعتز عبد الله، البديع، دار المسيرة، بيروت، ط03،(د.تا).

- محمد صايل حمدان عبد المعطي نمر موسى، معاذ السرطاوي، قضايا النقد القديم، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن،ط1،سنة 1990م.

- محمد سالم سعد الله، مملكة النص: التحليل السيميائي للنقد البلاغي "الجرجاني نموذجا"، عالم الكتب الحديث،إربد الأردن ط1،سنة2007م.

- محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغي حتى القرن الرابع، منشأة المعارف الإسكندرية(د.ط)و(د.ط).

- محمد النويري، علم الكلام والنظرية البلاغية، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، سفاقس تونس،ط 1،سنة 2001م.

- محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق المغرب ،(د.ط)،سنة1992م.

- محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مركز الإنماء القومي لنرمز الثقافي العربي، ت: هائم صالح، ط2، سنة1996م.

- محمد أركونالفكر العربي، ت: عادل العوّ ، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3،سنة 1985م.

- محمد عباس،الإبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان،دار الفكر دمشق سوريا،ط1،سنة 1999م.

- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي،إفريقيا الشرق،ط2،(د.تا).

- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسة البلاغية المنطقية واللسانية،دار الثقافة،دار البيضاء،ط1،سنة 2005م.

- محمد عابر الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6،سنة 2000م.

- محمد يوسف موسى، الرسالة للإمام الشافعي الهيئة المصرية العامة للكتاب مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة،سنة1995م.

- محمد الشطوطي،النظرية المنطقية عند الشيخ الرئيس، ابن سينا، دار صقيلية، دار قرطبة، ط1،سنة 2007م.

- محمود سعد مباحث البيان عند الأصوليين والبلاغيين، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ط)،(د.تا).

- مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، (د.ط)و(د.تا).

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، مادة برهن، ط جديدة، دار المعارف، القاهرة،(د.تا).

-نصر حامد أبو زيد إشكاليات القراءة وآليات التأويل المركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، ط5، 2005م.

- نصر حامد أبو زيد،الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء،المغرب ،ط6،سنة2007م.

- نجوى صابر الذوق الأدبي وتطوره عند النقاد في نهاية القرن الخامس، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ط1،سنة 2006م.

- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، مطبعة محمود بك، ط1،سنة 1320هـ.

- ابن وهب،أبو حسن إسحاق بن إبراهيم، البرهان في وجوه البيان،تح:د حنفي محمد شرف،مطبعة الرسالة،القاهرة،(د.ط)،سنة1969م.

المجلات:

-أحبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي "ضمن مجلة عالم الفكر، العدد 1، المجلد 3،يونيو، سبتمبر 2001م.

-مجلة الشبكة التربوية الشاملة،" دروس الحجاج وما يعاضدها هذا النص: الفلسفي بعلم أبو الزهراء،سنة 2008م.

- مختار جبار المرجعية الكلامية لنظرية النظم عند الجرجاني، ضمن مجلة ثقافات ،كلية الآداب، جامعة البحرين ،العدد 4 ،خريف 2002م.

-محمد الوالي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، عالم الفكر، المجلد 40، الكويت،سنة 2011م.

فهرس المحتويات

الفهـــرس

مقدمة 1

مدخل: انتقال المنظومة النقدية من الارتجال إلى البرهان 3

أوجه النقد الذوقي الانطباعي 3

العوامل المساعدة على انتقال المنظومة البيانية من الارتجال إلى البرهان 5

ملامح تجاوز النقد البياني الانطباعي إلى نقد برهاني 11

الفصل الأول: الأصول البرهانية للخطاب النقدي العربي القديم

الخاصية المنطقية للاستدلال 14

1.علم المنطق 14

2.علم المنطق خادم العلوم الأخرى.....14

الوظيفة الفاعلية لعلم المنطق 16

الاستدلال بوصفه آلية برهانية 18

1.البرهان علم نظري.....18

2.خصائص الاستدلال البرهاني 18

أنواع البرهان.....20

آلية الاستدلال.....21

الاستدلال.....21

الاستدلال علم نظري 22

2.صور الاستدلال.....23

1.الاستقراء 23

1-1الاستقراء التام 24

1-2.الاستقراء الناقص 24

2.القياس 27

2 .1 القياس التام 27

2.2.القياس الناقص 27

3.القياس التمثيلي 28

أ-القياس البرهاني 29
ب-.القياس الجدلي 29
ج-القياس الخطابي 29
د-القياس التخييلي 29
4-بناء الدليل 30
4-1 مفهوم الدليل 30
4-2 أنواع الدليل 31
4-3 ترتيب الأدلة 32
5- الاستدلال ظاهرة عقلية غير قومية 33
6- غاية الاستدلال الإقناع 39
6-1 أصل الإقناع الوقوف على الحقائق 39
6-2 المعرفة ودورها في توجيه الاستدلال 43
7-الاستدلال مكوّن حجاجي 45
7-1 الفرق بين الخطاب البرهاني و الخطاب الحجاجي 47
7-2 اللغة الطبيعية مقوم حجاجي 49
7-3 علاقة الاستدلال بالمقام 51
7-4 مآل البرهان إلى الحجاج 53

الفصل الثاني: الاستدلال في الخطاب النقدي العربي القديم

1- النقد علم استدلالي 65
2- الاستدلال بين التوظيف النقدي والصرامة العلمية 58
3- الاستدلال في الخطاب العربي القديم 59
3-1 الاستدلال في الشعر الجاهلي 59
3-2 الاستدلال في القرآن الكريم 60
3-3 الاستدلال في الخطاب النبوي 61
4- ملامح الاستدلال في الخطاب النقدي العربي القديم 63
4-1.الاستدلالات المنطقية 64
4-2 الاستدلال اللغوي 66

3-4 الاستدلال البلاغي 67
5- تبلور صور الاستدلال في الخطاء النقدي العربي القديم 68
1-5 تبني النقاد العربي مصطلح الاستدلال 68
2-5 قيمة آلية الاستدلال في مشروع ابن وهب النقدي.....72
3-5 الاستدلال وأثره في دراسة قضايا النقد العربي القديم 75
1-3-5- قضية اللفظ و المعنى 76
2-3-5 قضية تحديد مفهومي الفصاحة والبلاغة 78
3-3-5- قضية القديم والجديد.....81
4-3-5- قضية الصنعة والتكلف.....83
5-3-5- قضية السرقات.....83
6-3-5- قضية المجاز 88
6- تجلي مصطلح الاستدلال في كتب الإعجاز 89
1-6 نماذج من الاستدلال عند علماء "الإعجاز" 91
2-6 أصول المنهج الاستدلالي وعلم الكلام 95
قضية النظم وجذورها الكلامية 97

الفصل الثالث: عبد القاهر الجرجاني مشروع الاستدلال

الاستدلال والمرجعية الكلامية عند عبد القاهر الجرجاني 100
المنهج الاستدلالي عند عبد القاهر الجرجاني 107
آليات الاستدلال عند عبد القاهر الجرجاني.....112
1-الاستدلالات المنطقية 113
الاستدلال المباشر 113
2-الاستدلال غير المباشر.....120
1-2-القياس 120
2-2 التمثيل.....131
3-2 الاستقراء.....137
الآليات الاستدلالية الاعتراضية.....152
الشواهد والأدلة الجاهزة: (الشواهد) 154

خاتمة 162
قائمة المصادر والمراجع 166

فهرس المحتويات